



شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وشؤون الثقافة والفكر

تصدرها:
وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية





العدد الخامس، السنة العشرون، جمادى الثانية 1399 / ماي 1979

شهرية
تعنى بالدراسات
الإسلامية وبشؤون
الثقافة والفكر

دعوة الحق

العدد الخامس - السنة العشرون
جمادى الثانية 1399 / مايو 1979

تصدرها
وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

فهرس

بيانات إدارية

• تبعث المقالات الى العنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » - مديرية الشؤون الإسلامية
ص ب : 375 - الرباط - المغرب
الهاتف : 10 - 632

• الاشتراك العادي عن سنة 65 درهما للداخل، و 70 درهما للخارج. والشرفي 100 درهم فأكثر.

• السنة عشرة أعداد - لا يقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة.

• تدفع قيمة الإشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

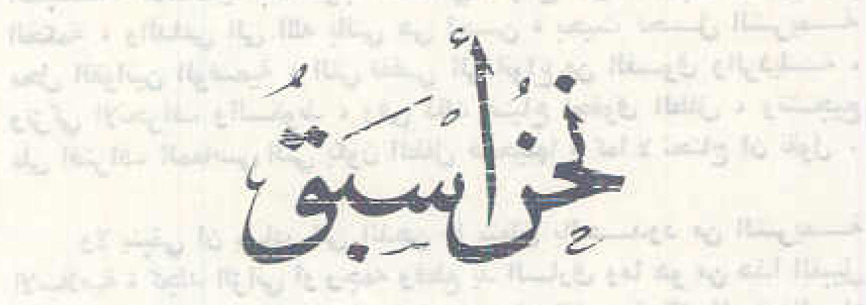
Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

أو تبعث رأسا في حوالة بالعنوان أعلاه .

• لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر •

الافتتاحية :

بسم الله الرحمن الرحيم



●● لم يسعد الاطفال فى العالم كما سعدوا فى ظل الحضارة الاسلامية . فان عناية الاسلام بالنشاة الاولى تفوق كل عناية ، باعتبارها حجر الزاوية فى بناء المجتمع الاسلامي .

بيد أن واقع العالم الاسلامي لا يشجع على القول ان الطفل المسلم ينمو فى ظروف طبيعية ، وياخذ حظه الكامل من الرعاية والاهتمام ، لان حالة التخلف التي تعم الشعوب الاسلامية فى الوقت الراهن ، تنعكس بظلالها القاتمة على وضعية الطفل ، فتحيل حياته الى صورة لا تريح النفس .

والقضية تاخذ حجما أكبر مما قد يتصور ، فما الطفل الا مرآة للبيئة والوسط ، ان صلحت البيئة صلح الطفل وسعد ، وان فسد الوسط فسد هو الآخر وشقي ، وسرى فساده وشقاؤه الى الحياة الاجتماعية فتختل الموازين ، وتهتز القيم ، ويسود الانهيار ، وربما تطور الامر الى ان يعظم البلاء ، وتتسع الشقة بين المبادىء والافكار وبين الواقع الحي فى حياة الناس .

وفى تاريخنا الاسلامي ، ارتبطت وضعية الطفل المسلم بمدى التطبيق العملي لتعاليم الاسلام ، فكلما ساد العدل الاجتماعي ، وعم الرخاء ، واطمان المسلمون الى انفسهم ، ووثقت صلتهم بالشورى ، واقاموا حكم الله فى الارض ، كان أطفالهم بمنجاة من عوامل الضياع واسباب الفساد ، فحسنت أحوالهم ، ونموا كما ينمو الاطفال الاسوياء ، فى ظل الحدب والحنان ، وفى كنف الحب والامان .

هي علاقة جدلية تربط الطفل بالمجتمع ، فلا يصح شرعا وعقلا ان نتناول واقع الطفولة دون ان نطرح المشكل فى اطاره العام .

● وإذا كان الاسلام منهج حياة وأسلوبا لممارسة الشورى فى صورتها المنضبطة المتزنة ، وإقامة العدالة الاجتماعية فى توازن دقيق ، فان الحديث عن الطفل يفقد جديته ، ويصبح ضربا من العبث وتزجية الفراغ ، ان لم يصطبغ بالصبغة الشمولية فينسحب على الواقع وينطلق من الحاضر ويستشرف المستقبل ، ذلك أن تطوير حياة الطفل ، وايجاد المناخ اللائم لتنشئته ونموه ، وتوفير فرص التعليم والمأكل والمشرب والمسكن لمآت الملايين من أطفال المسلمين ، أمر متوقف على تغيير المجتمعات الاسلامية بالاسلوب الاسلامي الجانح الى السلم ، والقائم على الحكمة ، والداعي الى الله بالتي هي أحسن ، بحيث تحل الشريعة محل القوانين الوضعية ، التي تفضي الى أنواع من الفسوق والرذيلة ، وتزكي الانحراف والسقوط ، وفى ذلك ضياع لحقوق الطفل ، وتشجيع على اقتراف المعاصي التي يكون الطفل ضحيتها ، كما لا نحتاج ان نقول .

ولا ينبغي ان يتبادر الى الذهن ما يتعلق بالحدود من الشريعة الاسلامية ، كجلد الزاني او رجمه وقطع يد السارق وما هو من هذا القبيل فحسب ، ولكن ما ينبغي التركيز عليه هو ان الشريعة الاسلامية نظام شامل لا يقبل التجزئة ، بما فى ذلك المبادىء الاسلامية التي تضبط الاقتصاد وتحكمه ، وتنظم العلاقات الاجتماعية وترعاها ، وتنقي المجتمع من امراض الحضارة المترهلة ، وتطهر الانسان من الداخل فيكون رقيبا على نفسه ، يصدق فى اقواله ، ويتقن اعماله ، ويجتهد فى انتاجه ، ويحب لاخيه ما يحبه لنفسه . هذا النموذج الانساني الرفيع الذي فشلت جميع انظمة الارض وايديولوجيات البشر فى تربيته واعداده على نحو يحقق الكرامة والحرية والشرف لجميع بني آدم دون استثناء واستطاع الاسلام ان ينشئه انشاء فى زمن لم تكن أوروبا تعرف الماء الا للشرب .

●● فالعودة الى الاسلام فى صفائه ونقائه ، وطهارة شريعته وسماحتها ، وواقعية مبادئه ومرونتها ، هي عودة الى ضمان الحياة الكريمة للطفل والعناية الشاملة لنشأته والصيانة الكاملة لحقوقه .

وهكذا نرى ان موضوع الطفل شديد الارتباط بالصحوة الاسلامية المباركة التي بدأت تهز العالم وتقذف الرعب فى قلوب اعداء الله وخصوم الحق .

وليس من شك أن في اقتران السنة الدولية للطفل بهذه الحركة الاسلامية العالمية فأل حسن وبشارة خير . وما انعقاد المؤتمر العاشر لوزراء خارجية الدول الاسلامية ببلادنا ، وما الاجماع الاسلامي الكبير على اسناد مسؤولية لجنة تحرير القدس الى امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني ، الا مؤشرات واضحة الدلالة على التحويل العظيم الذي يشهده العالم الاسلامي ، والذي لا يشك عاقل أنه يحمل فى طياته الخير الكثير للطفل المسلم فى كل مكان .

(دعوة الحق)

من دعوة الحق

●● دفعت مواد هذا العدد الى المطبعة قبل انعقاد المؤتمـــر العاشر لوزراء خارجية الدول الاسلامية بفاس . ويصدر العدد بعد مضي خمسة واربعين يوما على انتهاء المؤتمر . فلم نتمكن من نشر ما يجب نشره عن مؤتمر اسلامي كبير كان لجلالة الملك الحسن الثاني دور عظيم في انجاحه. كذلك منعتنا ظروف الطبع ــ بما في ذلك بعد المطبعة عن ادارة المجلة ــ من تغطية المؤتمر السابع لرابطة علماء المغرب الذي تميز بالرسالة الملكية السامية التي وجهها اليه العاهل الكريم .

تداركا لما فاتنا في العدد الخاص بالطفولة ، قررنا نشر ملف كامل عن المؤتمرين الآنفي الذكر ، يشتمل على الخطب الملكية الكريمة وخطبة الجمعة بوادي المخازن ، وكذا التوصيات والبيان الختامي ومعلومـــات مفصلة عن منظمة المؤتمر الاسلامي .

موعدنا مع القارىء الكريم في العدد الممتاز الخـــاص بالذكـــرى الخمسينية لميلاد رائد الامة جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ●

عبد القادر الادريسي

الى القارىء



الإسلام والمرأة

للأستاذ عبد الله كنون

● المرأة أولا . اذ هي حجر الزاوية في كل حديث عن الطفل . وهي المنطلق والاساس لكل اصلاح أو تغيير يراد به تصحيح وضعية الطفل وتوفير المناخ الطبيعي لتنشئته وتوعيته وانضاج عقله .

ولذلك ، حرصنا أن نفتتح هذا العدد الخاص (بالسنة الدولية للطفل) ببحث قيم عن المرأة في الاسلام لعالم جليل ومفكر كبير هو الاستاذ سيدي عبد الله كنون ، نقتبسه من كتابه « الاسلام أهدى » الذي صدر في مطلع السنة الجارية .

وعناية الاسلام بالمرأة هي مصدر عنايته بالطفل . وسنرى كيف رفع هذا الدين رأس المرأة ومنح لها من الحقوق ما لم يتفتق عنه ذهن اكبر مشرع في العالم ، الامر الذي تبدو أمامه كل القوانين الدولية ـ في هذا الصدد ـ هزيلة وقاصرة .

وترانا منسجمين مع انفسنا بتقديم هذا البحث حول الاسلام والمرأة بين يدي عدد خصص للطفل اذ ان هيئة الامم المتحدة التي قررت أن يكون عام 1979 سنة دولية للطفل ، سبق وأن جعلت من السنة الفارطة (1978) سنة دولية للمرأة ..

وبذلك يكون شعار « المرأة أولا » منطقيا ، وموضوعيا .

ونود ان نشير الى أننا راعينا في ترتيب مواد هذا العدد تقديم الدراسات الخاصة بالطفولة في القرءان الكريم والحديث النبوي الشريف وفي التشريع الاسلامي والتراث المغربي على المواد الاخرى ... ثم تركنا لمقتضيات العمل الصحافي والفني ان تقدم وتؤخر ما تشاء ..

(دعوة الحق)

لعل اخطر مشكلة طرحتها الحضارة الغربية فى الساحة الاسلامية هي مشكلة المراة ، فان المجتمعات الاسلامية التي كانت وظيفة المراة فيهـا محـدودة بتدبير المنزل ورعاية شؤون الاسرة ، قد فوجئت بظهور المراة الغربية على الصعيد العلمي فى عـدة قطاعات ، خاصة وعامة ، فضلا عن تنكرهـا للآداب والمواضعات الاجتماعية التي تميزها من الرجـل ، وكان ذلك باعثا على اثارة الجماهير المسلمة سلبيا وايجابيا وتدهور الوضع للبنية الاجتماعية فى البيت والاسرة المسلمة على العموم وهو الامر الذي صـار كيان المراة بسببه مهزوزا فى العالم الاسلامـي ، لا يدعو الى الاستقرار ويتحدى فى نفس الوقت تعاليم الدين الحنيف الصريحة الواضحة فى بيـان سلوك المراة ومهمتها فى المجتمع .

ومنذ اول هذا القرن والمصلحون الاجتماعيون والدعاة الاسلاميون ينادون بعدم مجـاراة المـراة الغربية فى نزواتها وانطلاقها من الحياة البيتية الى حياة اللهو والعبث ، وذلك هو ما عبر عنه الشاعـر حافظ ابراهيم بهذين البيتين :

انا لا اقول دعوا النساء سوافرا
بين الرجال يجلن فى الاسواق

كلا ولا ادعوكم أن تسرفـــوا
فى الحجب والتضييق والارهاق

ولكن المراة فى الاعم الغالب كانت اميـل الى التحرر ونبذ القيود التي تلزمها بها قواعد الاخـلاق والمروءة ، والكثير من الرجال يستحسنون منها ذلك ويمالئونها عليه ، تحقيقا لرغباتهم واندفاعا مع التيار الجديد ، فهي فى الحقيقة ضحيتهم كما ان المـراة الغربية انما انحدرت الى هذا الحضيض بدفع الرجل لها وتلاعبه بها تلاعب الطفلة بدميتها ، اليس هـو مصمم الموضة فى اللباس والحلاقة والماكياج وما الى ذلك ؟ وهو مفصل الميني والماكسـي ، فان شـاء كشفها الى ما فوق الركبة وان شاء ستر ساقيهـا وكشف صدرها وظهرها ، وهي له مطواع لا تعصيه فى امـر ! ؟؟؟ .

والذي يستنتج من ذلك ان المـراة فقـدت شخصيتها التي طالما جهد الحكماء والمربون فى بنائها، ورضيت بأن تكون لعبة الرجل ، والمراة اتي تنعكس عليها اهواؤه ؛ وبذلك ضيعت نفسـها وكل ما حباها الله به من مزايا وخصائص ، انه غرر بها فانقادت لـــه ، وكان سبيله التملق لغريزتها والاطراء لجمالها كما قال امير الشعراء احمد شوقي :

خدعوها بقولهم حسنـــــــاء
والغواني يغرهـن الثنـــــاء

وكلام الغربيين فى هذا الصدد كثير ، ومـن آخر ما وقفنا عليه تصريح كاتبة امريكية عملـت فى الاذاعة والتلفزيون والصحافة اكثر مـن 20 سنـة وهذا شيء مهم ، وكونها سيدة اهم منه ، لانها اعرف بمشكلات بنات جنسها ولا تتهم بانانية الجنس الآخر، وقد زارت مصر ومكثت فيها عدة اسابيع زارت خلالها المدارس والجامعات ومخيمات الشباب والمؤسسات الاجتماعية ومراكز الاحداث والمراة والاطفال وبعض الاسر فى مختلف الاحياء وذلك فى رحلة دراسيـة لبحث مشاكل الشباب والمراة فى المجتمع العربي، قالت السيدة « هيلين » :

« ان المجتمع العربي مجتمع كامل وسليـم ، ومن الخليق بهذا المجتمع ان يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشاب فى حدود المعقول ، وان هـذا المجتمع يختلف عن المجتمع الاوربي والامريكـي ، فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المراة وتحتـم احترام الاب والام بل تحتم اكثر من ذلك عدم الاباحية الغربية التي تهدد المجتمـع والاسرة فى اوربـا وامريكا ، ولذلك فان القيود التي يفرضها المجتمع العربي على الفتـاة الصغيـرة واقصد ما دون سن العشرين ، هذه القيود نافعة وصالحة ، لهذا انصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم واخلاقكم ، وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة بل ارجعوا الى عصر الحجـاب فهذا خير لكم من اباحية وانطلاق ومجـون اوربـا وامريكـا » .

واضافت هذه السيدة قائلة : « امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين فقد عانينا منه فى امريكا الكثير، لقد اصبح المجتمع الامريكي مجتمعا معقدا مليئا بكل صور الاباحية والخلاعة ، وان ضحايـا الاختـلاط والحرية قبل سن العشرين يملأون السجون والارصفة

والبارات والبيوت السرية ، ان الحرية التي اعطيناها لفتياتنا وابنائنا الصغار قد جعلت منهم عصابات احداث ، وعصابات جيمس دين (1) وعصابات المخدرات والرقيق ، لقد هدد الاختلاط والاباحية والحرية في المجتمع الامريكي والاوربي كل الاسر ، وزلزل القيم والاخلاق . فالفتاة دون سن العشرين في هذا المجتمع تخالط الشبان وترقص التشاتشا(2) وتشرب الخمر والسجائر بل وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والحرية والاباحية وتلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها ، بل وتتحدى والدها ومدرسها والمشرفين عليها ،،، تتزوج في دقائق وتطلق بعد ساعات ولا يكلفها هذا اكثر من توقيع تكتبه و 20 قرشا تؤديها . وللعريس ليلة أو بضع ليال وبعدها الطلاق وربما الزواج والطلاق مرة اخرى (3) .

ان هذه الصرخة الشديدة بقطع النظر عما تحتويه من نصح للمراة العربية بتمسكها بتقاليد الاسرة والمجتمع تدهور وانحلال في بناء الاسرة وبيت الزوجية ، وانها لتضع المؤشر على منشأ الداء الذي هو حرية الفتاة واختلاطها بالشبان واطلاق العنان لتصرفاتها العاطفية في السن التي تطغى عليها هذه العواطف ولا تملك كبحها او ضبطها بحكمة وتبصر وهذا هو السر فيما كانت المجتمعات الاسلامية تأخذ به من عزل للفتاة عن الاختلاط بالشبان وما تأمر به الشريعة من التفريق في المضاجع بين الذكور والاناث منذ الصبا ، ولو كانوا من ذوي الارحام !،، (4)

وهذه الوضعية المنحلة التي اصبحت عليها المراة الغربية ، انما طرات عليها قريبا بحيث لا ترقى الى ما قبل الحرب العالمية الثانية فقد ادركنا هذه المراة برغم سفورها تعتزل مجتمعات الرجال ولا تبدي من زينتها الا القليل وكان بها بقية من حياء فلا تتجرد في الاماكن العامة كالمسابح والميادين الرياضية امام الجمهور ، وكانت الفتاة لا تخالط الا لداتها من الفتيات ولا ترى مع شباب الا اذا كان خطيبها وبصحبة اقاربها ، وما عصفت العواصف بالمراة الغربية وتدنت الى هذا الحضيض الا منذ العهد القريب الذي اشرنا اليه .

وقيل ان طبيبا امريكيا يدعى الدكتور (سبوك) وهو اختصاصي في طب الاطفال اصدر كتابا عن طرق العناية بالطفل وتنشئته ، وترجم هذا الكتاب الى اكثر من ثلاثين لغة ، وكان خلال العشرين سنة الماضية أكثر الكتب توزيعا في العالم ، وهو كتاب تودي فلسفته تقوم على حرية الطفل وعدم استخدام الحدود والقيود معه الى سن الشباب وقد اعتبرته كل ام دليلا لها في تربية اطفالها ، فالجيل المتردد على الاخلاق والآداب العامة هو جيل الدكتور سبوك هذا ، وتقوم الآن دعوة مضادة من المربين وعلماء الاجتماع للعودة الى اسلوب التربية القديم الذي يأخذ الابناء والبنات بالحزم في سن الطفولة والعودة الى عقوبة الضرب وغيرها في البيت والمدرسة حتى يستقيم سلوك النشىء ويراجع سيرة الآباء والاجداد (5) .

ومهما يكن من امر فان نزعة الانحلال هذه ما تزال غالبة على المجتمعات البشرية وخصوصا في الغرب الذي هو قدوة المجتمعات الاخرى لا سيما في هذه التصرفات الشائنة والسلوك الهابط ، وفي العالم الاسلامي ادى التقليد الاعمى للغرب الى ارتباك في الرأي وتمرد على تعاليم الدين ففي هذه المواضعات المتعلقة بالمراة ، نجد الناس بين مستهجن ومستحسن ، واغلب المستحسنين انما يؤثرون اهواءهم ، والا فانهم عندما يكونون مع غيرهم ، يستنكرون تلك المظاهر ويعيبون على المراة تبرجها واستهتارها ، ومن الادلة الواضحة على ذلك أن كثيرا من الشباب الذين يميلون الى اللهو والعبث لا يختارون زوجاتهم من الفتيات المتحللات فكأنهم انما يريدونهن على تلك الحال لارضاء شهواتهم ، وأما الزوجية فلها عندهم شروطها المعقولة ، ومن علامات

---

(1) ممثل امريكي له افلام أثرت كثيرا على سلوك الشباب .
(2) نوع من الرقص الفولكلوري المكسيكي خارج عن تقاليد الغربيين في الرقص .
(3) نشر هذا التصريح في مجلة الاعتصام القاهرية بعدد جمادى الاولى 1397 .
(4) جاء في الحديث الذي رواه ابو داود : مروا أولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع .
(5) احمد بهاء الدين ، مجلة العربي عدد اكتوبر 1977 .

الارتباك الواقع فى هذا الامر انك تتصفح الجريدة الواحدة فتجد فيها مقالا فى تشجيع المراة على الخروج من سجن التقاليد والثورة على الوضعية التي وجدت عليها أمها وجدتها ، والتي تقول الجريدة انها من صنع الرجل واملائه وانانيته ، غير خجلة ان تدعي أن المراة انما كانت تغادر البيت مرتين فى العمر ، مرة عند الذهاب لبيت الزوجية ومرة عند حملها الى القبر ،،، ثم تجد فى نفس الجريدة مقالا آخر فى دعوة المراة الى التصون والعفاف والتزام الحياء والآداب التي أدبها بها القرءان وعدم تقليد المراة الغربية فى خلع العذار والطيش واتباع نزواتها الشخصية ، حفاظا على كرامتها وسمعة اسرتها وطهارة مجتمعها ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على أن المراة المسلمة لم يبق زمامها بيدها وأنها قد أصبحت مثل السلعة المعروضة فى الاسواق تخضع للمزايدة وتقوم تقويما رابحا او خاسرا ، بحسب الاغراض والمطامع ، فى حين أن الشرع اعطاها قيمتها الحقيقية ورفعها فوق هذا المستوى الهابط الذي يضعها فيه الرجل العصري الذي فقد هو بدوره ميزان الاعتدال والراي الصحيح .

فهي مدعوة الآن لمراجعة سيرتها على هدى الاسلام ، واتخاذ الموقف الذي يحميها من الانحراف مع التيارات الهدامة التي تنتهي بالمراة أحيانا الى سوق الرقيق الابيض كما هو مشاهد بالنسبة الى كثير من بنات جنسها فى الغرب ، ولسنا نخطط لها برنامجا من عندنا او نقترح عليها منهاجا وانما نهيب بها ان تبعث شخصيتها من جديد وتحيطها بما احاطها به الاسلام من ضمانات وخصها به من امتيازات .

ان الاسلام رفع مكانة المراة الى ما لم تصل اليه فى عصر سابق او لاحق ، وما يرى من تطور المراة الغربية ليس تقدما وانما هو ظاهرة مرضية نحرص كل الحرص ان تبقى المراة المسلمة بمنجاة منها . فهي على حالها الراهنة اصح جسما ونفسا ، وبتمسكها بتعاليم دينها تكون ارفع مكانة وقدرا ، ولعل فى الحملة التي تشن من حين لآخر دفاعا عن حقوق المراة والاعلان عن تخصيص سنة 1975 من طرف الامم المتحدة لحماية المراة اعترافا ضمنيا بأن المراة فى المجتمع العصري مهضومة الحقوق محتاجة الى من يحميها من الاخطار التي تستهدف لها يوميا ، فالرجل الغربي تخلى عن المراة نهائيا سواء كانت أما او اختا او بنتا ولربما زوجة ايضا ، فكثير من الازواج يعيشون منفصلين بعضهم عن بعض بسبب العمل المختلف ، وانما يلتقون فى مناسبات الاعياد والعطل الرسمية ، أما النساء الاخريات وأعني بهن الام والاخت والبنت فضلا عن ذوات القرابة البعيدة ، فعليهن أن يعملن ليؤمن لانفسهن السكنى والعيش ومتطلبات الحياة العديدة ، ومن المناظر المعتادة ان ترى افواج النساء من مختلف الاعمار يتراكضن عند انبثاق الفجر فى المدن الكبرى باروبا لركوب القطار، او (الميترو) لحاقا باعمالهن ، مرتجفات من الصقيع فى ايام البرد والشتاء ، كما تراهن مزدحمات عند ابواب المطاعم والمقاصف ظهرا لسد ما بهن من حاجة الى الطعام او الشراب ، واكثرهن لا يجدن مقعدا ويكتفين بتناول ما يتناولنه واقفات ، ولو كان هؤلاء من الفقيرات المعدمات وممن لا كافل لهن ولا ولي ، لكان طبيعيا ومقبولا ، ولكنه عام وشائع فى الاسر والبيوت من مختلف الطبقات ، وانما دعا اليه هذه الحرية المطلقة التي اعطيت للمراة منذ نشأتها ، وما ترتب عليها من انقطاع الاواصر التي تربط أفراد الاسرة بعضهم ببعض ثم التهالك على الترف والمتعة وما يتطلبه من واسع النفقة التي لا يكفي معها اي دخل أو رصيد مهما ارتفع ، فتنكر الرجل لذويه والقى حبل كل شخص على غاربه ، وهكذا خرجت المراة والبنت للعمل وانهارت الحياة البيتية ، واصبح المجتمع يتمرغ فى أوحال الفرقة والشقاء ويعاني مساوىء الحرية المكذوبة .

لقد حماك الاسلام ، ايتها الاخت المسلمة من هذه الموبقات وحال بينك وبين الوقوع فى شبكتها المردية فأنقذك وانت مولودة من الوأد ضيقا بالنفقة عليك او فرارا من العار فى زعمهم فقال كتابه العزيز : « واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت » (6) وقال : « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا » (7) ثم وضع على راسك

(6) سورة التكوير 8 و 9 .

(7) سورة الاسراء 31 .

تاج الكرامة وانت زوجة فأوجب نفقتك على الـــزوج ولو كنت غنية وكذا البنت والاخــت والام تجــب نفقتهن على الاب والاخ والولد طبعا ، ان لم يكن لهن من هو أولى بها من هؤلاء ، وبذلك حفظ رباط الاسرة من التفكك وابقى على الحياة البيتية بما لها من معاني التواد والتواصل والبرور والانس ، فيا اسفــي ان يتقوض هذا البناء الشامخ وان يجعلوك تساهمين في تقويضه وهو ان وقع انما يقـــع عليـــك انت قبـــل غيـــرك ! ،،،

ثم ان الاسلام لم يجعل نفقتك على الزوج لاذلالك واستعبادك كما يقول ذلك المفسدون والمتنطعون ، ولكن لحمايتك من ذل العمل وابتذال التسخيـــر ، بدليل انه انما حملك الى بيت الزوجية بعد الخطبة واعتبار الكفاءة ودفع الصداق والرضى منك وهـــي هالات من التكريم والاكبار لك ، تحسدك عليها بنات جنسك من الملل الاخرى التي تدفع هي المهر للزوج فتستخذي له من اول يوم ، وزاد على ذلك انه جعل لك رعاية البيت (8) ومسؤولية تدبير هذه المملكـــة الصغيرة بما فيها من شؤون مادية وادبية وتربيـــة الاولاد وغيرها .

وهذه الاخيرة لها اهمية كبرى لانها تجعل لـــك الاشراف على تكوين النشىء الطالع ، فالبيت هـــو المدرسة الاولى وانت مديرة هذه المدرسة ، مـــن خلالها يتكون المجتمع ويتقرر مستقبل الامة ، وما دام الامر كذلك فانت مستطيعة ان تطبعي الاولاد على ما شئت من طاعة واحترام لك وحسن سلوك وادب مع الناس ، ومهما تخليت عن هذه المهمـــة الاساس فان الاولاد ينشأون على التمرد وسوء الخلق ومن ذلـــك يكون فساد المجتمع وتدهور معنويات الامة .

على ان الاسلام لم يمنع المراة من العمل عنـــد الاحتياج اليه بشرط ان لا تضيع واجباتها البيتية ، ومنها الحضانة التي خصها بها وجعلها تنتقل بيـــن اقرب النساء الى المحضون عطفا واهلية ، اقـــرارا لحق المراة في تكوين النشىء كما سبق القول حتى حين تكون مفارقة لوالد المحضون .

ومجالات عمل المراة كثيرة فلها ان تتاجـــر في مالها وتضارب عليه من شاءت ولها ان تشتغل بالمهن الحرة من طب وتمريض وتعليم وغيرهـــا كما لها ان تزاول هذه المهن في نطاق الوظيفة العمومية للدولة وقد ولى عمر بن الخطاب الشفاء وهي ليلى بنت عبد الله القرشية من فضليات الصحابيات بعـــض أمـــر الســوق وهو ما يعرف بالحسبة (9) ، وفي مذهـــب ابي حنيفة يجوز أن تتولى المراة القضاء في الاموال دون القصاص ، وعن محمد بن الحسن وابن جريـــر الطبري يجوز ان تكون قاضية على كل حـــال (10) ، وهذا بالطبع في دائرة النظام الاسلامي واخلاقياته ، فلا يجوز ذلك مع التبرج السافر والكشف لما عـــدا الوجه والكفين ، والاختلاط غير الضروري ، وقـــد عمل نساء الصحابة والصدر الاول الى جانب ازواجهن وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ميادين عديدة واعظمها ميدان القتال من غير نكير ، فكانـــت رفيدة تداوي جرحى الصحابة وتتولى تمريضهم في الغزوات ، ونصب لها النبي صلى الله عليه وسلـــم خيمة في المسجد لهذا الغرض كما في سيرة ابـــن اسحاق ، بل ان من امهات المومنين من كن يقمـــن بخدمة المجاهدين كعائشة فقد رئيت هي وام سليم رضي الله عنهما في احد (11) وانهما لمشمرتان عن سوقهما وقرب الماء على ظهورهما تفرغانه في افواه القوم ، وفي احد ايضا لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم قامت السيدة فاطمة الزهراء على علاجه (12)، واول ما ركب المسلمون البحر للغزو في عهد معاوية كانت ام حرام بنت ملحان معهم كما في الصحيح .

وهذا مما يدخل في الواجبات والحقوق التـــي لا فضل فيها لاحد على آخر رجلا كان او امراة كمـــا تفصح به الآية الكريمة القائلة : « ولهن مثـــل الذي

---

(8) جاء في الحديث الذي رواه الجماعة : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ،، والمراة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها .

(9) الزرقانـــي على الموطأ ج 1 ص 271 .

(10) المنتقـــي للباجـــي ج 5 ص 182 .

(11) البخاري كتاب المغازي باب اذهمت طائفتان منكـــم أن تفشـــلا .

(12) الاربعين الطبية بتحقيقنا الحديث 22 .

عليهن بالمعروف » (13) ، فالمراة تبدي رايها في الشؤون العامة سياسة وتشريعا واقتصادا ويوخذ برايها في ذلك كالرجل بشرط الاهلية فيهما معا ، والسيرة النبوية تثبت استشارة النبي صلى الله عليه وسلم لزوجه أم سلمة (ض) في غزوة الحديبية واخذه برايها (14) ومن ثم يسميها بعض العلماء مستشارة النبي ، وعمر بن الخطاب كما هو معروف رجع الى راي المراة التي عارضته في تحديد الصداق بمبلغ يسير وهو على المنبر فقالت له : ليس ذلك لك ولا لغيرك وقد قال الله تعالى : « وآتيتمو احداهن قنطارا » فقال رجل اخطأ وامراة اصابت كل الناس افقه منك يا عمر (15) واجارت أم هانيء بنت ابي طالب رجلا كافرا فهدده اخوها علي (ض) بالقتل فرفعت ذلك للنبي (ص) فقال قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء (16) ، فهذه اشياء تدل على مكانة المراة في الاسلام وانها على قدم المساواة مع الرجل في الحقوق والواجبات الا فيما استثنى من الاحوال الخاصة التي تقتضيها طبيعتها وتكوينها البيولوجي رفقا بها وتخفيفا عنها ونفيا للحرج وتحقيقا لسماحة الدين ، واكثره مما يرجع الى الرياسة التي تقتضي الحماية والنصرة والدفاع عن الحمى والحريم ، وهو امر لا يقوم به الا الرجال في جميع المجتمعات قديما وحديثا وهو الدرجة التي اشير اليها في تمام الآية السابقة بقوله تعالى « وللرجال عليهن درجة » .

اما التفضيل بين الجنسين ورفع أحدهما على الآخر باطلاق فالخوض فيه مما لا طائل تحته ، لا سيما والتفاضل بين الناس انما هو بالاعمال الصالحة وليس كل رجل افضل من كل امراة ولا كذلك العكس ، والذين يثيرون هذه الشبهة انما يريدون التفريق والتضريب بين المومنين وتاريث العداوة بين الجنسين رغبة في تقويض المجتمع الاسلامي المتماسك .

ونعود الى القول ان مزاولة الاخت المسلمة للعمل عند الحاجة اليه مقيدة بالالتزام بآداب الاسلام من عدم التبرج وابداء الزينة واجتناب الاختلاط بالرجال والخلوة المثيرة للشبهة ما امكن حرصا على الطهارة وعدم الاثارة التي هي سيما المجتمع الاسلامي ، وهكذا ينبغي ان يفهم ما ذكرناه من عمل الصحابيات ونساء صدر الاسلام ، فان الله عز وجل يقول : « ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن » (17) ، وذلك سواء اثناء العمل او في الشارع او في السفر وهو مما لا رخصة فيه ابدا الا لمن استثني من المحارم كما جاء في الآية المعقبة على الآية السابقة وهي قوله تعالى مع التأكيد لعدم ابداء الزينة « ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن » الآية (17) .

وهنا ينبغي أن نقول كلمة في الحجاب والسفور لكثرة ما وقع من الخوض فيهما وعدم تحديد المراد بهما شرعا على وجه دقيق ، فالحجاب الذي يامر به الاسلام هو ما المعنا اليه من عدم ابداء الزينة وعرض محاسن المراة على الاجانب منها اثناء العمل وفي الشارع ، والسفور الذي ينكره الاسلام هو هذا بالذات وليس مجرد كشف الوجه واليدين مما لا قائل به من اهل العلم ، والدليل على ذلك ما جاء في الحديث عن عائشة (ض) أن اسماء بنت ابي بكر دخلت على رسول الله (ص) وعليها ثياب رقاق فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا اسماء ان المراة اذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها الا هذا وهذا ، واشار الى وجهه وكفيه (18) ، فالوجه والكف اذن هما المراد بما ظهر من زينة المراة المستثنى من الابداء في آية « ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها » ناهيك أن احرامها عند الحج فيهما أي في كشفهما فلو سترتهما لوجبت عليها الفدية ، وانها مطالبة بستر جميع بدنها عند الصلاة ما عدا الوجه والكفين فلو صلت متنقبة لفعلت مكروها لانه غلو في الدين قاله الشيخ ميارة في شرحه الكبير لقول ابن عاشر :

---

(13) سورة البقرة 228 .
(14) سيرة الحلبي ج 3 ص 27 .
(15) تفسير ابن جزي وغيره .
(16) موطا مالك في باب صلاة الضحى .
(17) سورة النور 31 .
(18) رواه ابو داود في كتاب اللباس : باب فيما تبدي المراة من زينتها .

وما عدا وجه وكف الحــرة

يجب ستره كما فى العــورة

وفى الاكمال لعياض : ليس بواجب أن تستــر المراة وجهها ، انما ذلك استجباب وسنة لها ، يعني عادة وعرفا لفساد الزمن وانحلال الاخــلاق ، والا فالحديث صريح فى جواز ذلك . قال وعلى الرجــل غض بصره عنها الا لغرض صحيح من شهادة او تقليب او نظرة امراة للزواج او نظر الطبيب ونحو هذا .

وفى ميارة فى المكان المشار اليه نقلا عن ابن الحاجب : وعورة الحرة مع الرجل الاجنبي جميــع بدنها الا الوجه والكفين فليسا بعورة ، وتحريم النظر اليها انما هو لخوف الفتنة لا لكونهما عورة .

هذا هو الحجاب الشرعي المطلوب منك ايتهــا الاخت العزيزة وهو ما عليه نساء البادية اللائي يكون 75 ٪ من نساء العالم الاسلامي ولا أعترض عليهن من احد ، انما الاعتراض على ابداء الزينة من الشعــور والصدور والاطراف وكذا تطرية الوجه والتعطــر والتهادي فى الشوارع والاماكن العمومية ، لان ذلك ليس مما يتوافق واوامر الشــرع المطــاع وآداب المجتمع الاسلامي الطاهر ! ؟، والكلام موجه اليــك لتختاري بين طاعة الله وطاعة غيره ، فمسؤوليــة المخالفة تقع عليك وحدك ؛ اما الذين يزينون لــك سـبيل الهوى فعليهم مسؤولية الدعوة الى الباطــل وبا ما اخطرها من مسؤولية !

ونخلص الى بعض الايرادات التي يشوشون بها عليك وينتقدون فيها احكام الطلاق والتعدد والميراث، مرددين كلام المبشرين المسيحيين وخصوم الاسلام بعامة ، من الاجانب الطاعنين فى القرءان وشريعتــه والنبي محمد (ص) وسيرته ، ويسوءنا مع كامــل الاخلاص ان تؤثر فيك بعض دعايتهم على ما فيها من مغالطة واسفاف ، فيتبري من صفوفك من تنظــر بنظرتهم وتنطق بلسانهم ، والى هذه وامثالها ينبغي ان تصر فى جهودك لاقناعها بالايمان بما انزل الله ، وانه خير لها بالذات ، وان لا تعير سمعها للترهــات ولا تعمل على فتنة بنات جنسها من المومنات الغافلات ، فان كلامها يؤثر فيهن اكثر مما تؤثر وسوسة الاجنبي ودسه المكشوف وعلى الله قصد السبيل .

ولا اخالني بحاجة الى بيــان ما فى تشريــع الطلاق من مصلحة للمراة نفسها على كراهية المشرع له ، ولكن تحيط بالزوجية ظروف يكون الطلاق هــو الملجأ الوحيد للتخلص منها ، وعليها تصدق الآيــة الكريمة : « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته » (19) وكفانا ان الذين كانوا يعيبونه ويعيــرون شريعــة الاسلام به ، قد تبنوه واستهتروا فيــه حتــى ان حوادثه فى بعض البلاد كامريكا تعد باثنتين فى كــل دقيقة ، والمعركة السياسية الكبرى التي قامت فى ايطاليا منذ بضع سنوات للاعتراف بالطلاق كانــت عبرة للناس ودليلا على مرونة التشريع الاسلامــي ورعايته للمصلحة العامة ، وما ان تقرر حكم الطلاق بتصديق البرلمان الايطالي له ، حتى سارع اكثر مــن مليون ايطالي وايطالية لطلبه والتفصي من رابطة كانت صورية لا انعكاس لها مطلقا على واقع الحياة .

واما مسالة التعدد ففضلا عن انه مباح وليس الزاميا فان مصلحته تعود على المراة اكثر من الرجل ذلك أن عدد النساء اكثر من عدد الرجــال بحكــم احصائيات المواليد وبحكم ما يتعرض له الرجال من حوادث الموت كالقتل الجماعي فى الحروب ، والفردي اثناء السير فى الطرق العمل الشاق وغير ذلــك ، ونتيجة لهذا الواقع الذي لا ينكر ، يفضل اعداد من النساء لا امل لهن فى الزواج الا مع تشريع التعدد ، فهو الذي ينقذهن من وهدة السقوط او العنــيس الابدي وفيه من الحرمان ما لا يخفى ، كما ان عــار السقوط يكسو المراة ذلا ومهانــة ويتعداهــا الى اسرتها ومجتمعها ، وهي ان لم تنزل الى درك العهارة والمتاجرة بعرضها تقع فى شرك المخادنة والاتصال غير الشرعي بالرجل ، الذي غالبا ما يكون متزوجا ، وهذا هو التعدد بعينه ، وان لم يعتبــره القانــون الوضعي كذلك ، ولكن العبرة بالواقع لا بالتسمية ولا بعدم متابعة القانون ، والمراة فى اروبا وامريكا تعاني من هذا الواقع مضض الحياة ، ولذلك تنبري بعض النساء هناك احيانا للمطالبة بالتعدد حفظا على كرامة المراة وما يلحقها من غضاضة هي واولادها واسرتها من جراء الحياة العابثة وجمود القانون اضافة الى ان

(19) ســورة النســاء 130 .

عدم التعدد ليس من الدين المسيحي ، فقد جاء في كتاب قصة الحضارة للكاتب الامريكي ويلي دويرانت : « ان اصطناع المسيحيين لنظام الزوجة الواحدة بعد مخالفة للانجيل الذي يبيح التعدد » .

ومن اغرب ما يسمع انه بعد الحرب العالمية الثانية قامت فتيات من المانيا بتمرد كبير على ممارسة الزنا ، ورفضن أن تقضي الفتاة حياتها مبتذلة متاجرة بعرضها في سوق الدعارة ، او أن تبوء بوليد يحمل سمات البنوة الذليلة امام سواه من الاولاد الذين لهم آباء شرعيون ، وطلبن أن يكون الزواج مناوبة بين النساء ، فتقضي احداهن مع الرجل مدة معينة ثم تخلي السبيل لغيرها كذلك ، وقد الفت الجمعيات للمناداة بهذا الراي ، وهو امر غريب يعتبر صدى لثورة الفطرة البشرية في المراة على القوانين الوضعية التي تمتهن الشرف ولا تبالي بالمثل والاخلاق .

وحق للفتاة الالمانية ان تثور هذه الثورة ، فان الحرب العالمية الثانية قضت على 20 مليونا من الشباب الالماني ، ومثل هذا العدد ذهب ضحية تلك الحرب الاجرامية من شباب البلاد الاوربية الاخرى ، فكيف تحل الارامل والعوانس هناك أزمتهن الزوجية الا بالتعدد الشرعي لو اهتدى له القوم ؟ .

وهذا في المجتمع المتسامح في العفة والبكارة والعرض فماذا يكون حال المجتمع الاسلامي الذي يراد منه أن يعطي المثال في الطهارة للمجتمعات الاخرى اذا الفينا منه هذا التشريع الذي وضع بالاصالة للمحافظة على طهارته ؟ وهل تقدر المسلمة التي تدعو الى منع التعدد مسؤوليتها امام الله والناس ؟ .

انها دعوة انانية تهدر بها حق اختها الارملة او العانس من التمتع بدفىء الزوجية وما تتبنك هي فيه من رفاه ونعيم ، بله الذرية وما تؤمنه لها من حسن الرعاية في سن الشيخوخة وجميل الذكر بعد الوفاة ، ولتضع هذه السيدة نفسها مكان اختها المحرومة ولتقل لنا هلا ترضى ولو بأقل الحظ في الزواج اذا لم يتح لها كاملا كما طلبت الفتيات الالمانيات الزواج بالمناوبة لكونهن لا يعرفن شرعية التعدد ؟ .

نعم عوض التذمر من الطلاق والتعدد والمطالبة بالغائهما يصح أن توجه العناية الى تنظيمهما تنظيما يتفادى فيه كثير من الضرر الذي ينشأ عنهما ، وقد اتخذت بالفعل بعض الاحتياطات فيما يتعلق بالطلاق ولزومه ، وبالنسبة الى التعدد يمكن ان يقيد بالقدرة على الانفاق وعدم اهمال الاولاد وصيانة حقوق الزوجة الاولى التي نص عليها الشرع ولكن بعض المنحرفين يتجاوزونها فتحافظ على اصالتنا ونرضي تطلعات الجيل الجديد .

بقيت قضية الارث وهي من ايحاء اولياء الشيطان الى المراة ليفسدوا عقيدتها ويوقعوا بينها وبين اقرب الناس اليها من أب وأخ وزوج وابن وفيهم من يرث اقل منها ، وما منهم الا من تجب نفقتها عليه عند عدمها واحتياجها ، وما راوا انها لا ترث شيئا مطلقا في قوانين وضعية لامم توسم بالتقدم والحضارة كانجلترا مثلا التي تورث الولد الاكبر ولا تعطي لغيره شيئا ذكرا كان او انثى ، وفي القانون الفرنسي يحجر على المراة التصرف في مالها ارثا كان أو غيره فلا يمضي شيء من تصرفاتها الا ما وافق عليه الزوج وهو أمر يقضي بعدم رشدها ولكنه لا يلفت نظر الناصحين المدخولين الذين همهم بث البلبلة والنفور في نفوس الفتيات والنساء المسلمات من تعاليم دينهن وشرعه القويم « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » (20) .

اننا نريد أن تكون المراة المسلمة يقظة حذرة مما يدبر لها من المكائد التي تبعدها عن دينها وتجعلها بوقا للتبشير والدعاية لمبادىء ملحدة ومذاهب مادية، عوض ان تبشر بالاسلام وما اتى به من الخير والاصلاح العام ورفع من شأن المراة واعطاها من الاعتبار ، ونؤمل أن تكون قد اقنعنا من ارتابت من الاخوات وزدنا المومنة ايمانا ، بهذا البحث المركز على قصره ، واقتصاره على المهمات ، ويبقى مع ذلك موضوع الاسلام والمراة مفتوحا لتضيف اليه الدراسات الجديدة والتطور الفكري الصحيح للمراة العصرية وقائع تكشف لنا عن اعظم دعوة اصلاحية لفائدة المراة تمخض عنها التاريخ . !

طنجة : عبد الله كنون

---

(20) سورة الصف 8 .

الطفل في القرآن الكريم

للدكتور التهامي الراجي الهاشمي

لا شك ان عنوان هذا الحديث « الطفل في القرءان الكريم » قد استرعى انتباهكم ولا شك أن بعضا منكم قد تساءل : أيهتم القرءان بالطفل ايضا أم أن الناس يحلو لهم اقحام هذا الكتاب السماوي في كل مناسبة عابرة تمر بحياتنا ؟ .

القرءان اهتم ، أول ما اهتم ، بالانسان صغير السن وكبيره ، ذكره وانائه ، اهتماما قصد من ورائه اسعاده بازالة كل مظاهر الظلم عنه وابعاد كل أنواع التعاسة والشقاوة من طريقه . تمثل الطفولة الحقبة الاولى الاس في رحلة هذا الانسان الذي كرمه الله بكرامات لم يفز بها غيره من المخلوقات . فلذا سترى القرءان مهتما غاية الاهتمام بانشاء القواعد المتحكمة في كل من يتعامل مع هذا الطفل من قريب أو من بعيد ، وينظم طرق المعاملات معه ، انشاء وتنظيما يكفلان له العيش الهادىء الامين في ظل ضامن لسعادته وهنائه .

ولنستقرىء القرءان الكريم وهو يعالج قضايا الطفل من يوم ولوجه الحياة ، وقت يكون رضيعا لا حول له ولا قوة .

والآية الكريمة التي عالجت الرضاع وقننت قضاياه هي الآية 233 من السورة الثانية البقرة ، تقول هذه الآية : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك ، فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ، وان اردتم أن تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف، واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير » .

يهتم القرءان هنا بالولد الرضيع حين وجوده في حالة غير عادية ولا منتظرة ، حالة فراق أبوين . والرضيع كما لا يخفى ، معرض الى مخاطر والابوين في وئام على سرر متقابلين ، فما بالك به وهما في حالة نشاز وتغابر ؟ لذا أعار القرءان الكريم بالغ عنايته بهذه الحالة الشاذة التي تواجه الصغار في بداية حياتهم ، لا بذلك اللين الذي اتبعه في املاء شريعة السماء على الانسان ولكن بشيء من الشدة تجلت في « الامر على الوجوب » كما يقول الاصوليون، ذلك الامر المستخلص من قوله تعالى « يرضعن اولادهن » وعلى كيفية ابعاد الوهم في اسقاط النفقة عن الزوج المستخلص ايضا من قوله تعالى : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » ومن قوله « وعلى الوارث مثل ذلك » .

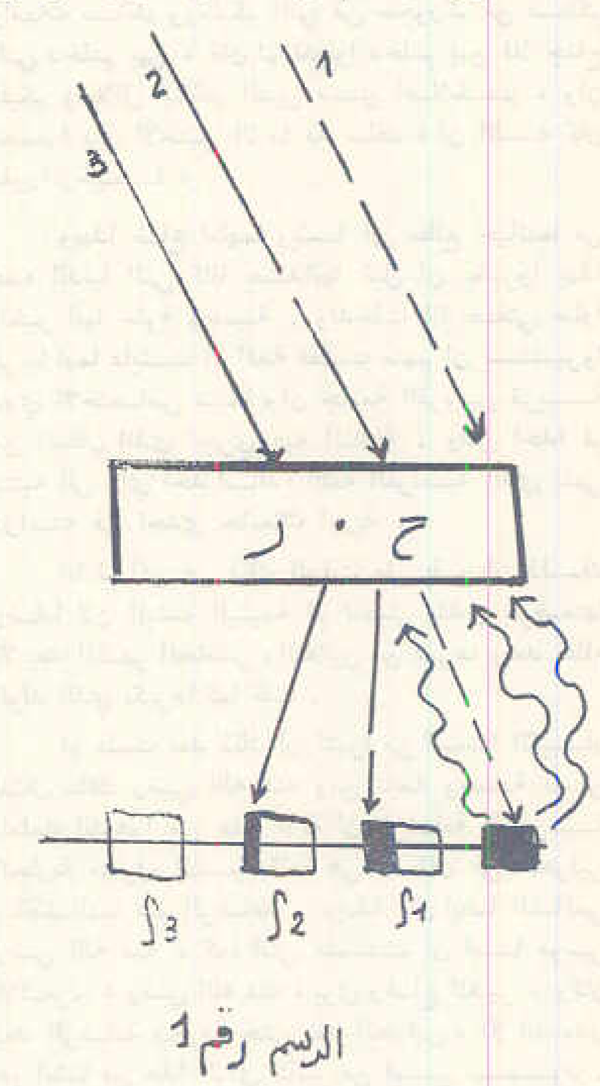
نعم ، حيث يملي القرءان الكريم قواعد المعاملات على العباد لا يترك مجالا لاختيار ، ولذا فهو يملي ذلك

مباشرة وبحزم ، في حين انه يعالج قواعد كثير من الحدود بلين ، وبشكل غير مباشر ، ورحمـــة منـــه وشفقة وتلطفا . وهو قطعا ، لا يرمي في الحالتيـــن معا الا الى اسعاد بني ءادم .

في تصحيح المعاملات بسرعة وبشدة صــــلاح العباد وسعادتهم ، وفي ارساء الحد الذي يجب الا يتعداه الانسان فلاح الناس وسعادتهم أيضا .

فاذا كان القرءان قد عالج تلك على الفور وبشكل عسكري وباشر هذه على التراخي وبشكل لطيـــف ، فان الاولى سلوك جديد لا يضير معتنقه ان اعتنقـــه دون مقدمات ولا تهييء سابق في حين ان الثانيـــة عادات متأصلة يشكل مفارقتها بغتة ضيم على النفس ومشقة على الفؤاد .

لذا نرى ان معظم آيات الحدود أوحيت لرسول



الله بعد الحاح الناس في الطلب عن معناها . وهـــو امر يمكن ان نقربه للاذهان بالرسم البياني الآتي :

يمثل السواد في المربع القدر من الناس الذين ما زالوا غير خاضعين للارادة الفعلية للحق سبحانه وتعالـــــى .

جواب السماء سواد يتخلله بيـــاض كثيـــر ، بعضهم يختار السواد وبعضهم يختار البياض يمثل هذا جواب السماء رقم 1 .

يكثر عدد الذين يستمعون القـــول ويتبعـــون احسنه يمثل هذا الاطار 1 أ .

ينزل امر السماء رقم 2 بعد تعودهم القول رقم 1 فيهدي به عددا كبيرا من المسلمين . يمثل هـــذا الاطـــار رقـــم 2 أ .

واخيرا ينزل الامر رقـــم 3 ليهدي الذيـــن لا يكفيهم اللين والرفق فيتحول النـــاس الى متبعـي الشريعة الاسلامية السمحاء ، وهذا يمثله الاطـــار الابيض رقم 3 . وهكذا نرى أن الامة تنقلب تدريجيا ، بفضل نزول الوحي منجما من حالة ضـــلال الاطـــار الاسود الى حالة هداية وفلاح الاطار الابيض .

فالقرءان الكريم كما نرى من آيـــة الرضـــاع الكريمة اسند امر رعاية الاطفال بعد فراق الوالدين الى الامهات ، فهن ، ولا شك احق برضاع اولادهن من الاجنبيات لانهن أحسن وأرق ، كما أن انتـــزاع الولد الصغير اضرار به وبها ، ومن هنا وجـــب أن نستنتج أن الطفل وان فطم فالام احق بحضانته لفضل حنوها وشفقتها .

ولكن هذه الرعاية التي اعطاهـــا للام شرطهـــا بشرط مهم يجب أن لا نغفل عنه . لقد اسند لها حق الحضانة اذا لم تتزوج ، فان هي تزوجت شغلـــت بغيره ، وان شغلت بغيره اهمل وضاع .

والقرءان رعاية بالطفل الرضيع لم يرد التضييق عليه فليلزمه بالرضاع من ثدي امه وان كره ذلـــك لسبب من الاسباب . فلم يقل ــ رفقا به ولا شـــك « وعلى الوالدات رضاع اولادهن » ؛ كما قال تعالى : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن » ، وكما قال : « وعلى الوارث مثل ذلك » . لذلك كان الرضاع حق للام ولم يكن حق عليها . لكن سيصبير ــ رعاية لـــه مدة اخرى ــ واجبا عليها ان لم يقبل الولد الرضاع من غيرهـــا .

ولقد استنتج الفقهاء من هذه الآيـــة الكريمـــة امورا تعود في معظمها الى حماية الطفل من جـــور الحيــــاة .

ـــ افترضوا ان الاب قد يكون فقيرا فقرروا ان تكون نفقة الرضاع مأخوذة من بيت المال ما دام الطفل فقيرا من فقراء المسلمين الا ان تكون الزوجة الام في يسر فحينئذ تتكفل هي به .

ـــ افترضوا انه قد يكون للزوجة التي لهـــا حق الرضاع عذر يمنعها من القيام بهذه المهمة فقروا ان يكون آنذاك حقا على الاب .

ولم يكن عبثا تحديد مدة الرضاعة بقوله تعالى : « حولين كاملين » وباردافه بقوله تعالى : « لمن اراد ان يتم الرضاعة » . فمن شاء هذا البيان :

اولا ان يحد النزاع الممكن النشوب بين الزوجين المفترقين حالة ارادة احدهما تقصير مدة الرضاعة دون اعتبار مصلحة الطفل المسكين .

ثانيا توضح الآية توضيحا ما عليه من مزيد انـــه يجوز الفطم قبل تمام هذه المدة شريطة رضـــى الام الحنون . ولكن لن يكون ذلك على كـــل حال ، سواء كان الامر يتعلق بالزيادة على الحولين او النقصـــان منها الا عند عدم الاضرار بالمولود . وهذا هو الاهم ، وعند رضى الوالدين معا ، وهذا مهم كذلك .

ولا شك ان الرضاعة التي سيستفيـــد منهـــا الطفل في تكوينه البيولوجي والسيكولوجي لا تكون في اغلب الاحيان الا بتمام الحولين كاملين . لذا قـــرأ مجاهد وابن محيصن : « لمن اراد ان تتم الرضاعة » عوض : « لمن اراد ان يتم الرضاعة » .

واحب الا اترك هذه الفرصة تمر دون ان اثير معكم مسالة يتضرر منها كثيرا بعض الشباب المغربي المقبل على الزواج . غالبا ما نجد شابا يصبـــو الى الزواج من فتاة قضت عليها ظروف معينة ان تتربى معه في نفس البيت ، وان ترضع مما رضع وهو طفل صغير . فيحول بين زواجهما الذي لا شك كان يكون سعيدا لو تم نظرا لهذه الالفة التي استتبت بينهمـــا طفلين صغيرين يلعبان في سرور ثم شابين يافعيـــن يمرحان في صفاء . وكثيرا ما تكون هذه الحرمـــة منعدمة تمام الانعدام بين الشابين الذين ما فـــرق بينهما الا جهل اوليائهما بالقواعد الدينيـــة لملتنـــا الحنيفة ؛ ولا دخل لرضاع فيها .

عرفت طفلين صغيرين تربيا امامي في بيـــت ، اهله على قدر الحال كما تقول ، اما الولد فقد ازداد في البيت من الابوين ، وهو اكبر سنا من البنت . لقد ماتت امها ولها حوالي 35 شهرا . فلما انضمت الى هذا البيت بعد يتم كامل كانت ضعيفـــة البنيـــة . فحنت عليها سيدة البيت حنانا عظيما اذ لـــم ترزق بنتا . فمنحتها بقايا من حليب ما زال يدره ثديهـــا علها تزداد قوة به . فلما كبر الطفـــلان واقبـــلا على الزواج قال الياؤهما لهما والجيران وكل من عرفهما : ان بعضكما محرم على بعض الى الابد لانكما اخـــوان بالرضاعة . وقرا على مسامعهما ، من كان من بيـــن هؤلاء الناس يحفظ القرءان او بعض القرءان الآية 23 من سورة النســـاء : « حرمت عليكم امهاتكم وبناتكـــم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم التي ارضعنكم واخواتكم مـــن الرضاعـــة وامهات نسائكم وربائبكم التي في حجوركم من نسائكم التي دخلتم بهن ، فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين مـــن اصلابكـــم ، وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ، ان اللـــه كان غفورا رحيمـــا » .

وبهذا ضاع املهما ويئسا في مطلع حياتهما من هذه الدنيا التي كانا يعتقدانها قبل ان يخبروا بهذا الخبر انها حلوة وجميلة . وتدخلت انا بصفتي جارا قريبا لهما عايشت الواقعة فطلبت منهم ان يستشيروا ذوي الاختصاص سيما وان جامعة القرويين قريبـــة من المكان الذي تجري فيه النازلة . ولكن احدا لم ينتبه الى راي احد اساتذة اللغة الفرنسية الذي ينهي دراسته في احدى جامعات اوربة .

انا لم اكن في ذلك الوقت على يقين ان ذلـــك رضاعا لان البنت اليتيمة لم تتصل بثدي مرضعتها الا بعد الشهر الخامس والثلاثين من عمرها وبعد فطام الولد الذي يكبرها كما قلت .

ثم علمت بعد ذلك ان كثيرا من ائيمتنا الكبـــار امثال مالك رضي الله عنه ومن تابعه وجماعة مـــن العلماء انتزعوا من هذه الآية ان الرضاعة المحرمـــة الجارية مجرى النسب انما هي ما كان في الحولين وبانقضائهما تتم الرضاعة . وبهذا قال ايضا الشافعي رضي الله عنه . كما انني علمـــت ان ابـــا موسى الاشعري ، رضي الله عنه ، يرى رضاع الكبير . وكان يعد الرضاعة محرمة حتى بعد الحولين ، الا انه عدل هو ايضا عن هذا الراي بتاثير من ابـــن مسعـــود .

وانفرد الليث بن سعيد ، من بين العلماء ، بالقول بأن رضاع الكبير يوجب التحريم . كانت المسألة اذن مطروحة ، وكان العلماء يعتبرون ، عند اتخاذهم موقفا معينا ، ما جاء في القرءان الكريم الذي يرعى الطفل ويحميه .

وقبل ان اغلق هذه النقطة اريد ان أثير الانتباه الى ان مدة الرضاع غير محددة تحديدا عدديا مستقلا وان بدلت كذلك في هذه الآية لان الحولين المنصوص عليهما في قوله تعالى : « حولين كاملين » هي المدة القصوى التي يمكن أن ترضع فيها ام طفلا. اما المدة المحددة فعلا والتي يمكن ان ينطلق منها العد فهي ثلاثون شهرا . تدخل فيها مدة بقاء الطفل في بطن امه ومدة رضاعة . فان طالت مدة بقائه في البطن قصرت مدة رضاعه وان قصرت مدة بقائه في البطن طالت مدة رضاعه بمعنى ما نقص من مدة المكوث في البطن زيد في مدة الرضاعة لكن دائما في حدود ثلاثين شهرا المنصوص عليها في الآية الكريمة : « ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ أربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحا ترضاه ، واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين » .

وعلى هذا تتداخل مدة الحمل ومدة الرضاع وياخذ الواحد من الآخر حسب ما تراه في القانون الآتي المستنبط من الآية اعلاه :

ح + ف ⟺ 30 ش.

لكن لا بد من اعتبار :

و < 2 < 6

لان هذا هو المعروف بالضرورة .

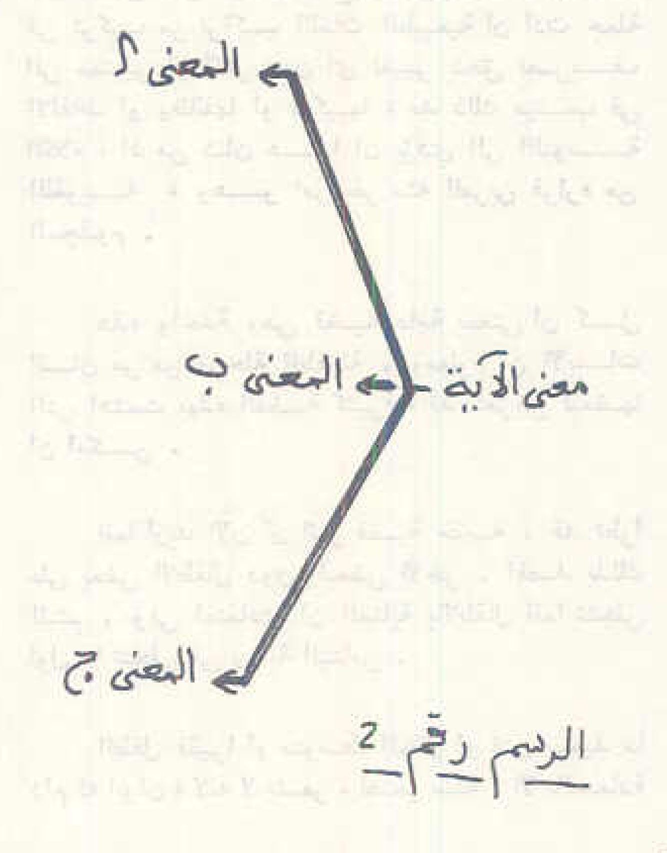
تمثل « ح » الحمل ، و « ف » الفصل المنصوص عليهما في الآية : « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » .

وانطلاقا من هذا وجب ان نستشير ذوي الاختصاص الذين يحيطون بهذه الامور الدقيقة قبل أن تصدر أحكاما ضارة بالعباد ، مرفوضة من المعبود.

ثم يقول الله تعالى في هذه الآية : « وعلى الوارث مثل ذلك » . اسمي هذا الذي في هذا الجزء من الآية بالدلالة المطبقة . ذلك ان الآية القرءانية عندما تدل على معنى ما بالنظر الى بنيتها الظاهرة ثم تدل ، في نفس الوقت على معنى ثالث بالنظر الى نفس البنية ، دون تغيير يلحق بتركيبها تكون آية ذات دلالة مطبقة .

وكل من اتخذ موقفا من هذه المعنى معززا بتفسير ملائم لا يأباه السياق كان على صواب . فلو قال احد في آيتنا هذه « وعلى الوارث مثل ذلك » : الوارث هو وارث الصبي ، أن لومات ، بمعنى أن وارثه من الرجال خاصة يلزمه الارضاع كما كان يلزم ابا الصبي لو كان حيا لكان مصيبا فيما يقول ، لان الآية في مبناها ومعناها تدل على ذلك . لكن لو قال غيره وارث الصبي من الرجال والنساء الذين يلزمهم ارضاعه على قدر مواريثهم منه لكان هو ايضا على حق لانه انما فسر الآية محترما ظاهر بنيتها . ولو قال آخر الوارث هو الصبي نفسه ماولا قوله : « وعلى الوارث المولود مثل ما على المولود له » . بمعنى عليه في ماله اذا ورث اباه ارضاع نفسه لكان ايضا مصيبا فيما يقول لانه لم يصرح الا بما تقول الآية ولم يكن متعسفا فيما ذهب اليه بحال من الاحوال .

وهكذا يصير عندنا :



المعنى ا : الوارث : هو وارث الصبي ان لو مات .
المعنى ب : الوارث : وارث الصبي من الرجال والنساء الذين يلزمهم ارضاعه على قدر مواريثهم منه .
المعنى ج : الوارث : هو الصبي نفسه .

ستقول لي : هذا لبس مخل بالفهم . كنت اقول لك نعم لو ان ذلك كان فى انشاء انساني او لو كان مرد هذا التفسير او واحد من هذه التفاسير على الاقل مضرا بالطفل . لكن بما انها كلها تسعى لاحاطة الطفل بالضمانات اللازمة ، وبما ان جميع تأويلاتها محترمة للنص الرباني احتراما كبيرا ، فليس هناك لبس بالمرة ، وانما هناك ايجاز فى اللفظ واتساع فى المعنى عجيب وهو ما اتسم به دوما القرءان المعجز بلفظه ومعناه .

المعروف فى اللغات الطبيعية ان الالفاظ محصورة وان المعاني لا تتناهى ، بمعنى اننا بمجموعة من الالفاظ نمزجها حسب قواعد معينة مضبوطة نستطيع ان نعبر عن عدد لا يتناهى من المعاني . لكننا لا نفعل ذلك الا حين نغير وظائف هذه الالفاظ او امكنتها فى التركيب او صيغ تصاريفها . فاذا حدث، فى تركيب من تراكيب اللغات الطبيعية أن أدت جملة الى معنيين او اكثر دون اي تغيير يلحق تصريف الالفاظ او وظائفها او تركيبها ، عد ذلك عيب فى الكلام ، اذ من شأن هذا ان يؤدي الى اللبوسة اللغوية ، وهو امر ينفر منه العربي فراره من المجذوم .

هذه واحدة وهي قضية عامة بمعنى ان كل انسان مر من مرحلة الطفولة . ومعلوم أن الآيات التي اهتمت بهذه القضية كثيرة ، قد نتعرض لبعضها ان امكن .

انما أريد الآن ان اثير قضية خاصة . قد تطرأ على بعض الاطفال دون البعض الآخر . اقصد بذلك اليتم . وفى اعتقادي ان العناية بالاطفال انما تتجلى اول ما تتجلى فى رعاية اليتامى .

الطفل فقيرا او متوسط الحال او غني سعيد ما دام له ابوان ، لانه لا يشعر ، لصغر سنه ، الا بالسعادة ما دام ابواه يغمرانه بالحنان . لكن الطفل الذي فقد هذا السند معرض لانواع شتى من المخاطر . منها امكانية تجريده من ماله التليد او الطريف بيد أقوى من يده ، لا قوة له عليها ولا حول . ومنها ان كانت بنتا تزويجها قصرا عنها بمن لا تريد .

قد يبدو لك هذا الكلام وكانه صادر من فوق منبر حديث متحمس . اقول لك هذا كلام مستنبط من آيتين كريمتين هما الآيتان الثانية والثالثة من سورة النساء ، قال تعالى فيهما : « وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا » .

طبعا لا نستطيع أن نمر مرور الكرام على الآيات القرآنية بدعوى اننا فهمناها بشكل تقريبي اكتسبناه من ترتيلنا له . ان الآيات القرآنية كما لا امل ولن امل ترديده لها معان أفقية وهي التي يحصل عليها المرتل المتمهل والمتسرع على السواء . ولها ايضا معاني قعرية يفهمها من يغوص اليها عبر المكون التركيبي والدلالي وفى احيان كثيرة عبر المكون الهيأي أيضا ، كما أن لها معنى وسطي تقع بين الافقية السطحية والقعرية العميقة يساعد على ادراك ما ترمي اليه ظروف نزول الآيات ومحيطه .

ولنمثل لذلك بجزء فقط من الآية الثانية : « وآتوا اليتامى اموالهم . والاختصار المطلوب منا الآن يدعونا الى قياس ما قلناه على ما لم نقله . المعنى الافقي السطحي لقوله تعالى : « واتو اليتامى اموالهم » : اعطوا اليتامى أموالهم .

اما المعنى القعري العميق لنفس هذا المقطع فهو : اعطوا البالغين الذين كانوا ايتاما ما تركه لهم آباؤهم لان لا يتم مع البلوغ . وهذا نظم جميل اتبعه القرءان الكريم فى كثير من الآيات مثل قوله تعالى : « والقى السحرة ساجدين » وأنتم تعرفون الا سحر مع السجود ، وانما يقصد الذين كانوا سحرة .

وطبعا لا يمكن لانسان أن يأتي فيقول لنا : انا

اعرف كيف الوصول الى هذا العمق وتفسيره دون أن نستانس بآية موضحة لهذا العمـــق فى مستواهـــا السطحي والا ادى بنا الامر الى نعتنا بان فى « قلوبنا زيغ » وبأننا « نبغي الفتنة » و « باننا نريد التأويل » ما دمنا « نتتبع المتشابه » .

ولهذا سمى القرءان الكريم هذه الآيات التـــي لها هذا المعنى العميق القعري « متشابهة » وسمى التي زيدت فيها « ذالون » أو اذا اردتم بـ « دوال » كانت مضمرة فى العميقة « محكمة » . وحذرنا مـــن ولوج هذا الطريق دون سلاح فقال : « هـــو الذي انزل عليك الكتاب منه ، آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات . فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلـــم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا بـــه كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب » .

الناس يستطيعون فى اللغـــات الطبيعيـــة ان يجدوا البنية العميقة انطلاقا من البنية السطحية . يكفي فى ذلك ان يطبقوا مؤشرات تركيبية ودلاليـــة وهيابة للوصول الى الغرض المنشود . لكن الامـــر بالنسبة للآيات القرآنية بخلاف ذلك . لان عناصـــر مهمة اخرى اجنبية عن هذه المؤشرات تلعب دورا فى الانتقال من العميقة الى السطحية . هـــذه العناصر قد تكون عناصر مقولية ، ولكنها فى كثير من الاحيان عناصر اعجازية ؛ الوحي وحده يحسن استعمالهـــا ، وهي عناصر غيبية وعناصر روحية وعناصر تقابلية .

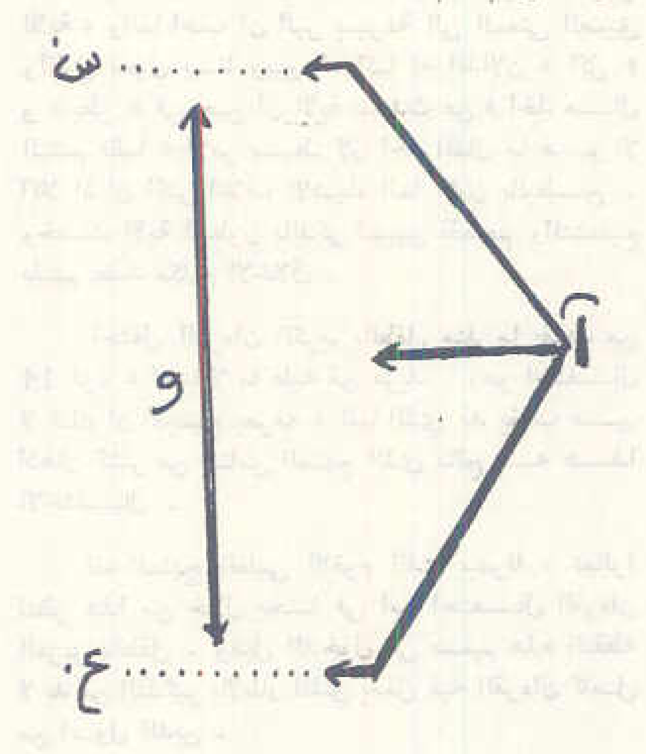
فالآية المحكمة الموضحة ، بمستواها السطحي، للبنية العميقة للآية « واتوا اليتامى اموالهم » هـــي : « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستـــم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم » .

اما المعاني الوسطى التي لا تستنبط لا مـــن العمق ، ولا من السطح ، وانما ، كما سبـــق الاشارة اليه ، من دراستنا لمعطيات النـــزول ، واقصـــد بالمعطيات ، اكررها مرة اخرى ، ظروفه ، محيطه ، بيئته : بيئة اجتماعية ، ثقافية ، اقتصادية ، حربية وحتى ازلية كذلك .

المعنى الوسط المستفاد من هـــذا المقطـــع القرآني هو انه خطاب للاولياء والاوصياء على اليتامى.

والمعنى الوسط المستفاد أيضا من هذا المقطع هو انه نزل فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم ، فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه ، فنزلت الآية . واسم العم هو مرثد ابن زيد .

وهذا ما نستطيع ان نمثل له بالرسم البيانـــي الاتي (الرسم رقم 3) :



آ . = الآية ، وهي هنا : « واتوا اليتامى اموالهم »
س. = المعنـــى السطحـــي
و . = المعنـــى الوســـط
ع . = المعنـــى العميـــق .

وارجو ان يقع التمييز بين هذا البيان الممثل فى الرسم رقم 2 وبين ما يوضحه الرسم رقم 3 . هناك مقطع واحد قصير ، ورغم قصره يـــدل على معـــان متباينة ، وهي معان لا تتعارض وروح الدين الاسلامي الحنيف . فى حين ان البيان الذي يمثله الرسم رقم 3 يوضح معنى واحدا فى مستويات مختلفة ، عميق ، متوسط ، سطحـــي .

ولكن السؤال الذي يجب أن يطرح هو ما هـو العقاب الذي ناله هذا الذي استضعف الطفل اليتيم واكل ماله . الجواب عنه فى الآية العاشرة من سورة النساء : « ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » .

لن اتحدث لضيق الوقت عن المعنى الافقـي للآية ، وانما احب ان اثير بسرعة الى المعنى العميق والذي نحول بيننا وبين ادراكنا له الدالان « اكل » و « بطن » فى حين أن الآية تتحدث عن « اخذ مـال اليتيم ظلما » الامر بسيط لان اخذ المال ما هـو الا اكلا اذ ان اكثر اتلاف الاشياء انما يكون بالبطـن . وخصت الآية البطون بالذكر لتبيين تقصهم والتشنيع عليهم بضد مكارم الاخلاق .

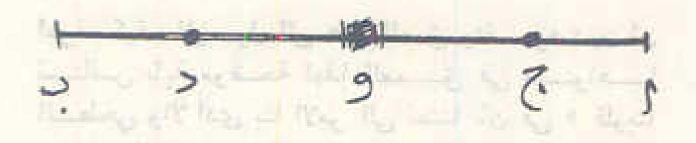
احتفل القرءان الكريم بالطفل منذ ما يقرب من 14 قرنا ، احتفالا ما عليه من مزيد . وهو احتفـال لا شك ان الجميع يعرفه ، انما الذي قد يغيب عـن أذهان كثير من الناس المنهج الذي عالج بـه هـذا الاحتفـال .

انه المنهج العلمي الاقوم الذي يبهرنا . تعالوا ننظر هذا من خلال بحثنا فى امر احتفـال القرءان العزيز بالطفل . وقبل الدخول فى صميم هذه النقطة لا بد من التذكير بالاطار الذي يعمل فيه القرءان كاصل من اصول الدين .

كثير من الباحثين يتعرضون لجانب من جوانب الاسلام غير عابئين بامرين اساسيين ضروريين لكـل بحث متعلق بقضية من قضايا الدين .

الامر الاول : اصول الدين الخمسة ، وهـي اصول متكاملة خلافا لما يعتقده بعض الباحثين الذين يعالجون قضايا المسلمين بأصل واحـد ، عازليـن الاصول الاخرى عن القضية فى حين ان بعضها متمم للبعض الآخر ، وسنرى ذلك فى قضية حماية القرءان للطفـل .

الامر الثاني : الامة الاسلامية أمة وسطى . يريد الله من الامة ان تكون وسطى . لكن باية وسيلـة ؟ بمراعاتها لاصول الدين . نحاول ان تقرب ذلـك الى الاذهان بواسطة رسم بياني . لنفترض ان الحيز الذي يمكن ان تقف فى نقطة ما منه الامة فى امر دينها يوجد بين أ و ب فى الشعاع « أ ب » .



الرسم رقم 4

فان وقفت الامة فى « ج » مثلا ، كانت متطرفة الى اليمين . وان هي وقفت فى « د » مثلا ، كانـت متطرفة الى اليسار . ولن تكون ، وهي معتنقة للـ « ج » او معتنقة لـ « د » امة وسطى كما يريده لها الرب . الا أن الامة ، كما لا يخفى تتركب من تركيبات مـن عشـائر ، من قبائل ، من طوائف ، من فئـات ، مـن جماعات ومن أفراد . لا يمكن ابدا أن يكونوا كلهم ، على تنوعهم ، فى موقف واحد ان لم يعتبروا الامريـن المذكورين سابقا . وبما ان العرب وقت ظهور الاسلام ، كانوا لا يعتبرون هذين الامرين ، بل كانوا يجهلونهما ، فقد كانوا موزعين بين « ج » وبين « د » فى حين أن الدين كان يريدهم فى الوسط .

هذه نظرية فقط ، نطبقها الآن على القضية التي تهمنا وهي حماية الطفل من طرف اصل من أصـول الدين الاسلامي .

يحدثنا القرءان عن الجماعات التي كانت تئـد البنت . فاذا قدرنا ان هذه القبائل وهي كنذة توجد فى الشعاع الموقفي فى « د » وتكفل القرءان الكريم بمحاربة هذا الموقف المحاربة التي يعلمها الجميع . فمن حارب الموقف الفاسد الآخر « ج » ؟ اغلـب المسائل المعروضة فى شريعتنا معروضة على شكل ثنائيـة بل ان بعضها قد عرض على ثنائية واب ، فان الالف قد يتفرع مثلا الى ثنائيـة فرعية أ 1 و أ 2 ، وقد يتولد عن الفرع ثنائية مـا تحت الفرعية فيكون عندنا أ 3 و أ 4 ونفس الشـيء يقع للـ « ب » . وقد يكون حد اهم من الحد الآخر ، وقد يكون حد مباشر وحد غير مباشر . ولكن هـذا امر آخر قد نعود اليه فى لقاء آخر ، فلنعد الى مـا كنـا فيـه .

نقول اذا كان القرءان وهو اصل من اصول الدين حارب التطرف « د » فان الاصل الآخر وهي السنـة حاربت الطرف الفاسد الآخر « ج » لتلتقي الامة كلها

موحدة ، شاعرة بنفس الشعور وحاسة بنفس الاحساس فى الوسط « و » .

تصدى القرءان اول ما تصدى للاعتقاد الفاسد الذي كان العرب يعتقدونه من ان ازدياد بنت في البيت هون يسود الوجه ويجعل صاحبه كظيما ، فقال : « واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به . ايمسكه على هون ام يدسه فى التراب الا ساء ما يحكمون » .

ثم سفه لهم القرءان العظيم تلك الذريعة التي

كانوا يتذرعون بها للتبرير فعلهم الشنيع هذا ، مدمجها فى المحرمات التي حرمها المعبود على عباده فقال فى الآية 151 من سورة الانعام : « قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » .

هذه آية اسميها آية المتن . يتصدى الحق سبحانه وتعالى لهذا المتن فيبسط الكلام فيه بسطا توضيحيا بآيات أخرى شارحة ، مخصصا لكل فكرة واردة فى آية المتن آيتين او اكثر من آيات الشرح . قارن فيما يلي آية المتن 151 من سورة الاسراء وآيات الشرح ابتداء من الآية 23 من سورة الاسراء .

آيــة المتــن

1 ـ قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم :

ا ـ الا تشركوا به شيئا

ب ـ وبالوالدين احسانا

آيــة الشــرح

1 ـ وقضى ربك

ا ـ الا تعبدوا الا اياه

ب ـ وبالوالدين احسانا

اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا . ربكم اعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا . وءات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين . وكان الشيطان لربه كفورا ، واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا . ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، انه كان بعباده خبيرا بصيرا .

آيــة المتــن

ج ـ ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم

د ـ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن

هـ ـ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون .

و ـ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده .

آيــة الشــرح

ج ـ ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطئا كبيرا

د ـ ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا .

هـ ـ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ، فلا يسرف فى القتل ، انه كان منصورا .

و ـ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده .

الرباط : د. التهامي الراجي الهاشمي

الطفولة في الحديث النبوي الشريف

وعناية الإمام البخاري بها في صحيحه

للأستاذ صلاح الدين الأدلبي

اخذت الطفولة حيزا واسعا من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتنى علماء الحديث الذين جمعوا السنة النبوية الشريفة بهذا الجانب ، ولم يغفلوا الاحكام والآداب المتعلقة بالطفل في سائر مصنفاتهم الحديثية . وساتتبع في هذه الدراسة بحول الله بعض ما ورد من ذلك في صحيح الامام البخاري رحمه الله ، لان البخاري بالاضافة الى كون صحيحه اصح كتاب في حديث رسول الله فانه قد اعتنى بتراجم هذا الكتاب ، اى في اختيار تبويبه وعناوينه ، عناية دقيقة فائقة ، بحيث اصبحت تبرز شخصية البخاري وافهامه واستنباطاته .

اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة الطفل التفاتة كريمة ، فليست ولادة الطفل امرا عاديا يمر دون انتباه ، فمن حق المولود ان يسمى ويختار له الاسم الحسن ، وان يماط عنه الاذى ، وان يحنك ، وان يدعى له ويبرك عليه ، وان يعق عنه ، اي ان ينحر عنه شاة او شاتان ، وفي البخاري في باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه وتحنيكه عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : (ولد لي غلام ، فاتيت به النبي صلى الله عليه وسلم ، فسماه ابراهيم ، فحنكه بتمرة ، ودعا له بالبركة ، ودفعه الي) ، وكان اكبر ولد ابي موسى (1) . وروى في نفس الباب عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما انها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة ، قالت : (فخرجت وانا متم ، فاتيت المدينة ، فنزلت قباء ، فولدت بقباء ثم اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضعته ، ثم دعا بتمرة فمضغها ، ثم تفل فيه ، فكان اول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حنكه بالتمرة ، ثم دعا له فبرك عليه) . وروى في باب اماطة الاذى عن الصبي في العقيقة عن سلمان بن عامر الضبي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مع الغلام عقيقة ، فاهريقوا عنه دما ، واميطوا عنه الاذى » (2) . فاذا راى رسول الله غلاما لم يحسن ابوه تسميته بادر فغير اسمه ، فقد روى البخاري عن سهل قال : (اتي بالمنذر ابن ابي اسيد الى النبي صلى الله عليه وسلم حين ولد ، فوضعه على فخذه ، وابو اسيد جالس ، فلهي النبي صلى الله عليه وسلم بشيء بين يديه ، فامر ابو اسيد بابنه فاحتمل من فخذ النبي ، فاستفاق النبي فقال : « اين الصبي ؟ » ، فقال ابو اسيد : قلبناه يا رسول الله . قال : « ما اسمه ؟ » ، قال : فلان . قال : « ولكن اسمه المنذر » ، فسماه يومئذ المنذر (3) وانما لم يذكر في الرواية الاسم الذي كان سماه به ابوه لانه لم يكن مستحسنا فسكت الراوي عن تعيينه .

---

(1) صيح البخاري مع فتح الباري ج 12 / ص 3 — 5 .

(2) ج 12 / ص 9 .

(3) 13 / 196 .

وكان صلى الله عليه وسلم شديد الرحمة والشفقة بالصغار ، بحسن معاشرتهم ، وبحملهم ، ويضعهم فى حجره ، ويقبلهم ، ويعانقهم ، ويمسح على رؤوسهم ، وينهى عن قتل الاولاد فى الحرب ، فهم اطفال ابرياء لا يؤخذون ولا يؤاخذون بجريرة آبائهم المناوئين للهداية الربانية . روى البخاري فى باب بول الصبيان وفى باب وضع الصبي فى الحجر عن عائشة ام المومنين رضي الله عنها انها قالت : (اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بصبي ، فبال على ثوبه ، فدعا بماء ، فاتبعه اياه) (4) ، وهكذا ينتهي الامر بغاية التبسيط والتيسير ، بغسل ما اصابه من بول الغلام دون ضجة ولا كراهية ولا امتعاض .

وفى باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته روى البخاري هذه الاحاديث :

عن ابن ابي نعم قال : كنت شاهدا لابن عمر وساله رجل عن دم البعوض ، فقال : ممن انت ؟ .

فقال : من اهل العراق .

قال : انظروا الى هذا يسالني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي صلى الله عليه وسلم ! وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « هما ريحانتاي من الدنيا » .

— عن عائشة قالت : جاءتني امراة معها ابنتان تسالني ، فلم تجد عندي غير تمرة واحدة ، فاعطيتها ، فقسمتها بين ابنتيها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته ، فقال : « من يلي من هذه البنات شيئا فاحسن اليهن كن له سترا من النار » .

— عن ابي قتادة قال : خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم وامامة بنت ابي العاص على عاتقه ، فصلى ، فاذا ركع وضع واذا رفع رفعها .

— عن ابي هريرة قال : قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الاقرع بن حابس التميمي جالسا ، فقال الاقرع : ان لي عشرة من الولد ما قبلت منهم احدا ، فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : «من لا يرحم لا يرحم» .

— عن عائشة قالت : جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تقبلون الصبيان ؟ فما نقبلهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « او املك لك ان نزع الله قلبك الرحمة ؟ » (5) .

وفى هذه الاحاديث مزيد شفقته صلى الله عليه وسلم على الاطفال ورحمته بهم وحبه لهم ، حتى انه ليحمل امامه بنت ابنته زينب وهو فى الصلاة ، يضعها على الارض اذا هوى للركوع ، ويحملها مرة ثانية اذا رفع من السجود . بل كان صلى الله عليه وسلم يخفف الصلاة والناس مؤتمون به اذا سمع بكاء صبي حتى لا تفتن امه فى صلاتها ولئلا تبطىء عن اسعاف حاله واصلاح شانه . روى البخاري فى باب من اخف الصلاة عند بكاء الصبي عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اني لادخل فى الصلاة وانا اريد اطالتها فاسمع بكاء الصبي فاتجوز فى صلاتي مما اعلم من شدة وجد امه من بكائه » (6) .

وشرع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عيادة الصبي المريض ، وكان يمسح بيد البركة والرحمة والحنان على راس الطفل المريض ويدعو له» وفى باب عيادة الصبيان روى البخاري عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما ان ابنة للنبي صلى الله عليه وسلم ارسلت اليه ... فرفع الصبي فى حجر النبي صلى الله عليه وسلم ونفسه تقعقع ، ففاضت عينا النبي ، فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : « هذه الرحمة وضعها الله فى قلوب من شاء من عباده ، ولا يرحم الله من عباده الا الرحماء » (7) . وفى باب من ذهب بالصبي المريض ليدعى له روى عن السائب بن يزيد قال : ذهبت بي خالتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ان ابن اختي وجع .

---

(4) 1 / 338 و 13 / 40 .
(5) 13 / 32 — 36 ، وروى حديث ابي قتادة كذلك فى 2 / 137 .
(6) 2 / 344 .
(7) 12 / 222 .

فمسح راسي ، ودعا لي بالبركة ، ثم توضأ فشربت من وضوئه (8) .

وكان ظئر ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم (اي زوج مرضعته) قينا (اي حدادا) وكان عليه الصلاة والسلام كثيرا ما يذهب لزيارة ولده ابراهيم. روى البخاري في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم انا بك لمحزونون عن انس بن مالك قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي سيف القين — وكان ظئرا لابراهيم — ، فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم فقبله وشمه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وابراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : وانت يا رسول الله ؟ فقال : « يا بن عوف انها رحمة » ، ثم اتبعها باخرى ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ان العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول الا ما يرضي ربنا ، وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون » (9) .

وجعل عليه الصلاة والسلام من اعظم الذنوب ان يقتل الانسان ولده كما كان ذلك منتشرا عند اهل الجاهلية . روى البخاري في باب قتل الولد خشية ان ياكل معه عن عبد الله بن مسعود قال : قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم ؟ قال : « ان تجعل لله ندا وهو خلقك » . قال : ثم اي ؟ قال : « ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك » . قال : ثم اي ؟ قال : « ان تزاني حليلة جارك » . وانزل الله تعالى تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم : « والذين لا يدعون مع الله الها آخر » (10) .

وروى البخاري في باب قتل الصبيان في الحرب عن ابن عمر ان امراة وجدت في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة ، فانكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان . وفي رواية : فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان (11) .

اما عن ممازحة النبي صلى الله عليه وسلم للاطفال ومداعبته لهم فقد روى البخاري عن محمود بن الربيع قال : عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم مجة مجها في وجهي وانا ابن خمس سنين من دلو (12) . اي ان النبي عليه الصلاة والسلام ملأ فمه ماء من دلو ثم افرغه في وجه الطفل الصغير محمود بن الربيع من باب المزاح والمداعبة .

وكان لاخي انس الصغير وكنيته ابو عمير نغير (طائر) يلعب به ، فمات ، فحزن عليه . روى البخاري في باب الكنية للصبي وقبل ان يولد للرجل عن انس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا ، وكان لي اخ يقال له ابو عمير ، وكان اذا جاء قال : « يا ابا عمير ، ما فعل النغير ؟ » (33) .

وروى البخاري في باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به او قبلها او مازحها عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت : اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابي وعلي قميص اصفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سنه سنه » . قال عبد الله : وهي بالحبشية حسنة . قالت : فذهبت العب بخاتم النبوة فزبرني ابي . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعها » ثم قال : « ابلي واخلقي ثم ابلي واخلقي ثم ابلي واخلقي » (14) . دعا لها بطول العمر ثلاث مرات .

ومما رتب النبي صلى الله عليه وسلم من الفضل لمن يعول طفلا يتيما انه جعله معه في الجنة ، فقد روى البخاري في باب فضل من يعول يتيما عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » وقال باصبعيه السبابة والوسطى (15) . اي قرنهما واشار بهما .

---

(8) 12 / 231 و 13 / 401 .
(9) 3 / 416 .
(10) 13 / 40 .
(11) 6 / 489 .
(12) 1 / 181 .
(13) 13 / 204 .
(14) 13 / 31 .
(15) 13 / 43 .

اما في مقام التربية فما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلك سبيل التقريع او التعنيف فضلا عن اتباع طريقة الضرب ، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها فيما رواه الامام مسلم قالت : (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ، ولا امراة ولا خادما ، الا ان يجاهد في سبيل الله) (16) . وقال انس بن مالك الذي خدم رسول الله عشر سنين قال : (قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ليس له خادم ، فاخذ ابو طلحة — اي زوج امه — بيدي ، فانطلق بي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ان انسا غلام كيس فليخدمك . قال انس فخدمته في السفر والحضر ، **ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا ؟ ولا لشيء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا ؟) (17) .** وقال عمر بن ابي سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله : « يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » ، فما زالت تلك طعمتي بعد) (18) . وكذلك يروي البخاري في أدب السلام بين الصغار والكبار في باب يسلم الصغير على الكبير عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يسلم الصغير على الكبير ، والمار على القاعد ، والقليل على الكثير » (19) .

وقد عني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يهيء الطفل ويدفعه الى حياة المستقبل الكريمة ، ومن ذلك تحريم اكل اموال اليتامى ، فقد روى البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : يا رسول الله وما هي ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، واكل الربا ، واكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » (20) . والطفل اذا كان له مال فهو بحاجة الى من يحفظه له وينميه بالطرق المشروعة الحلال ، واذا لم يكن له مال فهو بحاجة الى ان يترك له والده ما يستعين به على مواجهة الحياة ومتطلباتها ، ولذلك لما ذهب النبي صلى الله عليه وسلم يعود سعد بن ابي وقاص وهو بمكة مريض ، واراد ان يوصي خشية أن يدركه الموت وان كان يكره أن يموت بالارض التي هاجر منها ، ويروي البخاري عنه قلت : يا رسول الله اوصي بمالي كله ؟ قال : « لا » قلت : فالشطر ؟ قال : « لا » ، قلت : فالثلث ؟ قال : « فالثلث ، والثلث كثير ، انك أن تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس في ايديهم ، وانك مهما انفقت من نفقة فانها صدقة حتى اللقمة ترفعها الى في امراتك ، وعسى الله ان يرفعك فينتفع بك ناس ويضر بك آخرون » . ولم يكن له يومئذ الا ابنة واحدة (21) ، ومع ذلك لم يسمح له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوصي من ماله بأكثر من الثلث ، رعاية لحق ابنته ولما قد يرزقه الله من اولاد اذا من عليه بالشفاء . وحتى يكون الاولاد جميعا متساوين في هذا الحق ، اراد من الناس ان يسووا بين اولادهم في العطية ، فقد روى البخاري في باب الهبة للولد عن النعمان بن بشير ان اباه اتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اني نحلت ابني هذا غلاما . فقال : « أكل ولدك نحلت مثله ؟ » قال : لا ، قال : « فارجعه » (22) . وفي باب الزكاة على الزوج والايتام في الحجر روى البخاري عن زينب امراة عبد الله بن مسعود انها قالت لبلال : سل النبي صلى الله عليه وسلم ايجزيء عني ان انفق على زوجي وايتام لي في حجري ؟ فدخل فسأله ، قال : « نعم ولها اجران اجر القرابة واجر الصدقة » (23) ، فجعل نفقة الام على أولادها ليس فيه اجر واحد بل اجران .

(16) صحيح مسلم مع شرح النووي 15 / 84 .
(17) صحيح البخاري 6 / 324 .
(18) 11 / 450 .
(19) 13 / 252 .
(20) 6 / 322 .
(21) 6 / 292 — 297 .
(22) 6 / 139 .
(23) 4 / 70 .

وكان عليه الصلاة والسلام يشعر الاطفال بشخصيتهم ، ويربي فيهم روح الفتوة والشباب ، ولم يكن تسليمه مقصورا على الكبار ، بل كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم ويمسح على رؤوسهم ويدعو لهم ، فقد روى البخاري عن انس بن مالك رضي الله عنه انه مرعلى صبيان فسلم عليهم وقال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله) (24) . وقال ابن حجر : ورواه النسائي بلفظ : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور الانصار فيسلم على صبيانهم ويمسح على رؤوسهم ويدعو لهم) .

وجعل النبي عليه الصلاة والسلام سن الخامسة عشرة حدا بين الصغير والكبير ، وبذلك عجل بنقل الاطفال الى صف الكبار ، وسواء اكانوا ذكورا ام اناثا ، بينما لا يزال العالم حتى اليوم لا يدخل في صنف الكبار الا من بلغ الثامنة عشرة او الحادية والعشرين . روى البخاري في باب بلوغ الصبيان وشهادتهم عن نافع مولى عبد الله بن عمر قال : (حدثني ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه يوم احد وهو ابن اربع عشرة سنة فلم يجزني ، ثم عرضني يوم الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازني . قال نافع : فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فحدثته هذا الحديث فقال : ان هذا لحد بين الصغير والكبير . وكتب الى عماله ان يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة سنة) (25) . قال شارحه ابن حجر : (زاد مسلم في رواية : ومن كان دون ذلك فاجعلوه في العيال . وقوله « ان يفرضوا » اي يقدروا لهم رزقا في ديوان الجند ، وكانوا يفرقون بين المقاتلة وغيرهم في العطاء ، وهو الرزق الذي يجمع في بيت المال ويفرق على مستحقيه) . ومعنى قول ابن حجر هذا أي أن كل مولود ولد في الاسلام كان يفرض له عطاؤه من بيت مال المسلمين ، فاذا أصبح كبيرا ودخل سن المقاتلة المجاهدين يزاد له في العطاء ، والحد الفاصل بين الصغير والكبير هو سن خمس عشرة سنة .

اما عن الجانب الذي يتعلق باسلام الطفل وعبادته فقد اورد الامام البخاري منه ابوابا متعددة في صحيحه مما ثبت عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاساس في هذا تأكيد النبي عليه الصلاة والسلام ان كل طفل يولد فانما يولد على الاستقامة والصدق والنقاء ، وأن الانحراف انما يطرأ على الانسان بتأثير البيئة المحيطة واولها الابوان ، فعن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مولود الا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ، كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم تجدعونها ؟ » قالوا : يا رسول الله افرايت من يموت وهو صغير ؟ قال : « الله اعلم بما كانوا عاملين » (26) .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يدعو الصبيان الى الاسلام ويعرضه عليهم ، وهذا دليل على صحة الاسلام منهم ، فقد روى البخاري في باب كيف يعرض الاسلام على الصبي عن ابن عمر أن عمر انطلق في رهط من اصحاب النبي مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل ابن صياد (وهو غلام يهودي) حتى وجده يلعب مع الغلمان عند اطم بني مغالة ، وقد قارب يومئذ ابن صياد يحتلم ، فلم يشعر بشيء حتى ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ظهره بيده ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اتشهد اني رسول الله ؟ » فنظر اليه ابن صياد فقال : اشهد انك رسول الاميين ، ... (27) . وفي باب اذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الاسلام؟ روى عن انس قال : (كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده ، فقعد عند رأسه ، فقال له « اسلم » ، فنظر الى ابيه وهو عنده ، فقال له : أطع ابا القاسم . فأسلم ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « الحمد لله الذي انقذه من النار ») (28) .

---

(24) 13 / 269 .
(25) 6 / 204 – 206 .
(26) 14 / 295 .
(27) 6 / 512 .
(28) 3 / 464 .

وبالنسبة لوضوء الطفل روى البخاري في باب وضوء الصبيان حديثا فيه وضوء عبد الله بن عباس وصلاته مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو طفل ، مشيرا بذلك الى صحة الطهارة والصلاة من الطفل المميز وانه يثاب عليها ، وهو عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (بت عند خالتي ميمونة ليلة ، فنام النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما كان في بعض الليل قام رسول الله صلى الله عيه وسم ، فتوضأ من شن معلق وضوءا خفيفا ، ثم قام يصلي ، فقمت فتوضأت نحوا مما توضا ، ثم جئت فقمت عن يساره ، فحولني فجعلني عن يمينه ، ثم صلى ما شاء الله . . . (29) . أما الغسل فذكر في باب فضل الغسل يوم الجمعة وهل على الصبي شهود يوم الجمعة أو على النساء ؟ عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » (30) .

وكان الاطفال يصلون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد النبوي ، ويصفون خلف الرجال امام صفوف النساء ، وكانوا يشهدون الجمعات والجماعات والاعياد والجنائز ، وقد روى البخاري في باب خروج الصبيان الى المصلى عن ابن عباس قال : (خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم فطر أو أضحى ، فصلى العيد ، ثم خطب ، ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة) (31)، وروى في باب صفوف الصبيان مع الرجال في الجنائز عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبر قد دفن ليلا فقال : « متى دفن هذا ؟ » قالوا : البارحة ، قال : « أفلا آذنتموني ؟ » قالوا : دفناه في ظلمة الليل فكرهنا ان نوقظك . فقام ، فصففنا خلفه، قال ابن عباس وانا فيهم ، فصلى عليه (32) .

وفرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على رب الاسرة ان يخرج زكاة الفطر عنه وعن اطفاله ، وفي ذلك تعويد للطفل على التصدق وان صيامه لا يكون مقبولا الا بمواساة المساكين والمحتاجين ، وفي باب صدقة الفطر على الصغير والكبير روى البخاري عن ابن عمر قال : (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر صاعا من شعير او صاعا من تمر على الصغير والكبير والحر والمملوك) (33) . وأشار البخاري الى أن أموال الصدقات لا تحل الا لمستحقيها، وان ولي الطفل ينهاه عن ان يمس أموال الصدقات اذا لم يكن من اهلها ، ففي باب اخذ صدقة التمر عند صرام النخل وهل يترك الصبي فيمس تمر الصدقة ؟ روى عن ابى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالتمر عند صرام النخل ، فيجيء هذا بتمره وهذا من تمره حتى يصير عنده كوما من تمر ، فجعل الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بذلك التمر ، فأخذ احدهما تمرة فجعله في فيه ، فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخرجها من فيه فقال : « أما علمت ان آل محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يأكلون الصدقة ؟ » (34).

وكان اطفال الصحابة رضي الله عنهم يصومون فقد روى البخاري في باب (صوم الصبيان ، وقال عمر رضي الله عنه لنشوان في رمضان « ويلك وصبياننا صيام » فضربه) روى عن الربيع بنت معوذ قالت : (ارسل النبي صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء الى قرى الانصار من اصبح مفطرا فليتم بقية يومه ومن أصبح صائما فليصم ، قالت : فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا ، ونجعل لهم اللعبة من العهن (الصوف) فاذا بكى أحدهم على الطعام اعطيناه ذلك حتى يكون عند الافطار) (35) . وهكذا تروي لنا هذه الصحابية رضي الله عنها كيف كانوا يعودون الاطفال الصغار على الصوم ويلهونهم باللعب انتظارا لوقت الافطار . وفي باب حج الصبيان روى البخاري عن السائب بن يزيد قال : (حج بي مع

---

(29) 2 / 490 .
(30) 3 / 11 ، 32 .
(31) 3 / 117 .
(32) 3 / 433 ، 442 .
(33) 4 / 120 .
(34) 4 / 93 .
(35) 5 / 104 .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابـــن سبـــع سنيـــن) (36) .

واختم هذه المقالة بتعليم الاطفـــال القـــرءان وتحفيظهم اياه ، فهو غذاء قلوبهم بالايمان وعقولهـــم بالعلم والمنهاج ، وقد روى البخاري في باب تعليم الصبيان القرءان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : (جمعت المحكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقلـــت لـــه : وما المحكـــم ؟ قال : المفصل (37) . وعبد الله بن عبـــاس من اطفـــال الصحابة فقد ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، ومراده بالمحكم او المفصل هو الحزب السابع من احـــزاب القرءان حسب ما كان في زمن النبـــوة وهو مـــن سورة ق الى آخر المصحف الشريف .

---

(36) 4 / 443 .

(37) 10 / 460 .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

● « من يلي من هذه البنات شيئا فاحسن اليهن كن له سترا من النار » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

● « اني لادخل في الصلاة وانا اريد اطالتها فاسمع بكاء الصبي فاتجوز في صلاتي مما اعلم من شدة وجد امه من بكائه » .

منهج تربية الطفل في التشريع الاسلامي

للأستاذ محمد الاجفان (تونس)

يهمنا في هذا الموضوع ان نتحدث عن مظاهر الاهتمام بمرحلة في عمر الانسان هي مرحلة الطفولة التي تشتد فيها الحاجة الى رعاية تربوية كان للاسلام فيها توجيهه، وكان للشريعة فيها منهج واضح نحاول اعطاء لمحة عنه في العناصر التالية:

— التربية حق للطفل
— الطفل في بيئته الاولى
— الطفل في محيطه المدرسي
— وسائل التربية الاسلامية
— شمول التربية الاسلامية

وقد كان اعتمادنا على ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال فقهائنا الذين استطاعوا بادراكهم لمبادىء شريعتنا ان يخططوا منهجا تربويا لرعاية الطفل المسلم حتى يكون عضوا صالحا نافعا في مجتمعه ... وكما يجد الباحث هذه الاقوال الفقهية متناثرة في كتب الفقه العامة فهو يجدها في كتب مستقلة خصت التربية. بالتأليف وبرهنت على عناية علمائنا بموضوعها الخطير.

التربية حق للطفل :

ان الغرض من تعليم الطفل وتربيته ان يتزود بخلاصة الحضارة التي تسود مجتمعه، وان يستعد لمواجهة مطالب الحياة الاجتماعية وان تنمو ملكاته وان يتعلم الاعتماد على النفس، ويكسب القدرة على القيام ببعض الاعمال ويتجنب مواطن الزلل والانحراف، ويكون عضوا نافعا في مجتمعه.

وقد كانت شريعتنا ترمي الى كل هذه الاغراض السامية عندما اعتبرت التربية الموصلة الى هذه الاغراض حقا من حقوقه على أبويه وعلى المسؤولين على حظوظ مجتمعه.

وتبدأ حقوق الولد على ابيه قبل الولادة : ذلك ان الرجل مطالب بأن يحسن انتقاء منبت ذريته (1) فيراعي في اختيار زوجته كدينها وحسن خلقها لتؤدي دورها التربوي كاملا بعد الانجاب، ومطالب

(*) محاضرة القيت في ملتقى الامام ابن عرفة بمدنين بتونس أيام 16 – 17 – 18 – 19 مارس 1978. وقد خص بها صاحبها مجلة (دعوة الحق).

(1) أحمد بن أبي جمعة المغراوي : جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان ص 45 – سلسلة (ذخائر المغرب العربي) نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر.

بأن يحسن الى هذه الزوجة ويعاشرها بالمعروف ليعبق اريج السعادة في جو البيت ويجد فيه الطفل امنه واستقراره وتوازنه النفسي (وعلماء الطب النفسي وخبراء الطفولة وعلماء الاجرام يقررون ان اغلب زوارهم خرجوا من البيوت الآثمة والمحطمة او التي خلت من الود والتفاهم القائم على الثقة والاحترام ، ومن تلك البيوت التي فشل اربابها في الاحتفاظ بتوازن جميل بين القيد والحرية ومن تلك التي جهل الآباء فيها ما لدى الاطفال من شعور وحاجة) (2) .

ومن حق الولد على والده تحسين اسمه فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (حق الولد علي والده ان يحسن اسمه ويحسن ادبه) (3) .

ولا يخفى ما للاسم الحسن من اثر في نفس صاحبه في نشأته وعند كبره .

ومن حقوق الابناء العدل بينهم في العطاء فقد روى النعمان بن بشير انه صلى الله عليه وسلم قال :

(اعدلوا بين ابنائكم ، اعدلوا بين ابنائكم اعدلوا بين ابنائكم) (4) .

وفي رواية اخرى يربط عليه الصلاة والسلام بين التقوى والعدل بين الاولاد فيقول :

(اتقوا الله واعدلوا في اولادكم) (5) .

كما يصرح بأن هذا العدل حق للابناء فيقول عليه الصلاة والسلام :

(ان لبنيك من الحق ان تعدل بينهم) (6) .

ولهذا العدل اثره في نفوس الاطفال ، وهو من العوامل التي تغرس فيهم الثقة والمودة وروح الانسجام .

وطبيعي أن تبدأ الحقوق المادية للاطفال منذ ولادتهم ، لحاجة اجسامهم الى الغذاء لتصح وتنمو ، فالحضانة حق لهم كما ستري في العنصر القادم والارضاع اقره الله تعالى بقوله : (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) (7) .

ومن حق المولود ان لا ينفي الاب نسبه عنه اذا كان فراش امه قد ثبت حتى ينعم بدفء حياة الاسرة ولا يحرم من لحوق نسبه لان لهذا الحرمان اثرا عميقا في النفس .

وهذا الحق يعده ابو الحسن الماوردي من الحقوق المشتركة بين الله والآدميين ويجعل حمايته راجعة للمحتسب المكلف برعاية الحقوق والمصالح في المجتمع ومقاومة المنكر الظاهر بأنواعه ، وهو يقول في ذلك :

(من نفى ولدا قد ثبت فراش امه ولحوق نسبه اخذه المحتسب بأحكام الآباء جبراً وعزره عن النفي ادبا) (8) .

ويدلكم هذا على حرص نظامنا الاسلامي على حماية حقوق الاطفال حتى اعتبرها من حقوق الله تعالى .

وحتى الطفل اللقيط مجهول الابوين له حق الكفالة الذي هو في نفس الوقت حق لله تعالى — (من اخذ لقيطا وقصر في كفالته ، امره (المحتسب) ان يقوم بحقوق التقاطه من التزام كفالته او تسليمه الى من يلتزمها ويقوم بها) (9) .

وان العناية بالجانب الاخلاقي لدى الطفل لهي من حقوقه البارزة التي وجه الدين اليها ورغب فيها حتى اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم انه (ما نحل والد ولدا افضل من ادب حسن) (10) وحتى

---

(2) علي القاضي : الامراض النفسية وعلاجها في ضوء الاسلام — مجلة الوعي الاسلامي العدد 153 ص 90.
(3) رواه البيهقي .
(4) رواه احمد .
(5) رواه مسلم .
(6) رواه احمد .
(7) البقرة : 233 .
(8) الماوردي : الاحكام السلطانية 247 .
(9) المصدر نفسه .
(10) البخاري في تاريخه .

قال قال عليه افضل الصلاة وازكى السلام فيما رواه جابر عن سمرة : (لان يؤدب احدكم ولده خير له من ان يتصدق كل يوم بنصف صاع على المساكين) .

ولقد اهتم فقهاؤنا بالتأكيد على هذا الحق حتى يؤدى على احسن وجه وكانوا يحركون الوازع للقيام به ويجمعون من نصوص الوحي ما يبرز قيمته حتى لا يتهاون الناس في القيام به ... من ذلك ان الامام ابا الحسن القابسي يقول : (الذي يعلم ولده فيحسن تعليمه ، ويؤدبه فيحسن تأديبه ، فقد عمل في ولده عملا حسنا يرجى له من تضعيف الاجر فيه ، كما قال تعالى : (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة)) (11) .

انها مسؤولية التربية التي يجب ان يشعر بها كل الآباء وقد قال في شأنها بعض علمائنا :

(ان الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل ان يسأل الولد عن والده ، فانه كما ان للاب على ابنه حقا ، فللابن على ابيه حق : فكما قال تعالى : ووصينا الانسان بوالديه حسنا) . وقال تعالى : (قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) (12) .

الطفل في بيئته الاولى :

ان للطفل مكانته في الاسرة : فهو بهجتها وزينة حياتها والقرءان الكريم يقول : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) (13) . وقد استحب أن يبشر من ولد له مولود وان يهنأ ... استمد الفقهاء هذا الحكم من قوله تعالى : (فبشرناه بغلام حليم) (14) ، وقوله سبحانه : (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى) (15) .

وقد أثرت عن الحسن البصري صيغة التهنئة التالية (بورك في الموهوب شكرت الواهب ، وبلغ اشده ورزقت بره) (16) .

وهنا لا فرق بين ان يكون المولود ذكرا او انثى فالفرحة تشع في بيت المسلم بالمولود مهما كان نوعه لـ (ان السخط بالاناث من اخلاق الجاهلية الذين ذمهم سبحانه وتعالى في قوله :

(واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ، وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب ، الا ساء ما يحكمون) (17) .

لقد غير الاسلام هذه العقلية الجاهلية التي تتشاءم من البنت وتؤثر في بعض الاحيان سلبها الحياة ، واراد ان تستقبل كأخيها في جو البهجة والحبور والتفاؤل وجعل الاحسان اليها والعناية بتربيتها من العبادة التي تجلب اجرا اخرويا : يقول نبينا عليه الصلاة والسلام : (من ابتلى من هذه البنات بشيء فاحسن اليهن كن له سترا من النار)(18) ويروي انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم يقول : (ومن عال جارتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة انا وهو هكذا) (وضم اصبعيه) (19) .

---

(11) القابسي : الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين ص 249 . طبعت مع كتاب التربية في الاسلام للدكتور أحمد فؤاد الاهواني ـ سلسلة (دراسات في التربية) نشر دار المعارف بمصر : 1975 . والآية من سورة البقرة : 245 .

(12) ابن قيم الجوزية : تحفة المودود بأحكام المولود ، ص : 179 ، ط: مصر . والآية الاولى من سورة : العنكبوت 8 والثانية من سورة التحريم 6 .

(13) النحل : 46 .

(14) الصافات : 101 .

(15) آل عمران : 39 .

(16) تحفة المودود : 24 . ويقول ابن القيم : ان البشارة تسر العبد وتفرحه ومن المستحب ان يبادر المسلم الى مسرة اخيه واعلامه بما يفرحه .

(17) المصدر نفسه 19 . والآية من سورة النحل : 58 ـ 59 .

(18) رواه الامام احمد .

(19) رواه مسلم .

وقد وجهنا النبي عليه صلاة الله وسلامه الى ان تكون علاقتنا بأبنائنا مصطبغة بالرحمة والمودة ، فعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الحسين بن علي وعنده الاقرع بن حابس التميمي جالس ، فقال : ان لي عشرة من الولد ما قبلت أحدا منهم ، فقال له صلى الله عليه وسلم : (من لا يرحم لا يرحـــم) (20) .

وتروي عائشة رضي الله عنها انه قال لقوم لم يكونوا يقبلون صبيانهم : (او املك ان كان الله نزع من قلوبكم الرحمة) (21) .

ان الابناء فى مرحلة طفولتهم لفي اشد الحاجة الى عاطفة حارة وعناية شاملة حتى تضمن سلامتهم النفسية وتدرأ عنهم شبح الخوف والقلق الذي كان خطره واضحا لدى الكثير من اطفال بلاد مصنعة فى عصرنا ، لم يسمح الوقت والمشاغل باشباع نفوسهم بمظاهر العطف والرعاية المعنوية رغم توفر البذخ المادي وانواع الترف .

وقد اوجب تشريعنا الاسلامي على الآباء النفقة بالمعروف على ابنائهم حتى لا يكونوا عرضـــة للجوع والعرى وحتى لا ينهشهم الحرمان القاسي .

وفى حالة موت الاب هناك نظام للوصايـــة على الابناء حتى يبقوا تحت رعاية الوصي الامين والحاكم العادل ، وهناك نظام التصرف فى اموالهم حتى تنفق فيما يجذيهم .

اما فى حالة فراق الابوين بالطلاق ، فان احكام الحضانة التي ضبطها فقهنا الاسلامي تقوم على مراعاة مصالح الطفل المحضون وتهدف الى سلامة تربيته : من ذلك ان هذه الاحكام تجعل النسوة القريبات من جهة الام اولى بحضانته مع ترتيب تراعى فيه درجة القرابة التي تتبعها عادة قوة العطف عليه ومع اعتبار للجو الذي يتوفر عند الحاضنة حتى يكون سليما من شوائب الفساد التي تؤثر فى اخلاقه وسلوكه ومـــع بقاء اشراف الاب عليه لتأديبه .

يقول عبد الرحمن بن القاسم عن الاب الـــذي يحتاج الى تأديب ابنه المحضون عند امه المطلقة :

(يؤدبه بالنهار ويبعثه الى الكتاب ، وينقلب الى امه بالليل فى حضانتها ويؤدبه عند امه ، ويتعاهـــده عند امه ولا يفرق بينه وبينها الا أن تتزوج) (22) .

وانما عهد بالحضانة الى الام او غيرهـــا مـــن القريبات لانهن اقدر على القيـــام بشؤون الاطفـــال وتنظيفهم والعناية بمآكلهم وملبسهم ... (23) .

ولكن لا بد من توفر شرط الكفاية عند الحاضن حتى يكون المحيط ملائما لتربية الطفل فقد قال الامام عن حرمان من لم تتوفر عنده الكفاية من حق الحضانة:

(اذا كانوا ليسوا فى ثقة ولا كفاية فلا نعطـــي الجد ةالولد ولا الوالد اذا كانوا ليسوا بمأمونين ، ولا يأخذ الولد الا من قبله الكفاية لهم) (24) .

وقال ايضا مشيرا الى جعل مصلحة الطفل فى المكانة الاولـــى :

(لا ينبغي ان يضر بالولد ، وينبغي ان ينظـــر للولد فى ذلك بالذي هو اكفأ واحرز) (24) .

والبنت المحضونة تبقى عند امها الى أن تتزوج (البنت) ما دام جو حياة امها مناسبا (فان خيف على البنت فى موضع الام ولم تكن الام فى تحصيـــن ولا منعة او تكون الام لعلها ليست بمرضية حال ، ضـــم الجارية ابوها اليه او اولياؤها اذا كان فى الموضـــع الذي تضم اليه ، كفاية وحـــرص) كمـــا عبـــرت المدونـــــة (25) .

---

(20) متفــــــق عليـــــه .

(21) تحفــــــة المــــــودود : 175 .

(22) المدونة الكبرى ج 5 ص 38 ـ ط . مصـــر .

(23) يقول شهاب الدين القرافي : (لما كانت الحضانة تفتقر الى وفور الصبر على الاطفال فى كثرة البكاء والتضجر من الهيئات العارضة للصبيان ومزيد الشفقة والرقة الباعثة على الرفق بالضعفاء ... وكانت النسوة اتم من الرجال فى ذلك كله ، قد من عليهم ... وهذا هو الفـــرق بين قاعـــدة الحضانات وغيرها من قواعد الولايات) . انظر الفروق ج 3 ص 206 ـ الفرق 178 .

(24) المدونـــــة ج 5 ص 39 .

(25) المصــــــدر نفســــه ج 5 ص 8 3.

واذا ابتليت البنت المحضونة ببيئة فاسدة لدى امها ولدى ابيها فى نفس الوقت ، فان امرها يوكل الى الحاكم (25) ليختار لتربيتها بيئة نظيفة .

هذا وان على الابوين ان يعتبرا الطفل امانة بين ايديهما وان يتذكرا ان (قلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما ينقش عليه ومائل الى كل ما يحال اليه) كما يعبر الامام الغزالي (26) .

هذا القلب الطاهر ينشأ على الفطرة السليمة ويتقبل دين الاسلام دين الفطرة فيكون لتعاليمه الاثر الفعال فى توجيهه التربوي ... اذا لم يطرأ ما يكدر هذه الفطرة الصافية ويعكر صفحتها النقية .

وهنا تحتم التبعة التربوية ان يقع التبكير فى تحبيب الفضائل الى الطفل وهو يـدرج فى بيئتـه الاولى : يقول فيلسوف الاسلام ابو علي الحسن بـن سينـــا :

(اذا فطم الصبي عن الرضاع بدىء بتأديبـه ورياضة اخلاقه قبل ان تهجم عليه الاخلاق اللئيمة ، فان الصبي تتبادر اليه مساوىء الاخلاق ، فما تمكن منه من ذلك غلب عليه فلم يستطع له مفارقته ولا عنه نزوعا) (27) . ويوصي ابن قيم الجوزية بتجنيب الصبي اذا عقل المجالس التي يكون فيها لهو او باطل او غناء فاحش او كلام بذىء او بدع ضالة لان مـا يعلق بسمعه يعسر مفارقته بعد ان يكبر ويصعب على وليه استنقاذه منه ، خاصة وان (تغيير العوائد من اصعب الامور يحتاج صاحبه الى استجداد طبيعـة ثانيــــة) (28) .

وما اكثر التوجيهات التي جاءت على السنـة الفقهاء وعلماء الاخلاق مقتضية مزيد الحـرص على الجوهرة النفيسة التي هي قلب الطفل الطاهر : فقد نهي عن تعليمه سخيف الاشعار ومسترذلها (29) لما لها من اثر على وجدانه الصافي ، وقد نهي عن تـرك الفرصة له فى البيت للاطلاع على العورات ، حيـث قـال تعالى :

« يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومـن بعد صلاة العشاء » (30) .

وقد علق على ذلك الاستاذ علي القاضي فلاحظ ان هذا ادب لا يستهان بآثاره النفسية والعصبيـة والخلقية اذ (يقرر النفسيون اليوم ان المشاهد التي تقع عليها انظار الاطفال فى صغرهم هي التي تؤثر فى حياتهم كلها وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبيـة يصعب شفاؤهم منها) (31) .

فلتلاحظوا — اخواني الكرام — الى اى مـدى وصل المنهج التربوي فى مراعاة الصحة النفسيـة لاطفالنــــا .

ولما كان للعب دوره فى تنشيط الاطفال ودرء الكبت عنهم واثره فى تربيتهـم الجسميـة وفى تعليمهم بعض الامور احيانا فقد اقره كثير من المربين المسلميــن .

ونحن نستروح ذلك من وصية عمر بن الخطاب التي تقول : (علموا اولادكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا) (32) .

ومما يحكى ان ابا سعيد الاصطخري الشافعي لما تولى خطة الحسبة ببغداد فى ايـام المقتـدر العباسي اقر سوق اللعب ولم يمنع منها ، قائـلا : (قد كانت عائشة تلعب بالبنات بمشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليها) ويعلق ابـو الحسن الماوردي على كلامه بقوله : (ليس ما ذكره

---

(26) نقلا عن عدنان سعد الدين : الاسس العامة لنظام التعليم فى الاسلام : مجلـة منار الاسلام — العدد 1 السنة 3 ص 92 .

(27) اعلام الفلسفة العربية للبازجي وكرم : 572. ط. 2 — بيروت سنة 1964 — 1965 .

(28) تحفـــة المــــودود : 187 .

(29) ابن بسام : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة : 162 — 163 — ط. دار المعارف — بغداد سنة 1968.

(30) النـــــور : 58

(31) الامراض النفسية ص 93 — مجلة الوعي الاسلامي ، العدد السالف .

(32) الاهواني : التربية فى الاسلام : 62 . الطبعة السالفـــة .

من اللعب بالبعيد من الاجتهاد) يعلق بذلك بعد ان يبين ان لعب البنات بالدمى لا يقصد به معصية تقديس الوثن وانما هو لغاية تربوية هي (الف البنات لتربية الاولاد ، وفيها وجه من وجوه التدبير وبحسب ما تقتضيه شواهد الاحوال يكون انكار اللعب واقراره) (33) .

وهكذا اقروا من اللعب ما كانت غايته نبيلة كاعداد الفتاة للحياة بتدريبها على شؤون العناية بالذرية وتربيتهم وعلى ذلك تقاس انواع اللعب التي يمارسها الاولاد والبنات ، والتي يمكن ان يستغل البرىء منها لتحبيب بعض المهن او لاكساب بعض البراعات اليدوية والملكات الذهنية .

الطفل في محيطه المدرسي

ادرك المربون المسلمون ان مؤسسات الدراسة ينبغي ان تكون متفاوتة متدرجة ويكون لرواد كل منها مستوى معين ، ومن هنا كان الكتاب او المكتب والمسجد والمدرسة تؤدي وظيفة التعليم وتخرج للمجتمع الاسلامي فئات العلماء في مختلف فنون المعرفة .

ويهمنا من هذه المؤسسات ان نتحدث عن التي تقتبل الابناء في مرحلة طفولتهم لتعليمهم وتهذيب اخلاقهم : وكثيرا ما نصحوا (بان يكون طلب العلم في الصغر ليكون كوشم في حجر) (34) .

وكل اب مسلم يشعر بمسؤولية الابوة ، لا يغفل امر تعليم ابنائه ، يقول ابن قيم الجوزية :

(من اهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد اساء اليه غاية الاساءة ، واكثر الاولاد انما جاء فسادهم من قبل الآباء واهمالهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فاضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بانفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا) (35) .

فلاهمال التعليم نتائجه الوخيمة ـ كما ترون ـ سواء بالنسبة للذكر او بالنسبة للانثى التي ينبغي ان لا تحرم نور العلم وان تتلقى من المعرفة والتوجيه ما يفيدها وما يجعل منها عضوا نافعا في بيئتها .

وقد استشهد الامام القابسي على ان (تعليم الانثى القرءان والعلم حسن ومن مصالحها ...) باذن النبي صلى الله عليه وسلم للنساء في شهود العيد وسماع المواعظ والخير ويكون القرءان الكريم قد اخذ على المؤمنات فيما عليهن كما اخذ على المؤمنين فيما عليهم وذلك في قوله تعالى :

(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم) (36) .

وبكونه تعالى امر ازواج نبيه عليه السلام ان يبلغن سنته ويذكرن ما يسمعن منه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى :

« واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة » (37) .

ويقول القابسي بعد هذا :

(فكيف لا يعلمن الخير وما يعين عليه ؟ ويصرف عنهن القائم عليهن ما يحذر عليهن منه اذ هو الراعي فيهن والمسؤول عنهن) (38) .

ومن فقهائنا من يتحدث عن النية التي ينويها الاب بقلبه عند ارسال ابنائه الى المؤسسة التعليمية وعن النية التي ينويها المعلمون عند مباشرتهم وظيفة التعليم فالاول ينوي (اداء ما قلده الله به من ازالة جهل ابنه اذ كل راع مسؤول عن رعيته) والثاني ينوي (ابقاء مادة تلاوة القرءان الى قيام الساعة واعانة على مفخرة مولانا محمد صلى الله عليه وسلم) كما يعبر احمد بن ابي جمعة المغراوي (38) .

---

(33) الاحكام السلطانية : 251 . وقد بين ابن الاخوة ان الاطفال يمنعون من اللعب الذي يخرج عن قانون الشرع (معالم القربة 261) .

(34) ابن عبد البر : جامع بيان العلم ج 1 ص 82 . الغزالي : ميزان العمل : ص 38 .

(35) تحفة المودود : 180 .

(36) الاحزاب : 36 .

(37) الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين ، مطبوعة ضمن كتاب التربية في الاسلام للاهواني ص 253 . والآية من سورة : الاحزاب : 34 .

(38) جامع جوامع الاختصار والتبيان ص 44 ، 45.

وكلاهما يكون ماجورا على نيته وقصده السامي، ولنتصور عظم هذا الاجر ووفرته نستمع الى هذا الحوار الذي دار بين امام قطرنا الكبير محمد بن سحنون واحد آباء تلاميذه فقد قال الاب للفقيه المدرس ابن سحنون :

— اني اتولى العمل بنفسي ولا اشغل ابني عما هو فيه من تلقي العلم في حلقة دروسك .

فقال له ابن سحنون :

— اعلمت ان اجرك في ذلك أعظم من الحج والرباط والجهاد ؟ (39) .

وقد استنتج الامام القابسي من قوله عليه الصلاة والسلام للمراة التي سألته هل اصبيها حج ؟

— « نعم ولك اجر » .

استنتج منه ان الاجر الحاصل للمراة من حج صبيها من اجل احضاره موسم الحج وتوليها القيام به فيه وسببها في شهوده الخير (39) وحضوره المناسك التي يكون لها في نفسه اطيب الاثر .

وقد حدد فقهاؤنا ما ينبغي ان يتوفر في من يتولى مهمة تعليم الصبيان ليكون عمله ناجحا وليؤدي مهمته التربوية على امثل وجه ، وضبطوا نوع العلاقة التي ينبغي ان تربطه بتلاميذه .

يكون المعلم (من اهل الصلاح والعفة والامانة حافظا للكتاب العزيز حسن الخط يدري الحساب) (40) وعند محمد القرشي ابن الاخوة المتوفى سنة 729 هـ (الاولى ان يكون متزوجا ولا يفسح لعزب ان يفتح مكتبا للتعليم الا ان يكون شيخا كبيرا وقد اشتهر بالخير والدين ، ومع ذلك لا يؤذن بالتعليم الا بتزكية مرضية وبثبوت الاهلية لذلك) (40) .

اما فقيهنا ومفخرتنا محمد بن عرفة المتوفى سنة 803 هـ فانه يرى انه يكفي في المعلم المتزوج ان يكون مستور الحال ، (ويسأل عن غيره فان لم يسمع عنه الا العفاف ابيح له) واذا ثبت سوء الاخلاق وعدم الكفاءة في مترشح للتعليم فانه يمنع عن هذه الخطة مطلقا ، وهذا ما جرى به العمل في عهد ابن عرفة (41) .

وتكون علاقة المعلم بتلاميذه قائمة على اساس العدل بينهم ، فعن انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال :

(ايما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الامة فلم يعلمهم بالسوية : فقيرهم مع غنيهم وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين) (42) .

ويكون المعلم مع الصبيان حازما غير متخاذل يمزج بين الشدة والرفق ، يقول ابن عرفة في هذا الصدد :

(يكون المعلم معهم مهابا ، لا يكون عبوسا مغضبا ولا منبسطا ، ويكون مترفقا بالصبيان دون لين) (43) . اي دون مبالغة في اللين الى حد الضعف وفقدان السلطة الادبية ؛ ومراعاة الاحوال الصحية اقتضت تنظيم أوقات الدراسة وعدم المبالغة في الضرب المؤلم للتأديب والسماح بالخروج لاراقة الماء وقضاء الحاجة البشرية لان المنع من ذلك يؤدي الى بعض الامراض (44) واقتضت مراعاة وقت غذائهم ايضا (45) . واوضح الشوشاوي ان حكم ضرب الصبيان للتأديب مباح في الاصل ويكون مستحبا في بعض الاحوال ، وعقب ابو جمعة المغراوي على قوله بان (الصواب اعتبار حال الصبيان) (46) .

---

(39) الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين : 250 .
(40) معالم القربة في احكام الحسبة : 260 .
نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر سنة 1976 .
(41) جامع جوامع الاختصار والتبيان : 35 .
(42) آداب المعلمين لابن سحنون ـ طبع ضمن كتاب التربية في الاسلام للاهواني ـ ص : 309 .
(43) جامع جوامع الاختصار والتبيان : 35 .
(44) المصدر نفسه : 39 .
(45) السقطي : في آداب الحسبة : 68 ط: باريس 1931 .
(46) جامع جوامع الاختصار والتبيان : 41 .

ولئن حدد القابسي عدد الضربات بالثلاث وجعلها اشهب متفاوتة بين الثلاثة والعشرة حسب المخالفة ، فان الجزولي يؤكد ان التاديب يكون على قدر الاجتهاد وان مالك بن انس لم يكن يرى فيه حدا الا بقدر ما يراه المعلم (47) .

اما المواد التي يتلقاها الطفل في مؤسسة التعليم في القرءان الكريم والسنة النبوية وعلوم اللسان التي تخدم نصوصها وتعين على فهمها ... وهذا ما يجعل غاية التعليم دينية ، وهذا ما يجعلنا نتمسك بالاصلين اللذين تركهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وضمن لنا أن لا نضل ما تمسكنا بهما.

على ان حرص المسلمين على التفتح والتقدم الحضاري اقتضى فتح المجال ازاء سائر العلوم والاقبال على العلم التجريبي وخوض كل ميادين المعرفة النافعة التي اعتبرت من فروض الكفاية اعتبارا لمصلحة الامة كلها .

وقد ارتبط التعليم عند المسلمين بالتربية الى حد كبير وبذلك سمت اغراضه وشرفت مقاصده وضمن السعادة الكاملة .

وقد راعى احمد بن مسكويه هذا الارتباط وقدر اهمية الجانب الاخلاقي لدى الاطفال ، هذا الجانب الذي رأى ضرورة التدرج في بناء هيكله واستغلال العلوم الشرعية وعلم الاخلاق والعلوم العقلية لبنائه فقال :

(من اتفق له في الصبا ان يربى على أدب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعود بها ، ثم ينظر بعد ذلك في كتب الاخلاق حتى تتأكد تلك الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين ، ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان ، ثم يتدرج في منازل العلوم فهو السعيد الكامل) (48) .

وعلى سبيل الوجوب العيني يتعلم الطفل ما يحتاج اليه في دينه ، وهو قدر من المعرفة يعتبر ميسرا وفي متناول جميع المدارك وبه يتقوم عنصر الايمان والعبادة والعمل عند كل مسلم ، ثم يفسح له مجال التخصص والتوجه الى ما ظهر ميله اليه وبدا استعداده له ، فيمكن من الاسباب التي تتيح لمواهبه ان تنمو وملكاته ان تكتمل في الميدان الذي اختاره ، ما دام في هذا الميدان رجاء نفع له وللناس (49) .

هذا وقد فكر المربون المسلمون في معالجة المشكلة الجنسية وخاصة في المحيط المدرسي تلك المشكلة التي راى بعضهم ان عدم معالجتها بحذق ومهارة كان من عوامل الشذوذ والانحراف والامراض العصبية والنفسية ، فها هو الامام سحنون يذكر (انه من حسن النظر التفريق بين الذكور والاناث) ويكره خلطتهم لما تؤدي اليه من فساد (50) وها هو الامام القابسي يوصي المعلم بأن يحترس من الاطفال الذين يخاف شرهم الاخلاقي والذين ناهزوا الاحتلام أو كانت لهم جراة يخشى معها فسادهم (51) .

وها هو الجزولي ينصح المعلم بأن (لا يحمل بعض الاطفال على بعض لئلا يؤدي الى فسادهم اذ يخاف بعضهم من بعض فيؤدي الى ان يغره عليه الشيطان فيطلب منه الفساد) (52) .

وهاهم المؤلفون في الحسبة العملية يلفتون انظار المعلمين الى ما ينبغي الحذر منه من الوسائل التي توقع الاطفال الابرياء بين براثن الاشرار المصابين بالشذوذ والانحراف : فلا يرسل الطفل الى مكان خال ولا يصحب امراة اجنبية عنه ليكتب لها مكتوبا

(47) المصدر نفسه : 40 .
وقد حدد ابن الاخوة في كتابه معالم القربة ص 261 مواطن ضرب الصبي من جسده حتى لا يضرب في غيرها فيكون عرضة لخطر او مرض .
(48) نقلا عن التربية في الاسلام للاهواني : 199 .
(49) تحفة المودود : 190 .
(50) آداب المعلمين ، الطبعة المذكورة اعلاه – ص 316 ومن هذا المصدر نقل ايضا ابو جمعة المغراوي كتابه : جامع جوامع الاختصار ص : 43 .
(51) التربية في الاسلام للاهواني : 119 .
(52) جامع جوامع الاختصار : 39 .

ولا مع رجل لهذا الغرض اذ قد يكون في ذلك خدعة للايقاع بالاطفال الابرياء ... (53) ويكون المرافق لهم امينا ثقة متاهلا لانه يسلمهم في غدوهم ورواحهم وينفرد بهم (54) .

وهكذا يمكننا ان نقيس على ذلك .. فتمتنع الاطفال من ارتياد كل مواطن الشك درءا للاخطار الاخلاقيـة .

ولما كان للمهمة التي يؤديها المشرفون على مؤسسات التعليم في المجتمع الاسلامي خطرها واثرها في الرقي بمستوى الافراد وفي نهضة الامة فقد بلغ المخلصون منهم درجة المتعبدين .. وكان العلماء يوجهونهم الى تمثل هذا المعنى السامي واشعارهم انهم في روضة من رياض الجنة وكان انطلاقهم لبيان هذا المعنى من بعض الاحاديث النبوية مثل قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه عثمان بن عفان رضي الله عنه : (خيركم من تعلم القرءان وعلمه) (55) ، والى هذا المعنى السامي يوجه الفقيه ابو جمعة المغراوي عندما يقول : (ليكن المعلم كالمعتكف لا يتهيأ للنوم في وقت حقوقهم (اي التلاميذ) الا غلبة (للضرورة) ولا يبتغي بعبادتهم سواها اذ هي روضة من رياض الجنة وتطفيء غضب الله) (56) .

ولكن اذا لم يكن هذا التوجيه الديني النبيل ضمير المراقبة ووازعا حيا يقظا لدى بعض المعلمين فان الوازع السلطاني يتدخل نظرا لاهمية الدور المناط بعهدتهم والذي لا يمكن التغاضي عن التقصير فيه ويتمثل هذا الوازع السلطاني الرادع في وظيفة الاشراف على اعمالهم وتفقدها وهي وظيفة اسندت الى المحتسب القائم بتغيير المنكرات الظاهرة وحماية الافراد في المجتمع المسلم ، وقد تحدث عنها ابو الحسن الماوردي ووضح ان من طرائق التعليم والتربية التي ينشأ الصغار عليها ما يعسر نقلهم عنها بعد الكبر ولذا فان المحتسب (يقر منهم اي المعلمين من توفر علمه وحسنت طريقته ويمنع من قصر واساء من التصدي لما تفسد به النفوس وتعبث به الآداب) (57) .

وسائل التربيـة الاسلاميـة

كان للتربية الاسلامية وسائلها الناجعة واساليبها الموفقة ، فلنلق نظرة عابرة عليها :

ـــ تركيز العقيدة الصحيحة التي لا تشوبها شوائب باطلة تلك العقيدة التي لها أثرها في تكوين الشخصية وتحقيق توازنها والتي تنمي فيها قوة روحية تقي المسلم من ان يكون نهبا للاديولوجيات الهدامة ومن القلق الذي يبدد راحة كثير من معاصرينا وامنهم وهذه العقيدة تغذي العاطفة الدينية في قلب الطفل تلك العاطفة التي تكون اصل سعادته ، والتي حرمت منها اجيال في عالمنا المعاصر المتقدم في الميدان التكنولوجي فتاهت في مهامه المشاكل النفسية والاقتصادية والاجتماعية .

ـــ ممارسة العبادة الاسلامية حتى يتدرب على ادائها منذ عهد الطفولة وقد لوحظ (ان الصبي وان لم يكن مكلفا فانه مستعد للتكليف ، ولهذا لا يمكن من الصلاة بغير وضوء ولا من الصلاة عريانا او نجسا ولا من شرب الخمر والقمار) (58) ، كما يعبر ابن القيـم .

وقد كان حرص المربين المسلمين على اداء الاطفال للصلاة بمجرد بلوغهم من السابعة حرصا شديدا عملا بالحديث النبوي : (مروا اولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع ، واضربوهم عليها وهم ابناء عشـر) (59) .

---

(53) ابن بسام : نهاية الرتبة في طلب الحسبة : 162 . السقصي : في آداب الحسبة : 68 .
(54) معالـم القربـة : 261 .
(55) اخرجه البخاري ومسلم وأصحاب السنن .
(56) جامع جوامع الاختصار : 51 .
(57) الاحكام السلطانيـة : 255 ، 256 .
(58) تحفـة المودود : 189 .
(59) رواه احمد .. واستنتج منه عبد الله بن ابي زيد القيرواني المتوفي سنة 386 هـ ان ارجى القلوب لغرس الخير والفضيلة فيها هي قلوب الاطفال التي لم يسبق الشر اليها ـ (شرح ابي الحسن للرسالة : ج 1 ص 29 ، 30 ط. مصـر) .

وذلك ليسكن الاطفال الى الصلاة (ويالفوها ... حتى اذا تأصلت فيهم انطبعت شخصيتهم بها ، فاصبح المحور الذي تدور حوله الشخصية ومنه تستمد حياتها وكيانها ، هو المحور الديني) (60) .

ومما يذكر ايضا من فوائد الاقبال على ممارسة العبادة بقلب خاشع واخلاص صادق واستشعار لعظمة المعبود ، انها (تؤدي الى مواجهة الشدائد بثغر باسم وقلب مطمئن ، وذلك لانها استلهام من قدرة وراء الغيب هي فوق كل قدرة) (61) .

وبالنسبة للصلاة خاصة ، فانها تعد (وسيلة لانشاء مفهوم للثقة فى النفس من اقوى انواع الثمة بها ، بعيد كل البعد عن مفهوم التواكل ...) (61) .

ــ التدريب على تعاطي المعاملات المشروعة لاعدادهم للحياة العملية والتصرف المالي المثمر ، قبول تعالى : « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح، فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم » (62).

ويتبع هذه الوسيلة النهي عن المعاملات التي لا يقرها الشرع فان تعاطوا شيئا منها كالتعامل الربوي عوقبوا على ذلك كما يعاقبون على الكذب والسب وبذيء الكلام (63) .

ــ تقديم المثل الحسن والقدوة الصالحة وذلك بتجسيم السلوك المرضي وابراز الفضائل بصفة عملية لما فى ذلك من الايحاء بها وتحبيبها الى نفوس الاطفال الذين ركب فيهم الميل الى التقليد ، ولما يبرز فيهم ــ غالبا ــ من تقدير للابطال عندما يبلغون عهد المراهقة .

ولذا يكون من الاجدى أن تحسن عرض السيرة النبوية التي اشتملت على مواقف خالدة وكان صاحبها عليه افضل الصلاة وأزكى السلام الاسوة الحسنة لامته عبر مختلف العصور (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) (64) .

ويمكن ايضا استغلال بطولات العظماء واخبار العلماء وآراء المصلحين الذين تعج بهم فترات تاريخنا الاسلامي لعرض صورها المشرقة المؤثرة .

ولقد شعر الاقدمون باهمية التقليد فى تربية الاطفال فالحوا على المربين ان يكونوا القدوة الحسنة: روى الجاحظ ان عقبة بن ابي سفيان قال لمؤدب ولده :

(ليكن اول ما تبدأ به من اصلاح بني ، اصلاح نفسك فان اعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت) (65) .

وكتب ابن حبيب الى معلم اولاده كتابا جاء فيه ما يقارب هذا المعنى (66) .

ــ التركيز على العنصر الاخلاقي وغرس القيم العليا فى النفوس وبث روح التقوى فيها وتوجيه الاطفال لينشأوا على طاعة الله تعالى فيكونوا ممن يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله كما جاء فى الحديث النبوي (67) .

ويمكن ان يكون غرس هذه الاخلاق الطيبة بمدحها لهم وتنفيرهم من اضدادها المذمومة فنمدح مثلا السخاء والشجاعة والكرم ونذم الشح والطمع والجبن ...

---

(60) التربية فى الاسلام : للاهواني : 150 .
(61) محمد امين المصري : لمحات فى وسائل التربية الاسلامية ص 74 ؛ نشر دار الفكر ، ط . 3 سنة 1974 .
(62) النساء : 6 .
(63) جامع جوامع الاختصار : 39 .
(64) الاحزاب : 21 .
(65) البيان والتبيين : ج 2 ص 53 .
(66) انظر نص كتابه فى : جامع جوامع الاختصار : 39 .
(67) نص الحديث جاء فى الصحيحين عن أبي هريرة ، وهو : (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال : اني أخاف الله ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) .

ـــ مراعاة مستواهم الذهني وطاقاتهم المحدودة وعدم ارهاقهم بما يثقل عليهم تقبله ، وحسن اختيار المادة مع تقديمها بأساليب مشوقة مهما امكن ذلك حتى يكون لتعليمهم الاثر التربوي المجدي : لقد كان مما أوصى به ابن حبيب معلم بنيه قوله : (علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تخرجهم من فن الى فن حتى يحكموه ، فان ازدحام العلوم مقلل للفهوم وعلمهم من الشعر عفه ، ومن الحديث اشرفه . وكن لهم كالطبيب الذي لا يدع الدواء الا في موضع الداء) (68) .

شمول التربية الاسلامية

لقد اختار الدين الاسلامي لمنهجه التربوي صبغة الشمول فاعتنى بجميع جوانب الانسان : اهتم بعقله فزكاه وحطم قيوده واتاح له ان يكون حرا وان يخوض شتى ميادين العلم النافع واهتم بوجدانه فهذبه وحبب اليه الحق والخير والفضيلة وغذى فيه العاطفة الدينية والشوق الى الحياة الخالدة والسعادة المؤبدة ... واهتم بمتطلبات جسمه وتعديل غرائزه وتهذيبها لتنطلق في المحيط الطاهر دون كبت او حرمان ، واقام توازنا عجيبا بين هذه المتطلبات المادية وبين متطلبات الروح التي أراد أن تكون زكية فاضلة حتى تقود صاحبها نحو الخير وتجعله متآلفا مع بيئته متكافلا مع افرادها آمرا بكل ما هو معروف ناهيا عن كل ما هو منكر متواصيا بالحق والصبر وسائر الفضائل .

يقول الاستاذ محمد قطب عن خصائص هذا المنهج الاسلامي الشامل في التربية .

(طريقة الاسلام في التربية معالجة الكائن البشري كله معالجة شاملة لا تترك منه شيئا ولا تغفل منه شيئا : جسمه وعقله وروحه ، حياته المادية والمعنوية وكل نشاطه على الارض .

انه يأخذ الكائن البشري كله ، ويأخذه على ما هو عليه بفطرته التي خلقه الله عليها لا يغفل شيئا من هذه الفطرة ، ولا يفرض عليها شيئا ليس في تركيبه الاصلي .

ويتناول هذه الفطرة في دقة بالغة ، فيعالج كل وتر منها ، وكل نغمة تصدر عن هذا الوتر فيضبطها بضبطها الصحيح) (69) .

وبهذا الشمول لهذا المنهج ، كانت التربية الاسلامية تربية متواصلة توجه الفرد نحو الخير وتهدف الى اقامة مجتمع سليم مثالي وامة رائدة ترشد الانسانية الى المعروف ويتحقق فيها قوله تعالى : (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

---

(68) جامع جوامع الاختصار : 39 ، 40 .
(69) منهج التربية الاسلامية : 19 ـ نشر دار الشروق .



دور المغاربة في تربية الطفل

للأستاذ سعيد أعراب

اهتمت سائر الامم بتربية الطفل ، واولته عناية خاصة — جسميا ، وعقليا ، وروحيا ؛ واعتبارا لذلك ، فقد جعلت هيئة الامم المتحدة هذه السنة (1979) سنة الطفل ، واريد ان اتحدث في هذه السطور عن دور المغاربة في هذا الميدان ، وما خلفوه من انتاج خصب ...

1 — ولعل اول من دون آراءه في التربية والتعليم — بالمغرب الاسلامي — ابو مروان عبد الملك ابن حبيب السلمي (ت 238 هـ 852 م) ، فقد كتب الى معلم ولده رسالة يقول فيها (... فليكن اول ما تؤدب نفسك ، فان عيني متعلقة بهم ، واعينهم متعلقة بك ؛ فالحسن — لهم — ما استحسنت ، والقبيح — عندهم — ما استقبحت (1) ؛ علمهم كتاب الله ؛ ولا تكرههم عليه فيملوه ، ولا تخرجهم من فن الى فن حتى يحصلوه ؛ لان ازدحام العلوم مضلة للفهم ، ومشقة الذهن ؛ وعلمهم من الشعر أعفه ، ومن الحديث اشرفه ؛ وكن لهم مثل الطبيب المشفق ، الذي لا يضع الدواء ، الا في موضع الداء ؛ وهددهم بي ، ولا تضربهم دوني ؛ واجعل أدبك لهم مدحا ، يزدادون رفقا وشوقا ...) (2) . — ويختم رسالته هذه ببيان ايام العطل ، واوقات الاستراحة ، ويحددها لهم بكل دقة (3) .

2 — وجاء بعده ابو عبد الله محمد بن سحنون (ت 256 هـ (4) 870 م) ، فألف كتابه « آداب المعلمين » (5) ، وهو رسالة صغيرة لها اهميتها

(1) يبدو ان ابن حبيب متأثر بوصية عقبة بن ابي سفيان لمعلم ابنه . انظر البيان والتبيين للجاحظ ج 2 / 53 .

(2) اورد هذه الرسالة ابن ابي جمعة المغراوي في « جامع جوامع الاختصار والتبيان ، فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان » . مخطوط الخزانة العامة بتطوان رقم (595) ، وتوجد نسخة منه بنفس الخزانة — ضمن مجموع رقم (739) .

(3) انظر بحث كاتب هذه السطور المنشور بمجلة (الثقافة المغربية) ع. 7 ص 57 س (1972) .

(4) وجاء في كتاب (التربية والتعليم في الاسلام) لاسعد طلس — انه (ت 226 هـ) وفي تقديم كتاب (الاعلام بحدود قواعد الاسلام) أن وفاته كانت سنة (262) ولعل ذلك تصحيف في الطبع .

(5) والكتاب نشره العالم التونسي الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب — بتونس سنة (1350 هـ) وقدم له بمقدمة مطولة تضمنت معلومات قيمة عن تاريخ التربية والتعليم بالمغرب .
واعيد نشره في ذيل رسالة « التعليم في راي القابسي » للاستاذ احمد الاهواني سنة (1955) انظر ص (350 — 367) .

العلمية والتربوية ، ويعتبر اول كتاب في هذا الباب :
ومن فصولـــــه :

— ما جاء في تعليـــم القـــرءان العزيـــز .

— ما جـــاء في العـــدل بيـــن الصبيـــان .

— ما جاء في الادب ، ما يجوز في ذلك وما لا يجـــوز — (يعنـــي عقاب الطفـــل) .

— ما جاء في الختم ، وما يجب في ذلك للمعلم .

— ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان ...
ويقول في هذا الصدد : (... ولا يحل للمعلـــم أن يشغل عن الصبيان ، الا أن يكون في وقت لا يعرضهم فيه ، فلا باس أن يتحدث — وهو في ذلك ينظر اليهم ويتفقدهم ...) (6) .

ويذكر — فيما ينبغي ان يتعلمه الصبيـــان — (... وان يعلمهم الحساب ، وليس ذلك بلازم له ، الا ان يشترط ذلك عليه ؛ وكذلك الشعر ، والغريب ، والعربية ، والخط ، والنحو — وهو في ذلك متطوع ... وينبغي له ان يعلمهم اعراب القرءان — وذلـــك لازم له ؛ والشكل ، والهجاء ، والخـــط الحسن ، والقراءة الحسنة ، والتوقيف (الوقف في القرءان) ، والترتيل — يلزمه ذلك ؛ ولا باس ان يعلمهم الشعـــر مما لا يكون فيه فحش من كلام العرب واخبارها ... ويعلمهم الادب ، فانه من الواجب لله عليه النصيحة ، وحفظهم ، ورعايتهم ؛ وليجعل الكتاب في الضحى الى الانقلاب (الانصراف) ؛ ولا باس ان يجعلهم يملـــي بعضهم على بعض ، لان ذلك منفعة لهم ؛ وليتفقـــد املاءهم ، ولا يجوز ان ينقلهم من سورة حتى يحفظوها باعرابها وكتابتها ... ويلزمه أن يعلمهـــم الوضـــوء والصلاة ، لان ذلك دينهم ...) (7) .

3 — والف ابو محمد بن ابي زيد القيروانـــي رسالته (8) المشهورة — فيما على اطفال المسلمين ان يتعلموه من امور دينهم ، وهي اول كتاب للطفل في تاريخ التربية الاسلامية — فيما نعلم .

وجاء في مقدمتها قوله : (... فانك سالتني ان اكتب لك جملة مختصرة من واجب امور الديانة ، مما تنطق به الالسنة ، وتعتقده القلوب ، وتعملـــه الجوارح ، ومايتصل بالواجب من ذلك من السنن : من مؤكدها ، ونوافلها ، ورغائبهـــا ، وشـــيء مـــن الآداب ... لما رغبت فيه من تعليم ذلك للولدان ، كما تعلمهم حروف القرءان ؛ ليسبق الى قلوبهم من فهم دين الله ، وشرائعه ، ما ترجى لهم بركته ، وتحمد لهـــم عاقبتـــه ...

ويتحدث عن فوائد كتاب الطفل واهميته فيقول: (... ان خير القلوب أوعاها للخير ، وراجى القلوب للخير ، ما لم يسبق الشر اليه ؛ واولى ما عني بـــه الناصحون ، ورغب في اجره الراغبون ؛ — ايصال الخير الى قلوب أولاد المومنين ليرسخ فيها ، وتنبيههم على معالم الديانة ، وحدود الشريعة ، ليروضوا عليهـــا ؛ وما عليهم ان تعتقده من الدين قلوبهم ، وتعمل بـــه جوارحهم ؛ فانه روي ان تعليم الصغار لكتاب الله ، يطفيء غضب الله ؛ وان تعليم الشيء في الصغـــر ، كالنقش في الحجر ...) (9) .

4 — ويتوج هذه الرسائل — رسالة ابي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي (ت 403 هـ—1012م) المعنونة بـ (الرسالة المفصلة لاحوال المتعلميـــن ، واحكام المعلمين ...) (10) ، وهي من أوسع مـــا الف في موضوع التربية بالمغرب ، وقد تصدى فيها للنواحي المختلفة في تعليم الصبيان ، فتحدث عن :

— اغراض التعليم ، — مناهجه ، — العقاب ، — طرق التدريس ، — احكام خاصة بالمعلم ، — مكان التعليم ، — (وهو الكتاب) .

ومن آرائـــه الجريئـــة :

— الزامية التعليم ، ذلك أن معرفة العبـــادات واجبة بنص القرءان ، ومعرفة القرءان واجبة ايضـــا لضرورتها في الصلاة ؛ وان الوالد مكلف تعليم ابنـــه

---

(6) انظـــــر ص 357 .
(7) انظـــــر ص 358 .
(8) طبعت عدة طبعات ، وعليها شروح كثيـــرة ، اشهرها شرح ابي الحســـن المنوفـــي المصـــري (ت 939 هـ) .
(9) انظر الرسالة بشرح ابي الحسين ص 22 — 32 .
(10) نشر ضمن ملاحق رسالة « راي القابسي في التعليم » لاحمد الاهواني سنة (955) .

القرءان والصلاة ، لان حكم الولد في الدين حكم ابيه؛ فاذا لم يتيسر للوالد ان يعلم ابناءه بنفسه ، فعليه ان يرسلهم الى الكتاب لتلقي العلم بالاجر ؛ فاذا لم يكن الوالد قادرا على نفقة التعليم ، فاقرباؤه مكلفون بذلك ؛ فاذا عجز اهله عن نفقة التعليم ، فالمحسنون مرغبون في ذلك ، او معلم الكتاب يعلم الفقير احتسابا ، او بيت المال ...) (11) .

— ولا تتم هذه الحلقة في الزامية التعليم — على راي القابسي — الا باشراك البنت الى جانب الولد في هذه الفضيلة .. ومن صلاحهم وحسن النظر لهم ، ان لا يخلط بين الذكران والاناث ...)(12)

واختلاط الجنسين في التعليم ، من المسائل الشائكة التي يتخبط فيها العالم — الى اليوم .

ومهمى يكن ، فهذه آراء سبق بها القابسي زمانه ، وتدل : على بعد نظره ، وهي من آرائه المثالية التي حاد بها عن محيطه الواقعي .

5 — ويأتي بعد هؤلاء جميعا — ابو جعفر احمد ابن ابراهيم الجزار القيرواني ، الذي عاش اواخر القرن الثالث والنصف الاول من القرن الرابع الهجري اي في حدود (385 — 350 هـ) القرن التاسع والعاشر للميلاد (895 — 970 م) ، وقد اتجه اتجاها خاصا ، عني فيه بتربية الطفل جسميا — والعقل السليم ، في الجسم السليم ؛ — فألف كتابه « سياسة الصبيان وتدبيرهم » (13) ، ضمنه عشرين بابا ، تحدث في الابواب الستة الاولى عن حفظ صحة الطفل ، وتدبيره عند الولادة ، مع شروط المرضعة وانواع اللبن ، وطرق تحسينه ... ثم انتقل في الباب السابع الى الواحد والعشرين — الى الامراض التي تعرض للاطفال ، فتناول فيها موضوع مداواتها — على ترتيب أعضاء الجسم من الراس الى أسفل ... اما الباب الثاني والعشرون — وهو الاخير — : فقد خصه للحديث عن طباع الصبيان وتربيتهم ...) (14) .

فهو — كما نرى — كتاب طب وتربية ، فريد في بابه .

6 — وابو عمر يوسف بن عبد البر (ت 463 هـ — 1070 م) المحدث المشهور — من الرواد الاول في ميدان التربية والتعليم ، الف كتابه « جامع بيان العلم وفضله » (15) — وهو من امتع الكتب التربوية وافضلها ، قال في المقدمة : (.. سالتني — رحمك الله — عن معنى العلم وفضل طلبه ، وحمد السعي فيه والعناية به ؛ وعن تثبيت الحجاج بالعلم ، وتبيين فساد القول في دين الله بغير علم ... ورغبت ان اقدم لك قبل هذا من آداب التعلم ، وما يلزم العالم والمتعلم التخلق به ، والمواظبة عليه ، وكيف وجه الطلب ، وما حمد ومدح فيه من الاجتهاد والنصب ؛ — الى سائر انواع آداب التعلم والتعليم ، وفضل ذلك وتلخيصه بابا ، بابا ...) (16) .

ومن فصوله :

— فضل العلم واهله ؛ — فضل التعلم في الصغر والحض عليه ، — السؤال والالحاح في طلب العلم ، — آداب العالم والمتعلم ؛ — فضل النظر في الكتب ، والعناية بالدفاتر .

7 — وللقاضي ابي بكر بن العربي (ت 543 هـ — 1148 م) — آراء خاصة في التربية والتعليم ، جاءت مبثوثة في كتبه .

— قال في « مراقي الزلف » — وهو يتحدث عن طبيعة الطفل ، ومتى استعداده للخير والشر :

---

(11) التعليم في رأي القابسي ص 91 ، وانظر الرسالة المفصلة ص 291 — 292 .
(12) التعليم في رأي القابسي ص 94 — 95 ، والرسالة المفصلة ص 292 — 293 .
(13) طبعته الدار التونسية بتحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة — سنة (1968) .
(14) انظر مقدمة التحقيق ص 52 .
(15) طبع بمصر سنة (1928) ، ثم اعادت نشره المكتبة السلفية بالمدينة المنورة سنة (1388 هـ — 1968) .
(16) انظر مقدمة الكتاب ص 3 — (الطبعة الثانية) .

(... اعلم ان الصبي امانة عند والديـه ، وقلبـه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ، خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل نقش ، ومائل لكل ما يمال به اليـه ...) (17) .

ويذكر فى كتابه « سراج المريدين » — انـه ينبغي ان ينشأ الطفل على تعليم العربية ، ومقاطع الكلام ، ويحفظ اشعار العرب وامثالها ...) (18) .

وفى « قانون التاويل » — (ثم تنتقـل الـى الحساب فتتمرن فيه حتى ترى القانون ، فانه علـم عظيـم ...) (19) .

فاذا اشتد ساعده فى هذه العلوم ، كان مـن السهل عليه — فى نظر ابن العربي — دراسة القرءان وحفظه : (.. ثم انتقل الى درس القرءان ، فانـه يتيسر له بهذه المقدمات ...) (20) .

ويشير فى كتابه « الاحكام » — الى أنه شاهد بالمشرق طريقة تربوية فى تعليم الحساب غريبة ، وهي أن معلم الحساب ، كان يلقي عليهـم مسائـل حسابية — وافواههم بالماء ، حتى اذا ما سالهم عـن النتيجة ، رمى كل تلميذ ما فى فيه من الماء ، وصرح بالنتيجة التي وصل اليها ؛ وعلل ذلـك بقولـه : (... ليعودهم خزل اللسان عن تحصيل المفهوم عن المسموع ...) (21) .

وجاء فى كتابه « العواصم من القواصـم » : (... والذي يجب على الولي فى الصبي المسلم — كان ابا او وصيا ، او حاضنا ، او الامام ؛ — اذا عقل — ان يلقنه الإيمان ، ويعلمه الكتابـة ، والحسـاب ، ويحفظه اشعار العرب العاربة ، ويعرفه العوامل فى الاعراب ، وشيئا من التصريف ؛ ثم يحفظـه — اذا استقل واشتد فى العشر الثاني — كتاب الله ، وهو امر وسط بيننا وبين اهل المشرق ، ثم يحفظه اصول سنن الرسول وهي نحو من الفي حديث فى الابواب ، تضمنها البخاري ومسلم ، هي عماد الدين ... وياخذ هو بعد ذلك نفسه بعلـوم القـرءان ، ومعانـي كلماته ...) (22) .

ونهى مع ذلك ان يخلط فى التعليم علمان ، الا ان يكون المتعلم قابلا لذلك بجودة الفهم والنشاط (23) .

وينتقد ابن العربي الطريقة التي كانت متبعة فى الاندلس فيقـول :

(... ويا غفلة اهل بلادنا فى ان تاخذ الصبي بكتاب الله فى اول أمره ، فيقرا ما لا يفهم ، وينصب فى امر غيره عنده أهم ...) (24) .

وسياتي راي ابن خلدون فى طريقة ابن العربي هذه ، والغريـب فى الامـر ان يدعـي بعـض المستشرقين (25) ان الطريقة التي اقترحهـا ابن العربي ، هي نفسها الطريقة التـي كانـت متبعـة بالاندلس ، وانهم — فى زعمه — (متاثرون بالطريقـة اليهودية والنصرانية التي كانت عليها بلاد الاندلس قبل دخول الاسلام) (26) . وهو ادعاء لا أساس له من الصحة ، فكيف يتصور أن تكون طريقة ابن العربي هي عينها طريقة اهل الاندلس وهو ينـادي عليهـم بالغفلة والجهل — كما أسلفنا ، ويؤيد ذلك ما جاء فى كتابه « العواصم من القواصم » : (... وحدثـت

---

(17) اورده ابن الحاج فى « المدخل » ج 4 / 295 ؛ وابن العربي متاثر فى هذا النص بأستاذه الغزالي الاحياء . انظر ج 3 / 72 .
(18) انظر ورقة 59 — نسخة دار الكتب المصرية رقـم (20348 ب) .
(19) انظر مخطوطة (ابزو) — ورقة (80) — ا .
(20) المرجـع السابـق .
(21) انظر ج 4 / 1883 — الطبعة الثانية .
(22) انظـر ص 395 .
(23) انظر مقدمة ابن خلدون — نقلا عن « ترتيب الرحلة » لابن العربي ص 1014 .
(24) قانون التأويـل ورقـة (85) — ا .
(25) اعني به المستشرق الفرنسي هنري بيريس ، الذي كتب كتابا قيما عن الشعر الاندلسي فى القرن الخامس الهجري ، (الحادي عشر الميلادي) .
(26) انظر كتابه : ص : 625 .

قاصمة اخرى فى تعلم العلم ، فصار الصبي عندهم اذا عقل . فان سلكوا به امثل طريقة لهم . علموه كتاب الله ، فاذا حذقه ، نقلوه الى الادب ، فاذا نهض فيه ، حفظوه « الموطأ » فاذا لقنه ، نقلوه الى « المدونة » ...) (27) .

اما دعوى انهم متأثرون بالطريقة اليهودية والنصرانية التي كانت عليها بلاد الاندلس قبل دخول الاسلام . فهو زعم كفانا مؤونة رده وتفنيده ــ الاستاذ اسعد طلس فى كتابه « التربية والتعليم فى الاسلام » (28) .

8 ــ ومما يدخل فى هذا الاطار ــ أعني ميدان التربية والتعليم ــ ما الف خصيصا للطفل ، ومرت بنا اول محاولة فى هذا الصدد ــ لابي محمد بن ابي زيد القيرواني ، وهذا كتاب « الاعلام ، بحدود قواعد الاسلام » (29) لابي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت 544 هـ ــ 1149 م) ، وهو من احسن ما الف فى هذا الباب ، وجاء فى مقدمته قوله : (... وبعد : ايها الراغب فى الخير ، الحريص على تدريب المتعلمين لوجوه البر ، فانك سألتني فى جمع فصول سهلة المأخذ ، قريبة المرام ، مفسرة حدود قواعد الاسلام ...) (30) .

لقد قصد كما نرى ــ الى تفسير قواعد الاسلام الخمس ، فى لغة واضحة سهلة ، ابتعد فيها عن كثير من التعابير والجمل الاصطلاحية ، بحيث اصبحت غير بعيدة عن مدركات الاطفال الذين الف لهم (31) .

9 ــ والف ابو عبد الله محمد بن محمد بن الحاج العبدري الفاسي (ت 773 هـ ــ 1371 م) كتابه « المدخل » (32) اورد فيه فصولا مهمة فى التربية والتعليم ، نذكر منها :

ــ آداب المتعلم ، ــ آداب العالم والمتعلم فى بيته مع اهله . ــ آداب المؤدب . ــ تربية الاولاد وحسن سياستهم . ــ ما يؤمر به الصبي من الآداب .

وهذا الفصل من اهم فصول الكتاب ، وقد تعرض فيه لقضية طالما اختلف فيها المربون ــ قديما وحديثا ، وهي السن التي ينبغي أن يبدأ فيها الطفل تعلمه ، فقيل الرابعة او الخامسة ، وقيل السادسة او السابعة ... ويرى ابن الحاج ان السن التي تناسب طبيعة الطفل ، هي السابعة : (... لانها زمن يؤمر فيه الولي ان يكلف الصبي بالصلاة والآداب الشرعية ؛ فاذا كان الصبي فى ذلك السن ، فهو غير محتاج الى من يأتي به الى المكتب ، اذ امن عليه غالبا ... والغالب فى هذا الزمان ، انهم يدخلون اولادهم الى المكتب فى حال الصغر ، بحيث يحتاجون الى من يربيهم ، ويسوقهم الى المكتب ويردهم الى بيوتهم ، بل بعضهم يكون سنه بحيث لا يقدر ان يمسك ضرورة نفسه ؛ فليحذر من ان يقرىء مثل هؤلاء ، اذ لا فائدة فى اقرائه لهم ، الا وجود التعب ــ غالبا ...) (33) .

ويوصي بالرفق بالطفل ، اذ انه لا يجب ضربه فى هذا السن ، وينحى باللائمة على اصحاب « الفلقة » الذين جعلوا العصا شعارهم :(... وليحذر الحذر الكلي من فعل بعض المؤدبين فى هذا الزمان ، وهو انهم يتعاطون آلة اتخذوها لضرب الصبيان ، مثل عصا اللوز اليابس ، والجريد المشرح ، والاسواط النوبية ، و (الفلقة) ، وما اشبه ذلك مما احدثوه ــ وهو كثير ، ولا يليق هذا بمن ينتسب الى حمل كتاب الله العزيز ...) (34) .

(27) انظر ص : 395 ــ 396 .
(28) انظر ص : 82 ــ 83 .
(29) طبعته وزارة الشؤون الاسلامية بالمغرب بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي سنة (1384 هـ ــ 1964 م) .
(30) انظر ص 1 .
(31) انظر المقدمة القيمة التي قدم بها الكتاب ــ الاستاذ المرحوم محمد ابن تاويت الطنجي ص (يه) .
(32) طبع بمصر سنة (1320 هـ) واعادت طبعه دار الفكر سنة (1397 هـ ــ 1977 م) .
(33) انظر ج 2 / 315 ــ 316 .
(34) نفس المصدر ص 317 .

ويحذر ابن الحاج من المعلمين الاجانب الذين ينفثون السم في الدسم ، فيفسدون عقيدة الطفل واخلاقه ، وهو كالجوهرة البيضاء ينطبع عليها كل شيء (... وينبغي للآباء ان ينظروا لاولادهم من المربين من هو اروع وازهد واتقى ... لانه رضاع ثان للصبي بعد رضاع الام ؛ واذا كان ذلك كذلك ، فليحذر آن يفعل ما احدثه بعض عوام المسلمين — يعني بمصر — من انهم يخرجونهم من المكتب الذي يقراون فيه كتاب ربهم — عز وجل — ، ويتعلمون فيه شريعة نبيهم — عليه الصلاة والسلام — ؛ ويذهبون بهم الى كتاب النصارى لتعليم الحساب ، وهو رضاع ثالث بعد رضاع المؤدب ؛ وقد قيل : الرضاع ، يغير الطباع . والصبي في هذا السن ، قابل لكل ما يلقى اليه ، مثل الشمع أي شيء عمل عليه ، طبع فيه . وقد قال مالك: لا تمكن زائغ القلب من اذنيك ، فانك لا تدري ما ذا يعلقك من ذلك ...) (35) .

10 — وابن خلدون (ت 808 هـ — 1405 م) من المربين الكبار ، الذين أبدعوا ابداعا فائقا في تربية الاطفال وتعليمهم ، فهو لم يسلك طريقة الفقهاء أو المحدثين ، بل اختار مذهبا خاصا (36) ؛ فهو يرى (... أن العلم والتعلم طبيعي في العمران البشري ؛ لان الانسان انما يتميز عن الحيوان بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه ، والتعاون مع أبناء جنسه ، والاجتماع المهيء لذلك التعاون ...) (37) .

وقد خص الباب السادس من الكتاب الاول — في مقدمته — للعلوم واصنافها ، والتعليم ، وطرقه ، وسائر وجوهه ، وما يعرض في ذلك كله من أحوال .. وضمنه خمسين فصلا ؛ والذي يهمنا — في هذه العجالة — الفصل الثاني والثلاثون الذي عقده لتعليم الولدان ، واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه ... وجاء فيه قوله : (... اعلم أن تعليم الولدان للقرءان ، شعار من شعائر الدين ، أخذ به اهل الملة ، ودرجوا عليه في جميع امصارهم ، لما يسبق فيه الى القلوب من رسوخ الايمان ، وعقائده من آيات القرءان ، وبعض متون الاحاديث .. وصار القرءان أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات ؛ وسبب ذلك ، أن تعليم الصغار أشد رسوخا ، وهو اصل لما بعده ؛ لان السابق الاول للقلوب ، كالاساس للملكات ، وعلى حسب الاساس واساليبه ، يكون حال ما ينبني عليه ...) (38) .

وتحدث عن طرق التعليم عند اهل الامصار ، وشرح مذاهبهم فيها ، وجعلها اربعة مذاهب :

1 — مذهب اهل المغرب .
2 — مذهب أهل الاندلس .
3 — مذهب أهل افريقية .
4 — مذهب أهل المشرق .

وفاضل بينها ، وذكر ما لكل مذهب من محاسن ومساوىء ؛ وختم هذا الفصل بمذهب القاضي ابن العربي الذي تحدثنا عنه آنفا ، وقال فيه : — منوها وناقدا في آن واحد — (.. وهو لعمري مذهب حسن ، الا أن العوائد لا تساعد عليه ، وهي أملك بالاحوال ؛ ووجه ما اختصت به العوائد من تقدم دراسة القرءان ، ايثار التبرك والثواب ، وخشية ما يعرض للولد من جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم ، فيفوته القرءان ... ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم ، وقبوله التعلم ؛ لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي (يعني ابن العربي) — اولى ما اخذ به أهل المغرب والمشرق ...) (39) .

11 — ومن الذين اسهموا في ميدان التربية والتعليم — ابو العباس احمد بن ابي جمعة المغراوي الوهراني (ت في حدود 920 هـ — 1514 م) فالف كتابه : « جامع جوامع الاختصار والتبيان ، فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان » (40) .

---

(35) نفس المصدر ص 327 ، وانظر ص 328 — 331 .
(36) انظر « التربية والتعليم » — لاسعد طلس ص 202 .
(37) انظر المقدمة ص 776 .
(38) ص : 1010 .
(39) ص : 1014 — 1015 .
(40) توجد نسخة منه خطية بالمكتبة العامة بتطوان ـ ضمن مجموع رقم 595 .

قال في مقدمته : (... اما بعد ، فقد سالني بعض الاخوان ، ان اضع لهم جامعا مختصرا مفيدا في أحكام المعلمين والمتعلمين وآبائهم ، وحقوق بعضهم على بعض ...) (41) .

وذكر من حقوق الابن على أبيه (.. انتقاء منبته (يعني ان يختار له أما صالحة) ، وادخاله المكتب ..) (42) .

وبين ان أوقات الاستراحة للطفل في الكتاب ثلاثة :

— بعد المحو للافطار .

— قبل الظهر للغذاء والراحة .

— مع عشية النهار — وذلك بحسب طول النهار وقصره ، ويضيق عليهم في قصره .

وختم الكتاب بباب جامع ذكر فيه مسائل متفرقة ، منها : «أن لا يكره الرجل على احضار ولده (اي الى الكتاب) ، وانه لا يلزم الاب ان يعلم ولده القرءان ، وانما عليه ان يعلمه العقائد خاصة ؛ وان على معلم الصبيان أن يكون ضابطا لهم ، مستيقظا غير غافل عنهم ، فان الصبا شعبة من الجنون ؛ وليكن شفيقا عليهم عند آلامهم لكثرة اعذارهم ...) (43) — وتحدث عن الوان من العلاج ينبغي للمعلم أن يعالجهم بها داخل الكتاب ، وهي علاجات روحية ، أكثر منها طبيبة .

12 — والف أبو العباس احمد بن عرضون الزجلي (ت 992 هـ — 1584 م) — كتابه « مقنع المحتاج ، في آداب الازواج» — وهو مجلد ضخم (44)، ذيله بخاتمة في رياضة الصبيان ، وهي كتاب مستقل بنفسه ، وما أحراه بالتجريد !

ولعل ذلك ما جعله يختصره في كتاب « آداب الازواج وتربية الولدان » (45) . ضمنه مقدمة وثلاثة اقسام :

— المقدمة في فوائد الزواج .

— القسم الاول في الامور التي ينظر فيها قبل الزواج .

— القسم الثاني في آداب العشرة .

— القسم الثالث في رياضة الولدان — وفيه بابان :

الباب الاول فيما يطلب به الولي من رياضة الولدان .

الباب الثاني فيما يتعلق بتعليم المعلمين للصبيان .

وقد تحدث في الباب الاول عن رياضة الاولاد وتاديبهم ، وقال : (ان ذلك مطلوب شرعا ، مستحسن طبعا ؛ وقد قيل من ادب ولده صغيرا ، قرت به عينه كبيرا ..) .

ويشير ابن عرضون — في هذا الصدد — الى الدور الذي تلعبه (مدرسة البيت) في تربية الطفل، وخصوصا الناحية الدينية التي اهملها الناس — كما يقول — في عصره ، حتى وقعوا في كفر صراح ؛ ويرى ان على الآباء ان يربوا اولادهم على عقيدة الاسلام ، ومعرفة قواعده ؛ ويذكر ان شيخه أبا محمد الهبطي الف رسائل في هذا السبيل ، يسهل حفظها على النساء والولدان والخدم ؛ وهنا يقف ابن عرضون موقفا صارما ، فيرى أن على الآباء وأولياء الامر ، أن يهتموا بشؤون البنت ، كما يجب ان يعنوا بتربية الولد ، فيعلموها ويهذبوها حتى لا تبقى جاهلة —

(41) انظر مخطوطة تطوان ص 224 .
(42) نفس المصدر ص 224 .
(43) المرجع السابق ص 246 .
(44) توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 10526 ك ، وبالخزانة الملكية نسخ تحمل ارقام : 449 ، 4659 ، 3100 .
(45) طبع على الحجر بفاس سنة (1319 هـ) ، وتوجد نسخ خطية منه بالخزانة العامة بتطوان ، تحت رقم 593 ، والثانية رقم 654 .

وكانها ليست مسئولة ولا محاسبة ؛ والدين الاسلامي سوى بين الرجل والمراة فى الاحكام . ويورد ابن عرضون وصية مطولة لبعض العلماء فى تربية الطفل ، وهي جامعة مانعة .

ويعرض فى الباب الثاني ، لما ينبغي ان يكون عليه المعلم من سلوك حسن ، واخلاق فاضلة ، حتى يقتدى به الصبيان ؛ واورد نصوص الفقهاء واقوال المربين فى ذلك .

ثم تحدث عن كيفية التعليم فى الكتاب ، والطريقة المتبعة فى ذلك ، وانتقد اهمال المعلمين لنطق الطفل (التهجي) ، فنجده يقول — مثلا — فى لام الف — لملف . وربما قال بعضهم نملف — بالنون؛ وفى الزاي : الزين ؛ ويقولون فى اللام — حالة النصب والتنوين — لا نصبتين ، وفى حالة الخفض لمخفضتين، او لانخفضتين الخ .

ويعود ابن عرضون مرة اخرى الى تعليم البنت ، فيناقش البرزلي الذي يرى ان تعليم البنت الكتابة لا يجوز ، لانه يؤدي الى فسادها ؛ ويقول فى الرد عليه: ان ذلك امر متوهم ، وليس بمتحقق ؛ بل ربما يكون تعليم البنت الكتابة — احيانا — واجبا ؛ كما اذا كانت لا تستطيع ان تحفظ الفاتحة ، او العقيدة الواجبة الا بالكتابة والدرس ، فما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ... واورد ما ذكره ابن الحاجب من غزارة العلم فى نساء السلف وبناتهم ، وامائهم ... مثل ما حكاه عن بنات مالك بن انس واماء بناته ، وبنات سعيد ابن المسيب ؛ وذكر ان زوجة شيخه ابي عبد الله بن ابي جمرة كانت تحفظ القرءان ، ورسالة ابن ابي زيد، والنصف من الموطأ ؛ وقربت منها بناتها .. وكثير ما يحكى عن قرطبة وسائر اهل الاندلس من الاتصاف بالعلم ، وحسن الخط ، والاشتغال بالنسخ ؛ قال : وعلى هذا المنهج كان شيخنا ابو محمد الهبطي ، فجل بناته وخدمه وامائه ، يقرءون ما تيسر من القرءان ، والعقائد ، والاحكام ، وينسخن ما لا بد لهن من ذلك .

ثم تحدث عن الحذقة (الختمة) وآدابها ، وهي حفلة يقيمها والد الطفل عند ختمه للقرءان ، ويراسها معلم الكتاب ، وتقام المهرجانات والالعاب .. وهي تشبه — الى حد ما — الاحتفالات التي يقيمها مديرو المدارس عند انتهاء السنة الدراسية ؛ وينتقد ابن عرضون مغالاة الناس فى هذه الاحتفالات التي توقعهم فى البدع المذمومة التي فيها سخط الله وغضبه :

شكوت الى وكيع سوء حفظي
فاومى الى ترك المعاصي

13 — وكان من اهتمام الملوك العلويين بالطفولة المغربية ، ان وضع السلطان المولى محمد بن عبد الله (ت 1204 هـ — 1789 م) منهجا خاصا للدراسة والتعليم (46) ، فكان اول تنظيم رسمي للمعاهد والجامعة الاسلامية بالمغرب .

— والف فيما يتصل بالكتاتيب القرآنية — (المدرسة الابتدائية) — كتابه : « مواهب المنان ، بما يتاكد على المعلمين تعليمه للصبيان»(47)، وهو مما يدخل فى سلسلة كتاب الطفل المسلم ؛ ومر بنا كتاب « الاعلام ، بحدود قواعد الاسلام » للقاضي عياض ، ورسالة ابن ابي زيد القيرواني ؛ والسلطان محمد بن عبد الله — متاثر بهذا الاخير ، الى حد كبير .

ويحدثنا عن دواعي تاليفه فيقول : (.. وبعد : فلما كان غالب اعتناء طلبة الوقت بحفظ القرءان ، والتفنن فى قراءته بالروايات ، واهمالهم ما فرض الله على الاعيان مما يدان به من علم العبادات والاعتقادات .. وقد طال اختباري ومشافهتي لمشاهير الحفاظ المسلم لهم فى قراءة المكي والسبع ، وضبط الروايات والالفاظ ، فالفيتهم جاهلين — وخصوصا اهل البوادي — باحكام الطهارة والصلاة ، لاعراضهم عن تعلم واجب ذلك ، واكبابهم على ضبط طرق الروايات ؛ فكم من امام لا يعرف ما تصح به الطهارة ، ولا مبطلات الصلاة ، ولا احكام السهو ، ولا ... وكنت لقيت — حال سفري من مكناسة الى مراكش سنة ثلاث بعد المائتين والف — (اى قبل وفاته بسنة) — من الاساتيذ الجم الكثير ، حملني ذلك لما انطوى عليه الفؤاد من النصح للمسلمين — ان اجمع لهم مسائل مهمات من علم اصول الدين ، قربية

(46) انظر الاستقصا ج 8 / 67 ، وذكريات مشاهير رجال المغرب — الحلقة (35) ص 23 .
(47) توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط رقم (795 ك) .

المقاصد ، شهيرة الموارد ، مقتصـــرا فيهـــا على الضروري ، ليسهل حفظه على الصبيان ؛ وهي ايضا نافعة لمن اقتصر عليها في دينه من الشيوخ والكهول والشبـــــان ...) .

ويتلخص الكتاب في مقدمـــة ، وفصـــول ، وخاتمـــــة .

تحدث في المقدمة عما يتعين على المعلميـــن الاخذ به في تعليم الصبيان ... وقد جاء فيها قوله : (... اعلم ـ أرشدنا الله وإياك ـ انه يجب على معلم الصبيان ان ينصحهم ويبذل المجهود في ذلك ، لانه خليفة آبائهم ؛ ـ بأن يعلم الطفل :

أ) الفاتحة وحزب سبح ، فان صعب عليه ، فليقرئه ربعه الاخير « والعاديات » .

ب) فاذا حفظ ، فليعلمه عقيدة الشيـــخ ابن ابي زيد حتى يحفظها وترسخ في ذهنه ، فهي الاصل الاصيـــــل .

ج) ثم بعد ذلك يبين له أن الميـــاه ثلاثـــة اقســـــام ...

د) يعلمه اسباغ الوضوء ، وكيفية الاغتسال ، وفرائضهما ، وسننهما ، ونواقضهما ...

هـ) ثم يبين له ، احكام التيمم ، وانه يجب عند عدم الماء او عدم القدرة على استعماله ، ويريه صفتـــــه ...

و) ثم يعلمه أحكام الصـــلاة من فرائضهـــا وسننها ، وما يبطلها ...

ويتأكد ايضا على معلم الصبيان ان يعلمهم الاذان وكيفيته ، وحكمه ، وكذلك الاقامة .

ز) وعلى معلم الصبيان (ان يطبق ذلك عمليا) فيصلي بهم ، ويعلمهم اتمام الركـــوع والسجـــود والطمانينة فيهما ...

ح) ويتاكد على المعلم اعادة هذه الامور على الصبيان وتكرارها ، حتى ترسخ في اذهانهـــم ...

فان تعلم الشيء في الصغر ، كالنقش في الحجر) ، فلا يأتي زمن بلوغهم حتى يجدهم عارفين بما يجـــب عليهم من امور دينهم ...

ط) كما يجب عليه أن يحضهم على الاستقامة، وانها تؤدي الى السلامة ؛ وان الاستقامـــة أصـــل المنجيات ، كما أن عدم الاستقامة أصل المهلكات ...

ي) ثم اذا ظهرت فيه نجابة في القـــراءه ، فليتركه يقرأ ... فان لم تظهر فيه نجابة ، فها هو قد تعلم امور دينه ، وبرئت ذمة والده من تبعة بقائه على جهله ؛ فعليه أن يحترف بالحرفة التي كان والـــده يحترف بها من تجارة ، او صناعة ، او فلاحة ...

اما الفصول ، فقد شرح فيها شرحا مبسطا ، عقيدة الاسلام وقواعده ، وفرائضه ، وأحكامه ، من طهارة ، وصلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحج .

وخص الخاتمة بما ينبغي ان يكون عليه الطفل من آداب واخلاق فاضلة ...

14 ـ وهناك لون آخر من التأليف ، وهو ما خلفه علماؤنا من أنظام في التربية والتعليم ، وهـــذه ارجوزة أبي حامد العربي بن عبد الله بن أبي يحيـــى المساري (ت في حدود 1240 هـ ـ 1824 م) وهي أوسع منظومة في آداب المعلم والمتعلم ، ومناهـــج التعليم ، وطرقه ، وما الى ذلك ...

وقد نظمها سنـــة (1185 هـ) ، وأسماهـــا « سراج طلاب العلوم » (48) تقع في (214) بيتا ، ضمنها مقدمة ، وثمانية أبواب ، وخاتمة (49) .

ويمهد لذلك بالحديث عن الدوافع التي دفعته لوضع هذه الارجوزة ، ويذكر من ذلك ما راى عليـــه طلبة العصر من سوء ادب ، وفساد اخلاق ،، وفوضى في التعليم ، وبعد عن روح التربية الاسلامية ...

اما المقدمة ، فقد حض فيها طالب العلم على الصبر والمثابرة ، والعناية بالتحصيل والتقييد ...

---

(48) توجد نسخ خطية منها في كثير من المكتبـــات ، سواء منها العامة أو الخاصة .

(49) انظر صحيفة « الميثاق » لسان حال رابطة علماء المغرب عدد 36 ـ ص 4 ، 7 ـ السنة الثانية .

وأما الابواب ، فهي كما يلي :

1 ــ الباب الاول : فيما يبتدأ به من العلوم ــ ورتبها علما ، علما ...

2 ــ فى اعارة الكتب والنساخة ، وما لذلك من آداب وشروط ...

3 ــ آداب يوم الخميس (العطلة الاسبوعية) ، وما ينبغي ان يقوم به الطالب فيها من انشطة رياضية وادبية ...

4 ــ آداب المدرسة ، والنظام الذي يسير عليه التلميذ وقت الدراسة ...

5 ــ آداب الرتبة (وهي ما يرتبه الاهالي من الطعام لطلبة المدرسة ــ يوميا) ، ويسمى بالمعروف ، ثم استبدل ــ اخيرا بنظام الخبزة الذي كان معروفا بالقرويين الى عهد قريب ...

6 ــ كيفية القراءة (آداب المطالعة ، ومذاكرة الدروس ، وآداب السؤال ، ومراجعة الشيخ ، وما الى ذلك من الآداب التي ينبغي ان يتحلى بها طالب علم ...)

7 ــ كيفية الاقراء : (اعداد الدروس ، وطرق التدريس المتبعة فى كل مادة ، مادة ...

8 ــ آداب التلميذ مع الشيخ ... وهي آداب تجعل التلميذ ينظر الى معلمه ــ دائما ــ بعين التجلة والاحترام ، ويعتبره الاب الروحي ، والمرشد النصوح ...

ــ وخص الخاتمة لآداب الشيخ ، وما يجب ان يتوفر عليه كل معلم من سيرة مثلى ، واخلاق حميدة ...

وقد وضع على هذه الارجوزة العالم الاديب ابو العباس احمد بن المامون البلغيثي (ت 1348 هـ ــ 1929 م) ــ شرحا حافلا ، أسماه « الابتهاج بنور السراج » ــ فى جزءين ، وهو موسوعة تربوية وادبية .

ومن اهم ما يذكره ــ وهو يتحدث عن انشطة المدرسة المغربية ــ ان الكرة ــ وقد عرفها صاحب مختصر الافاردة بانها جلد مستدير على صوف خوز ، وذكر كيفيات لعبها ــ انها من لعب العرب القدامى ، وبها فسروا ما فى الحديث (الصحيح) : (.. كنا نعطي الصبيان يوم عاشوراء ، اللعبة من العهن (الصوف) نلهيهم بها عن الطعام ...) (50) ثم اورد ما فيها من فوائد صحية ، وانه ينبغي ان يستحم بعد الفراغ منها ، ثم يتناول من الشراب الموافق لمزاجه، ثم يتغذى بعد ذلك ، ويشير الى ان اهل مراكش ممن اشتهروا بلعب الكرة ــ ولم يكونوا يرون فى ذلك غضاضة .

اما اهل فاس ، وقبائل الجبل (51) ــ كما يقول ــ فلم يكن يلعبها ــ عندهم ــ الا الرعاع والصبيان الصغار ... (52)

وبعد فهذا عرض سريع ، يبين مدى اهتمام علمائنا (53) بتربية الطفل وتعليمه وتهذيبه ... وهو يدحض الزعم القائل بأن المسلمين ، لم يعتنوا بالجانب التربوي والتعليمي للطفل ، بل المسلمون ــ فوق ذلك ــ قد ابتكروا آراء جديدة فى هذا الميدان ، لم يصطنعوها عن غيرهم من العرب المسيحيين ، او ينقلوها عن التراجم اليونانية واللاتينية ــ كما يحلو لبعضهم أن يصور ذلك ، وهو عار عن كل حجة او برهان :

والدعاوي ما لم تقيموا عليها
بينات ابناؤها ادعياء

تطوان : سعيد أعراب

---

(50) حديث متفق عليه ، اخرجه البخاري ومسلم مع اختلاف يسير .
(51) قد يكون هذا مسلما ــ بالنسبة لاهل فاس ، وأما قبائل الجبل ، فقد كان لعب الكرة ــ عندهم ــ من الالعاب المحمودة ، وقد تفننوا فيها ، وكانت تقام مهرجانات ــ لمناسبة وأخرى ، يشارك فيها طلبة المدارس من مختلف الجهات ، وربما قبيلة مع اخرى ، وقد ادركنا شيئا من ذلك .
(52) انظر ج 1 / 283 ــ 284 .
(53) فاتنى الحديث عن مؤلفات لها قيمتها التربوية والتعليمية ، امثال مؤلفات الزناتي ، والجزولي ، والشوشاوي وسواها ...
وارجو ان تتاح لي الفرصة للعودة الى الموضوع مرة اخرى ــ بحول الله .

بمناسبة السنة الدولية للطفولة

لنرفع الظلم عن هؤلاء الأطفال

للدكتور ادريس الكتاني

ليس من الممكن ان يتحدث الباحث الاجتماعي عن مشاكل الطفولة المغربية في مقال واحد ، انها تملأ آلاف الصفحات ، الا ان أعظم مآسي الطفولة على الاطلاق ، يتمثل في اقتياد الاحداث الى السجون كمجرمين ، والحكم عليهم باحكام تتراوح بين اقل من شهر حبسا ، وبين السجن المؤبد ! ، حسبما جاء في تقرير مندوب ادارة السجون ، في ندوة رعاية الطفولة والشباب ، التي انعقدت بالرباط أيام 20-22 ابريل 1977 (1) .

وبينما عدد المجرمين الكبار يرتفع سنويا بنسبة 10 ٪ ، اي انه يفوق نسبة نمو السكان بأكثر من 3 مرات ، فان عدد المنحرفين الصغار يزداد بنسبة 14 ٪ . كان عددهم سنة 1960 يبلغ 2٫047 ، وارتفع سنة 1973 الى 8٫476 ، وهذا يعني ان عددهم تضاعف خلال 14 عاما أكثر من أربع مرات ، وهي زيادة تفوق بأكثر من اربعة اضعاف نسبة الزيادة السنوية للسكان .

واذا كان عدد الاحداث المنحرفين والمتشردين المقبوض عليهم أو المحكوم عليهم بالسجن سنة 1972 قد بلغ 19.000 فتى وفتاة ، فمن المعروف في كافة الاحصاءات الاجتماعية ان الذين يقعون في قبضة العدالة لا يمثلون الا خمس العدد الحقيقي ، وبناء على ذلك فان التقدير العلمي لعدد المنحرفين السنوي في المغرب يصل الى 95.000 حدث ، حسب احصاءات السنة المذكورة (2) .

محاكم وقوانين خاصة بالاحداث ، يساقون بعدها للسجون !

لقد كان الهدف الاساسي والعلمي من انشاء محاكم للاحداث ، وقوانين خاصة بهم يحاكمون بمقتضاها ، يرمي لاصلاحهم واعادة تربيتهم ، ووقايتهم من دخول السجن كمجرمين ، لانهم شرعيا وقانونيا قاصرون لم يبلغوا سن الرشد الجنائي ، وتأديبهم مهما عظمت الجريمة ، يقوم طبق الاسس العلمية ، والاساليب الحديثة النفسية ـ الاجتماعية ، في التقويم واعادة التربية ، ولذلك كانت محاكمهم تختلف شكلا وأسلوبا واجراءات عن محاكم الكبار ، وقوانينهم وضعت بعناية على هذا الاساس ، وتعتمد في احكامها التربوية على الابحاث الاجتماعية التي يقوم بها المتخصصون الاجتماعيون عن تاريخ الطفل الاجتماعي ، ووسطه العائلي ، لمعرفة أسباب وعوامل انحرافه ، قبل الحكم باقامته في أحد مراكز الملاحظة واعادة التربية ، او تحت نظام الحرية المحروسة او غيرها .

(1) انظر مجلة الشرطة عدد : 113 ـ 1398.
(2) انظر هذه الموضوعات بتفصيل في كتابي : « ظاهرة انحراف الاحداث » .

بيد ان ما يحدث عندنا يتعارض مع هذه الاهداف ، اذ اول شيء يواجهه الطفل الذي يلقى عليه القبض فى حالة سلوك منحرف ـ وبعد اقامته فى مراكز الشرطة لايام طويلة قصد التحقيق ـ هو نقله الى السجن فى انتظار محاكمته ، وهو انتظار قد يطول عدة اشهر ، وقد تنتهي المحاكمة ببراءة الطفل ، لكن بعد أن تكون معنويته وسمعته قد تحطمتا لانه عرف السجن فعلا ، وعايش المجرمين فيه .

سن الرشد الجنائي عقدة المشكلة :

بدات المشكلة فى عهد الحماية الفرنسية عندما وضعت حكومتها العنصرية قانونين لتحديد سن الرشد الجنائي ، احدهما يتعلق بالاطفال الفرنسيين والاوروبيين عامة ، ويحدد هذه السن بثمانية عشر عاما ، والآخر خاص بالاطفال المغاربة ويحددها بثلاثة عشر عاما ، فاذا تجاوزها بيوم واحد اعتبر راشدا كامل المسؤولية ، وحوكم على اقل جنحة بقانون الكبار !!! .

وبعد استقلال المغرب وقعت مراجعة هذا التشريع العنصري الظالم فى « قانون المسطرة الجنائية » الجديد ، ولكن المشرع المغربي ، الذي لا يزال يعاني من عقد النقص ، ومن تاثير الغزو الفكري الاستعماري ، لم يجرؤ ان يرفع سن الرشد للطفل المغربي الى 18 عاما مثل غيره من أطفال العالم الحر ، مع ان هذه السن هي ادنى حد فى التشريعات المعمول بها عالميا اليوم ، بل هي السن المقررة فى الفقه الاسلامي حسب الراي المشهور فى مذهب مالك ، ومذهب ابي حنيفة ، ومن العلماء من رفعها الى 19 سنة ، ورغم ذلك فقد حددها المشرع ب 16 عاما ، ولما شعر بوخز الضمير ، عاد ليعطي للمحكمة حق الحكم على الاحداث الذين هم بين 16 و 18 سنة بقانون الاحداث شريطة تعليل هذا الحكم .

وفضلا عن ذلك فان المشرعين المعاصرين فى مختلف الدول ، بداوا يعيدون النظر فى مفهوم سن الرشد ، نظرا للقصور الملاحظ عند شبان اليوم ، فى قدرتهم على استيعاب مفاهيم الحضارة المعقدة والمتناقضة التي نعيشها ، والتي تتداخل وتتعارض فيها القيم والثقافات والحاجات تداخلا كبيرا ، لم تعد معه سن 18 عاما تكفي لحصول مفهوم الرشد القانوني القديم ، ولذلك اصبح التمييز التقليدي بين القاصرين والراشدين محل جدل ونقاش كبيرين ، لصالح رفع هذه السن الى 21 عاما أو اكثر .

11.300 طفل يدخلون السجون سنويا ! :

وهكذا ، وبسبب تحديد سن الرشد الجنائي بـ 16 عاما ، ولان قضاة الاحداث عندنا ، مع الاسف ، هم احدث القضاة واقلهم خبرة ، وليس لهم تكوين اجتماعي يؤهلهم لفهم الطفل ، ومعرفة اساليب علاجه ، وانه قبل الثامنة عشرة من عمره لا يزال ناقص المسؤولية الجنائية ولو ارتكب جريمة قتل ، وان التشريع الاسلامي ، والقانون الدولي ، والعلوم الاجتماعية ، تتفق كلها على ان جزاء هذا الطفل المنحرف لا يتمثل فى العقوبة الرادعة ، بل فى الاصلاح ، واعادة التربية ، واعادة الاعتبار ، طبق الاساليب الاجتماعية الحديثة ، لذلك فان قضاة الاحداث قلما يستعملون الحق الذي منحهم اياه المشرع ، بالحكم على فئة الاحداث الذين هم بين 16 و 18 عاما حسب قانون الاحداث ، وتحويلهم الى مؤسسات اعادة التربية .

وهكذا اشترك المشرع المغربي مع قضاة الاحداث ، منذ عشرين عاما ، فى سوق عشرات الآلاف من الفتيان والفتيات الى السجون وتحطيم مستقبلهم ، وتعذيب عائلاتهم ، ورغم انني اكتشفت هذه المأساة منذ سنوات طويلة ، وشرحتها بتفصيل فى كتابي « ظاهرة انحراف الاحداث » ، حيث شاهدت مآسي الطفولة المغربية فى سجن الدار البيضاء ، وانا ادرس 15 حالة منها ، وقلبي يكاد يتمزق الما عند سماع قصص البؤس والشقاء التي عاشها فتيان وفتيات انتهت بهم الى هذا السجن .

رغم ذلك لم أسمع ، ونحن نحتفل بعام الطفولة العالمي ، من اشار لهذه المأساة ، او تحدث عنها ، مع ان أول احسان يجب ان تقدمه للطفل المغربي ، هو رفع الظلم عنه ، فكيف اذا علمنا ان هذا الظلم الاجتماعي قد لحق بنحو 110.000 فتى وفتاة من ابنائنا فى العشرة اعوام الاخيرة فقط ، اي بمعدل 11.300 طفل فى السنة ، حسبما يتضح من البيانات والاحصاءات الرسمية التي تمكنت من جمعها خلال سنوات وانشرها لاول مرة فيما يلي :

جدول توزيع الاحداث المتواجدين بالسجون يوم 31 دجنبر ، ومجموعهم السنوي خلال 10 سنوات

السنوات	اقل من 15 سنة			اقل من 19 سنة		الجميع	جميع الاحداث يوم 31 دجنبر	مجموع الداخلين خلال السنة
	ذكور	اناث	الجميع	ذكور	اناث			
1968	131	13	144	1.744	413	2.157	2.301	11.032
1969	40	11	51	1.683	297	1.980	2.031	9.992
1970	181	15	196	2.220	388	2.608	2.804	13.795
1972	40	4	44	1.887	185	2.072	2.116	10.410
1973	48	6	54	2.008	162	2.170	2.224	10.942
1974	47	9	56	2.102	231	2.333	2.389	11.753
1975	61	8	69	1.893	183	2.076	2.145	10.553
1976	39	9	48	1.978	161	2.139	2.187	10.760
1977	55	3	58	2.336	164	2.500	2.558	12.585
المعدل العام	71	8	80	1.983	242	2.226	2.306	11.313

ولشرح هذا الجدول اشير الى ان جميع ارقامه رسمية باستثناء الضلع الاخير عن اليسار، الذي يتضمن مجموع الذين دخلوا السجون خلال العام ، ممن تقل اعمارهم عن 19 سنة . وذلك لان الاحصاءات التي تقوم بها ادارة السجون لعدد الداخلين السنوي غير مصنفة بحسب الاعمار ، فكيف نستطيع اذن تقديرهم ؟ .

هناك مقاييس يمكن استعمالها ، لننظر الى الارقام الرسمية التالية عن مجموع السجناء ، بقطع النظر عن اعمارهم ، في يوم واحد من السنة ، هو يوم 31 دجنبر آخر السنة ، حيث يجري احصاؤهم ، ولنقارنه مع مجموع الداخلين الجدد خلال السنة :

احصاء يومي وسنوي لنزلاء السجون عن اربع سنوات

السنة	مجموع السجناء يوم 31 دجنبر	مجموع الداخلين خلال السنة
1972	15.634	81.197
1973	16.335	87.523
1974	17.748	89.185
1977	19.398	82.766
المعدل العام	17.278	85.167

ان الاحصاء اليومي العام الذي تجريه ادارة السجون يوم آخر السنة ، له اهداف اقتصادية ، وقلما يفيدنا من الناحية الاجتماعية ، فالذين يدخلون السجن ابتداء من فاتح يناير ، ويغادرونه قبل 31 دجنبر ، وهم الاغلبية الساحقة ، لا يشملهم هذا الاحصاء .

وبمقارنة المعدل العام للعددين اليومي (17.278) والسنوي (85.167) نلاحظ ان هذا الاخير يفوق العدد اليومي بما يناهز خمسة اضعافه وبالضبط (4,92) ، وبناء على ذلك ، يمكننا ، بطريق القياس ، استخراج العدد السنوي للاحداث الذين تقل اعمارهم عن 19 سنة خاصة ، بضرب العدد اليومي لهم ، في (4,92) ، وهذا ما فعلناه في الضلع الاخير عن اليسار في الجدول الاول .

ولاختبار هذا التقدير والتأكد من صحته ، بطريقة اخرى ، نشير الى ان معدل نسبة الاحداث من عموم السجناء فيما بين سنتي 1972 — 1977 ، تبلغ 13 ٪ ، فاذا نحن اخذنا هذه النسبة من معدل مجموع السجناء السنوي المذكور اعلاه (85.167)، نجدها تبلغ (11.071) ، وهذا الرقم لا يختلف عن الرقم الذي استخرجناه بالطريقة السابقة وهو

(11.313) الا بنسبة 14ر2 ٪ ، وعلى هذا يكـون تقديرنا السابق لمعدل الاحداث الذيـن يسجنـون سنويا صحيحا بنسبة 86ر97 ٪ .

ادارة السجون عاجزة عن ايواء ورعاية 3000 طفل :

اذا كان عدد الاحداث اليومي المتواجـد فى السجون المغربية قد بلغ (2.558) سنـة 1977 ، فمن المرجح انه فى هذه السنة (1979) قد ناهـز 3.000 طفل ، ومن الجدير بالذكر ان مندوب ادارة السجون فى ندوة اصلاح المنحرفين التي اشرنا اليها فى طليعة هذا البحث ، بعد ما حذر من خطورة تضخم عدد السجناء الاطفال الذي وصـل الى 2.187 فى نهاية سنة 1976 ، قال :

« ولمواجهة العجز الكبير الحاصل فى الايـواء (يعني بالنسبة لعموم الاعمار) ، فقد وضعت ادارة السجون ضمن اهدافها ايجاد احياء خاصة بالاحداث متوفرة على كل التجهيزات الضرورية ، وفعلا ادرجت ضمن المشاريع التي شرع فى انجازها فى نطـاق التصميم الخماسي الحالي (اوقف العمـل بهـذا التصميم !) ، والتي عددها 21 مشروعا ، مشاريـع لاقامة احياء للاحداث فى جميع المؤسسات العقابية الجديدة ، حتى يتسنى ايواء هذه الفئة من النزلاء فى احسن الظروف ..

ورغم هذا العجز فى الايواء الذي يجاوز 100 ٪ فى بعض المؤسسات ، فان ادارة السجون تقـوم بمجهود كبير فى ميدان اصلاح النزلاء عامة والشبان خاصة عن طريق التعليم والتكوين المهني ، فبالنسبة للتعليم ، تنظم فى جميع المؤسسات دروس للتربية الاساسية ومحاربة الامية ، وتوجد اقسام ابتدائية فى 17 مؤسسة ، كما تتوفر مؤسسة السجن المدني بالدار البيضاء على ثانوية تشتمل على سلكين كاملين ... كما ان مؤسسة السجن المدني بتازة قد فتحت هذه السنة قسما للسنة الاولى من الثانوي ، يعـد نواة لادخال التعليم الثانوي لهـا ، خصوصـا وان ثانوية الدار البيضاء قد بدأت تضيـق بالوافديـن عليهـا » .

الاسلام يحرم سجن الاحـداث :

هذه فقرات من هذا العرض الهام لمندوب ادارة السجون ، تشرح بعض المشاكل الهامة التي يواجهها الاحداث فى السجون ، وكيف تضخم عددهم حتـى اضطرت ادارة السجون لانشاء مـدارس ابتدائيـة وثانوية لهم فى مؤسساتها العقابية ، وجميل والله ان تساهم مدارس السجون فى حل مشكلة المطرودين من مدارس وزارة التعليم ! .

وعلى ذكر سجن الدار البيضاء المدني الـذي يأوي من التلاميذ الاحداث ما ملأ ثانوية كاملة بسلكيها، ولاخذ صورة عن ازمة غرف السجون التي ضاقـت بسكانها ، اشير الى ان هذا السجن يأوي اليوم 3000 سجين مع ان مساحته الصالحة للايواء وهـي 2000 متر مربع ، معدة اساسا ل 600 سجين فقط ، وهذا يعني ان هناك تكديسا للسجناء ، كبارا وصغـارا ، داخل عنابر السجن ، بشكل يعذبهم ، ويجعل منهـم قطيعا من الحيوان ، وهذا شيء يحرمه الاسلام ، وقد نص ابن القيم الجوزية بأن الحبس الشرعي ليس هو السجن فى مكان ضيق ، وانما هو تعويـق الشخص ومنعه من التصرف ، سواء كان فى بيت أو مسجد ، ولهذا سماه النبي (ص) اسيرا ، وقال العلمـاء : « ان الحبس الموجود الآن ، لا يجوز عند احد مـن المسلمين ، وذلك لانه يجمع الجمع الكثير فى موضع يضيق عنهم ، فلا يتمكنون من الوضوء والصلاة ، وقد يرى بعضهم عورة بعض، ويؤذيهم الحر والصيف (3)» .

واذا كان العلماء قد اختلفوا فى جواز سجـن الكبار ، فان احدا لم يقل قط بجواز سجن الاحداث ، ولم يعرف تاريخ الاسلام الحضاري شيئا عنه ، لا فى تشريعاته ولا فى واقع حياته قبل العصر الحديث .

رفع سجـن الرشـد الجنائـي الى 18 سنـة ومنع سجن الاطفال منعا باتا :

من الواضح اننا لم نتحدث فى هـذا العرض القصير عن الظروف الاخرى التي يعاني منها اطفالنا فى السجون ، كنوع التغذية ، والعلاج الصحـي ،

---

(3) انظر كتاب التراتيب الادارية للكتاني ج 1 ص 296 .
وبدائع السلك فى طبائع الملك لابن الازرق ج 2 ص 242 .

والعلاقات الانسانية ، ومعاملة السجانين ، وطرق التربية والتعليم والتكوين ، وشروط النظافة والراحة وغيرها ، فضلا عن زحمة الغرف ، وتكدس الاطفال فيها ، اذ لم نكن نقصد القيام بمثل هذه الدراسة ، رغم اهميتها القصوى .

ان سجن الاحداث من حيث هو ، وحتى مع الحرص على انشاء احياء عصرية جميلة خاصة بهم داخل السجون ، هو ما نعتبره عملا همجيا لا انسانيا، من تقاليد عصور اروبا الوسطى ، لم تعرفه الحضارة العربية لا فى المشرق ولا فى المغرب ، وقد حرمه الاسلام قبل ان يدرك علماء الاجتماع فى القرن العشرين انه يتعارض مع جميع اهداف ونظريات الاصلاح ، واعادة التربية ، وحماية الطفولة ، والتشريعات الحديثة الخاصة بها .

ولذلك فاننا نتوجه الى الوزراء المعنيين بالامر، والى اعضاء مجلس النواب ، وقادة الاحزاب الوطنية، والعلماء ورجال الفكر والثقافة ، والى مؤسسات رعاية الطفولة ، راجين أن يتحملوا مسؤولياتهم ، ويبذلوا اقصى جهدهم ، لرفع الظلم عن 11.000 من اطفالنا يسجنون كل سنة ، و 11.000 من الاسر المغربية ، تصاب فى مستقبل ابنائها وبناتها ، وتصاب فى سمعتها وامنها وسعادتها ، و 11.000 من المواطنين الشباب تقذف بهم الى عالم السدود والقيود، ليصبحوا مجرمين حقيقيين ، ثائرين ومتمردين على مجتمعهم الظالم .

نرجو من هؤلاء جميعا ، ومن اعضاء مجلس النواب المسؤول المباشر ، اتخاذ القرارات التالية :

1) رفع سن الرشد الجنائي الى 18 سنة .

2) منع دخول الاحداث (لغاية 18 سنة) الى السجون منعا باتا .

3) تعويض أقسام الاحداث بالسجون ، والاحياء الخاصة بهم المزمع بناؤها فى السجون الجديدة ، **بمؤسسات مغلقة** ، يمكن ان تحمل اسم : « مدارس التربية المحروسة » ، وتكون تحت اشراف وزارة الشبيبة والرياضة ، او وزارة الشؤون الاجتماعية ، طبق نظام تربوي محكم ، وبادارة حازمة ذات تكوين اجتماعي وعسكري رفيع .

ان صورة الفتاة التي لم تتجاوز ثلاثة عشر عاما من عمرها ، وكانت تقضي مدة الحكم الصادر عليها بعشر سنوات سجنا من محكمة الاحداث بالرباط ، هذه الصورة المؤلمة ، وهي تقص علي مأساتها فى سجن الدار البيضاء . وتقول : انها لم تبلغ الحلم ، ولم تصم رمضان ، الا بعد مضي عام على سجنها ، تلاحقني دائما بوخز الضمير ، ضمير الانسان الشاعر بانه شارك فى ارتكاب جريمة ضد هذه الفتاة مع المجتمع ، ولان المجتمع لا علم له بها ، فانا اتحمل عنه عذاب الضمير .

فتاة من 11 عاما يزوجها والدها لمطلق له طفلان ، وبعد 6 شهور من زواجها ، وبينما هي تقطع الطماطم لتحضير طعام الغداء ، هاجمها احد الطفلين وخطف واحدة بسرعة وهرب ، كان رد فعلها الطفولي ان رمته بالسكين التي كانت تقطع بها الخضر ، فاصابت عنقه ومات (4) .

هذه الفتاة ظلمها والدها بتزويجها فى سن مبكرة ، وظلمها القانون الذي سمح بدخولها للسجن ، وهي لم تبلغ الثانية عشرة من عمرها ، وظلمها قاضي الاحداث بهذا الحكم الجائر ، وظلمها التشريع الناقص اذ لم يقم وكيل الدولة باستئناف الحكم نيابة عن والدها الجاهل الفقير ، وظلمها المجتمع كله لانه لم ينشىء من المؤسسات الاجتماعية ، وتشريعات الحماية والرعاية والضمان الاجتماعي للطفولة والاسرة ، ما كان كفيلا بوقاية هذه الفتاة ، وعشرات الآلاف من امثالها ، من الوقوع فيما وقعت فيه .

انه ظلم اجتماعي صارخ ، وتجاهلنا له ، وسكوتنا عنه ، وقبولنا باستمراره ، لهو التخلف الفكري والحضاري والسياسي ، والتناقض مع ما ندعيه من تشبث بحقوق الانسان ، وحقوق الطفل ، ونحن نحتفل بعام الطفولة العالمي ! .

ادريس الكتاني

(4) انظر تفصيل القصة ونظائرها فى ص 299 من كتاب « ظاهرة انحراف الاحداث » .

أطفالنا في المهجر

للأستاذ عبد القادر العافية

من المعلوم ان دواعي الهجرة الى اوروبا كانت كثيرة : منها ان اروبا بعد الحرب العالمية الثانية كان عليها ان تعيد بناء نفسها وان تعيد الى الوجود ما حطمته الحرب ونسفه القتال ...

وهذا البناء كان يتطلب مالا ، ويدا عاملة ، أما المال فتعهدت به الولايات المتحدة ، أما اليد العاملة فهي يد العاملين المهاجرين الذين خرجوا من بلادهم يبحثون عن العمل .

وهكذا اخذت دول اروبا الغربية تتلقى افواجا من العمال من مختلف جهات العالم وخاصة من شمال افريقيا ومن سكان حوض البحر الابيض المتوسط .

وتدفق المسلمون الباحثون عن العمل على اروبا وكانت ظروف العمل والاسراع في البناء تتطلب مزيدا من اليد العاملة باستمرار ثم ان ظروف العمل في البلاد المهاجر منها لم تكن مربحة ولا ذات مردود مغر ومن اجل ذلك أصبح العمل في اروبا هدفا لكثير من الباحثين عن العمل ... سواء كانوا مغاربة او جزائريين او تونسيين او مصريين او غيرهم ...

وكانت ظروف العمل بدول اروبا الغربية مشجعة للغاية نظرا لارتفاع مستوى الاجور بالنسبة للبلد الاصلي للمهاجرين ، ونظرا للحقوق التي يتمتع بها العامل في كثير من هذه الدول ...

وبدا المهاجر في اول امره يهاجر بمفرده واستمر عدة سنوات على هذه الحال لكنه وجد نفسه في النهاية انه مضطر لمصاحبة اسرته معه الى مهجره لان الحياة بدون اسرة ولمدة طويلة تصبح حياة متعبة سواء بالنسبة للاسرة الموجودة في البلد المهاجر منه ، او بالنسبة للعامل الذي يعاني من الانفراد والوحدة ومن القيام بشؤونه في مسكنه بعد رجوعه من العمل فهو مضطر الى ان يطهي الطعام بنفسه ويغسل ثيابه وملابسه ويكنس بيته وينظم مأواه وكل هذا عندما يستمر لعدة سنوات يصبح ممجوجا وغير موفر للراحة وخاصة بعد العمل المضني الذي يعاني منه العامل .

وأمام هذه المعاناة التي يعاني منها العامل في مهجره فكر في ان يصحب زوجه واطفاله معه لمقر عمله ... ومن هنا بدات مشكلة أطفالنا بالمهجر .

وفعلا اخذ عدد وافر من العمال يصحب معه اسرته الى مهجره وهنا أصبح العامل امام اسرة وأمام اطفال عليه ان يفكر في مستقبلهم وفي دراستهم وفي اسلوب معيشتهم واسلوب تربيتهم ، كل هذا أصبح يفكر العامل فيه وهو يرى انه قد قذف بنفسه اولا ثم بأسرته ثانيا في خضم مجتمع يختلف تمام الاختلاف عن مجتمعه دينا ولغة وعوائد وأعرافا أي في خضم مجتمع يختلف عن مجتمعه في كل شيء في النظرة الى الحياة وفي تقييم الاشياء وفي الحكم عليها ...

وهنا أصبح العامل يشعر انه امام مشاكل جديدة ... وأصبح يخاف على أسرته وعلى اطفاله من الاندماج نهائيا فى هذا المجتمع المخالف تمام المخالفة لمجتمعه الذي ينتمي اليه بل اصبح يخشى من انصهار أسرته انصهارا كليا .. فى مجتمع تختلف قيمه ومقدساته وعوائده عن مجتمعه الذي غادره هو وأسرته وفلذات كبده خاصة وان تيار الحياة فى اروبا جارف وصاخب لا يترك للغريب فرصة التأمل بل سرعان ما يرى الزمام وقد انفلت من يده مهما حاول ان يمسك به ...

وهنا كان لزاما على المهاجر المسلم ان يستنجد بوطنه وان يستنجد بدولته وان يترجاهما فى ان يساعداه على عدم انسلاخه وانسلاخ اسرته من مقوماتها الروحية والمعنوية وخاصة فيما يتعلق بدين الامة ولغتها ، لان الدين واللغة هما من المقومات الاساسية للمجتمعات الانسانية .

وامام صيحات العمال المسلمين واستنجادهم بدولهم عملت بعض الدول الاسلامية على تلبية مطالب جاليتها فى الخارج فيما يتعلق بالحفاظ على مقومات الامة ومقدساتها .

وكان المغرب من بين الدول الاسلامية التي اهتمت بقضايا عمالها فى المهجر وعملت على توثيق الروابط والصلات بهم وسهلت لهم كثيرا من الصعاب التي كانوا يعانون منها .

وبما ان موضوعنا يتعلق بالاطفال وتربيتهم وتعليمهم فان حديثنا ينبغي الا يخرج عن هذا المجال . مع العلم ان قضية تربية وتعليم اطفالنا فى المهجر تاتي فى طليعة المهمات التي يجب الاهتمام بها .

لاننا بالتربية والتعليم نربط اطفال عمالنا بلغتهم وتاريخهم ودينهم ووطنهم ... ونحن على يقين ان اطفالنا بالمهجر اذا لم يتعلموا لغة قومهم ولم يتربوا على التشبع بمقومات امتهم سيصبحون غرباء بكل ما فى الكلمة من معنى ، لان الانتساب الى الوطن لا يكفي فيه ورقة اثبات الجنسية ، وحمل جواز سفر ، فذلك هو مجرد شكليات لا اقل ولا اكثر ، اما الانتساب الحقيقي للوطن فلا بد من تربية سليمة مبنية على مبادىء متينة واضحة ، وهذه التربية ينبغي ان يخطط لها وان تكون محط عناية ورعاية والا فسنجد انفسنا امام اطفال غرباء وخاصة عندما يعودون الى وطنهم وعندئذ سنعاني كما سيعانون من ذلك الشيء الكثير .

وأرى ان قضية تربية أطفالنا بالخارج هي قضية هامة وحيوية وجديرة بالاهتمام .

وترتكز هذه التربية اولا وقبل كل شيء على ترسيخ وتلقين لغة الوطن ، لان اطفالنا اذا ما جهلوا لغة وطنهم فانهم سيصعب عليهم الانسجام مع اخوانهم بالوطن الاب ، بل سيجدون صعوبة حتى فى الانسجام مع اقاربهم وذويهم واسرهم ...

ومن الجدير بالذكر ان لغتنا لاتنفصل عن ديننا ومقدساتنا فبتعليم اللغة القومية لاطفالنا بالمهجر سنربط بينهم وبين وطنهم رباطا متينا لانهم عن طريق تعليم لغتهم سيتمكنون من التعرف على دينهم وحضارتهم وأمجادهم ...

وبالاضافة الى تعليم اللغة القومية يجب ترسيخ مبادىء الاسلام القومية فى نفوس ناشئتنا بالمهجر خاصة وانهم يوجدون فى خضم معترك فكري مادي والحادي .. وامام مخططات صليبية محكمة . وفى اجواء مشبعة بالتفسخ والانحلال الخلقي ، ورذائل الجنس بصوره ووقائعه وويلاته ...

وهذه الاجواء التي يتعرض لها اطفالنا بالمهجر لا يكفي للوقاية منها مجرد « معلم مزدوج » بل هذه الاجواء المشار اليها تستدعي وجود المربي الصالح اولا وقبل كل شيء .

وهنا يجب على الذين يختارون المربين للقيام بمهمة التربية والتعليم فى الخارج ان يتحملوا مسؤولياتهم كاملة لان القصد من التربية وخاصة فى مثل تلك الاجواء والمواجهات ليس هو (ملء الفراغ) فحسب .

خاصة وان الدولة تتحمل نفقات باهظة فى هذا الميدان ومعنى هذا انه يجب لانجاح مهمة تربية أبناء جاليتنا فى المهجر اختيار العناصر الصالحة لهذه المهمة .. اي اختيار المربي الذي فى مقدوره ان يقوم بهذه المهمة الشاقة ولعله مما ينبغي ان يراعى فى هذا الاختيار .

1) التحلي بروح التضحية والتفاني فى الحفاظ على مقدسات الوطن .

2) التحلي بالاخلاق الفاضلة والسلوك القويم .
3) متانة الدين وسداد العقيـــدة .
4) الخبرة المهنية مع الثقافة التربويـــة .
5) التحلي بالصبر والمرونة مع روح الانسجام مع المواطنين بالمهجـــر ..

هذه بعض الصفات التي يجب ان تراعـــى فى اختيار مربي اطفالنـا بالمهجر ..

اما ان نحن (ملانا الفراغ) فقـط فسوف لا تجني الثمار المتوخاة من عملية تربيتنـــا وتعليمنـــا لاطفالنا بالخارج .

ومن المعلوم ان تربية اطفالنا على القيم الخلقية وتعريفهم بالمقومات الدينية والوطنية هو الهدف من تربيتنا بالداخل الا ان هذا يصبح واجبا اكيــدا فى بيئة تختلف تمام المخالفة عن بيئتنا وفى مجتمـــع مغاير لمجتمعنا .. فى مجتمع له قيـم ومقـــاييس وانظمة وعادات وتقاليد لا تمت الى تقاليدنا وعاداتنـــا وقيمنا ... بصلة ... هذا مع العلم ان مهمة الحفاظ على كل ذلك عمل لا يستطيعه الاب العامل ولا زوجته بالمنزل لان اطفالنا يتكيفون خارج البيت ويتاثرون بالمؤثرات المحيطة بهم وهي مؤثرات يتلقاها الاطفال بكيفية عفوية وتلقائية .

ولذلك وجب ان يكون (المربي المعلـــم) هو المؤتمن على ترسيخ اهداف تربيتنا والحارس الامين على صيانة عقول وعواطف وافكار اطفال عمالنا بالمهجر والحامي لاطفالنا من الذوبان فى بوتقة حضارة مادية ملحدة .. ومن هنا يكون دور المربي لاطفالنـــا فى المهجر دورا شاقا ومهما فيما اذا كان القصد منه هو الحفاظ على المقومات الدينية والوطنية ...

وعلى هذا الاساس فاختيار المربي لاطفالنا فى الخارج لا ينبغي ان يقوم على ميزة (الازدواجيـــة) فقط لان هذه الازدواجية ان نفعت مثلا فى بعـــض الدول كفرنسا ، فهي لا تنفع فى المانيا وهولانـــدا وشمال بلجيكا وفى الدول الاسكندنافية ، وغيرها .

وعمالنا فى المهجر واعون تمام الوعي ان تربية اطفالهم تربية اسلامية وطنية امر حيوي وبالغ الاهمية وهو شرط اساسي فى اندماج ابنائهم وسط مجتمعهم ووطنهم الذي ينظرون اليه والى مقدساته بكل اجلال وتقدير واحترام .

وهم واعون تمام الوعي كذلك بانهم ممثلـــون لبلدهم فى فترة زمانية قد تطول وقد تقصر لكنهـــا مهما طالت فان احضان الوطن هي المأوى الطبيعـــي لهـــم ولاطفالهـــم .

● ابو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي (ت 238 هـ ـ 852 م)، الى معلم ولده رسالة يقول فيها : ((... فليكن اول ما تؤدب نفسك ، فان عيني متعلقة بهم ، واعينهم متعلقة بك ، فالحسن ـ لهم ـ ما استحسنت ، والقبيح ـ عندهم ـ ما استقبحت ، علمهم كتاب الله ، ولا تكرههم عليـــه فيملوه ، ولا تخرجهم من فن الى فن حتى يحصلوه ، لان ازدحام العلـــوم مضلة للفهم ، ومشقة للذهن ، وعلمهم من الشعر أعفه ، ومـــن الحديـــث اشرفه ، وكن لهم مثل الطبيب المشفق الذي لا يضع الدواء الا فى موضع الداء ، وهددهم بي ، ولا تضربهم دوني ، واجعل ادبك لهم مدحا يزدادون رفقا وشوقـــا ●

فصل من كتاب :

الطفولة المغربية

تأليف : الدكتورة آمنة اللوه

تلبية « لدعوة الحق » واغتناما لفرصة العام الدولي للطفل .

يطيب لي ان ارجع بالذاكرة الى ما ينيف عن 22 سنة خلــت ... يوم فكرت فى تهيء دراسة حول « الطفولة المغربية » وابرازها على الصورة الواقعية التي كانت عليها اذ ذاك فى فجر استقلال بلادنا ... وذلك حين كنت على وشك آنهاء دراستي الجامعية وحصولي على شهادة الليصانص من كلية الفلسفة والآداب من جامعة مدريد المركزية بعد دراستي بهـــا خمس سنوات متوالية والنجاح فى سائر المواد ... اذ ان مــن شروط الحصول على الليصانص تقديم بحث مطول فى شكل رسالــة جامعيــة تناقش من لدن لجنة الدكاترة المختصين ... وهذا ما حــدا بــي الى الانكباب على البحث والتنقيب عن المصدر واعداد الرسالــة فى مائتــي صفحة من القطع الكبير ... وتقديمها الى الكلية فى موعدها الموعود وكم كانت فرحتي غامرة يوم نوقشت الرسالة آخر اكتوبر 1957 وفازت بدرجة امتياز من اللجنة برياسة استاذي الدكتور اوث

وبها احرزت على الليصانص وكانت اول شهادة من نوعها تمنح من تلــك الجامعة لفتاة مغربية ... وكان هذا النجاح حافزا لي على متابعة الدراسة وقطع مراحل البحث الباقية فى نفس الجامعة آلى ان احرزت بحمد الله على الدبلوم ثم على الدكتوراه فى ماى 1968 برسالة اخرى فى موضوع « المدرسة العربية فى شمال المغرب خلال النصــف الاول من القــرن العشرين » فكانت كذلك اعلى درجة علمية تمنح لاول مرة من الجامعــة المذكورة لفتاة مغربية ... وارجو ان تتاح لي فرصة تقديم فذلكة عن هذه الرسالة الاخيرة حيث آن فيها معلومات هامة لم يسبق نشرها فى شكل كتــــاب .

واعود الى رسالة « الطفولة المغربية » لاعطــي صورة موجزة عن مضمونها ..

تتالف الرسالة من مدخل للبحث تناول قبل كل شيء بيئة الطفل المغربي من حيث المناخ والسلالات والسكـــان ..

ومن خمسة فصول :

الفصـــــل الاول :

المجتمع المغربي ـ الاسرة المغربية ـ الزواج ـ الحمـــل ـ الـــولادة .

الفصـــل الثانـــي :

الطفل في البيت ـ مهمة الام ـ حالة الطفولـة الشعبية ـ الامراض الشائعة بين الاطفال ـ مصحات الاطفـــــال .

الفصـــل الثالـــث :

دور الحضانة ـ التعليم القرآنـي ـ التعليـم الابتدائي ـ تعليم المعوقين .

الفصـــل الرابـــع :

النشاط المدرسي ـ الرياضـــة البدنيـــة ـ المخيمـــــات .

الفصـــل الخـــامس :

الطفولة المشردة ـ الاهتمام الشعبي بالاطفال المشردين ـ اهتمام الحكومة بالطفولـــة المهملـــة والمشردة ـ خاتمة في اعتنـــاء العائلـــة المالكـــة بالطفولـــــة ..

وفيما يلي نماذج من محتويات الكتاب :

دور الحضانـــــة

في الواقع ان البيوت التي يعيش فيها افـــراد العائلة من كبار وصغار لم تؤسس للاطفال الصغار ، فهي عالم كبير لاناس كبار ، المقاعد عالية ، والاواني ضخمة ، والصرامة مفروضة ، وهذا لا يضـر ما دام الطفل ملازما لمهده اثناء السنتين الاوليـــن مـــن حياته .. واما بعد ذلك فان الطفل يحتاج الى عالـــم صغير يدرج فيه ، ويقفز ويركض ، ويلعب ، ويجلس فيه ايضا وياكل وينام ان اقتضى الحال .. هنـــا جاءت فكرة « دار الحضانة » او « روض الاطفـــال » ينتقل اليها في فترات خاصة بعد ان يفصل عن امه ..

فيجد نفسه في مكان ملائم لطفولته الاولى ولحاجاته الصغيرة ، مقاعد في سنه ،وحنفيات في متناول يده ، وصحون تحت فمه ، وحتى الشبابيك والابـــواب يصل اليها بقبضة يده من غير أن يستعين بأحد ، انه عالم مريح وجذاب .. زيـــادة على روح الانطـــلاق والحرية ووفرة اللعب اللطيفة مع الرفقة المرحـــة الضاحكة رفقة العصر الذهبي كما يقول خوان رامون خيمـــنش .

الفـــرض منهـــا :

هذا هو بيت الاطفال الذي ينبغي ان ياتوا اليه ليستكملوا بين مباهجه مرحلة النمو الاول .. هـــذه المرحلة التي قضى شطرا منها في البيت تحت رعاية امه ويقضي شطرها الثاني في دار الحضانة تحـــت رعاية مربيته .. فاذا كان من قبل يعتمد على امـــه اعتمادا كليا فانه الآن أصبح في مقدوره ان يقـــوم ببعض شؤونه ويخطو اولى خطواته في مدرسة الحياة العملية .. انه الآن يفصح عن مطالبه بطريقة اخـــرى غير طريقة البكاء ، والمربية تفسح له المجال وتقدر شعوره ليتمكن من اظهار غريزته وميولـــه لتكويـــن شخصيته مع تكيفه بالبيئة الجديدة واعداده ـ نفسيا ـ للحياة والتعاون مع رفقائه ، فلا يحاول ان يكـــون انانيا : يحتكر اللعب ويأخذ ما ليس له ويريد كـــل شيء له .. جاء في كتاب « تفهم الطفل » لصاحبته عائدة شاكر : « ان الاخصائيين في تربيـــة الطفـــل يؤكدون حاجته الى رفاق يلهو معهم .. لذلك فهـــم ينصحون الوالدين بارسال اولادهم الى دور الحضانة التي يتعرف عن طريقها بمجموعة من الرفاق مهذبين موجهين توجيها حسنا .. »

فاتصال الطفل برفقاء جدد في وسط تربـــوي موجه من اهم اغراض هذه الدور ، حتى ينشأ اجتماعيا منذ نعومة اظفاره .. ومن اغراضها كذلك ربط الصلة المدرسية ـ المقبلة ـ بالبيت العائلـــي بطريقـــة تدريجية ينتقل معها الطفل من عهد الامومة الى عهد التلمذة وهو في وضع طبيعي متصل لا يشعر معه يوم يدخل المدرسة بانتقال مفاجـــيء .. أصـــدرت مؤسسة اليونيسكو كتيبا ضمنته تقريرا لخبرائها في شؤون الاطفال منشورا سنة 1952 نقتبس منه ما ياتي : « يجب ان تكون رياض الاطفال حلقة ترمي على الدوام الى ربط العائلة بالمدرسة .. لذلك يتعيـــن

اختيار مديرات هذا الربط واختيار القائمات به من ذوات التربية العالية » .

تعرس الاخلاق الفاضلة وطبع الطفل بطابعها عن طريق اللهو المباح واللعب المنظم هي المهمة الاولى لدار الحضانة ، ففى كتاب « التربية لعالم حائر » تأليف سير رتشارد ان خير وسيلة لغرس الخلال الحميدة فى نفس الطفل هي أن يتلقاها فى بيئة الحضانة .. وكان افلاطون يرى ان على الدولة ان تربي الاطفال قبل ان يستطيعوا فهم اللغة حين يكونون عاجزين عن تقدير اى ضرب من ضروب التثقيف ، ذلك – كما قال – ان الاعوام الثلاثة الاولى من العمر مرحلة كبرى من مراحل الحياة يمكن ان يحسن او يساء انفاقها .. »

صحيح ان مدارس الحضانة – كغيرها من المنشآت – لها اخطارها ، ولكن ليس ثمة ما يجعلها عاملا فى اضعاف حياة الاسرة وتبعاتها .. بل هي على العكس من ذلك تهيىء لاطفالها أشياء ليس فى ميسور الاسرة ان تهيئها لاولادها ، بل ان هذه الدور تستطيع ان تفعل الشيء الكثير فى اصلاح اخلاق مفججة تنشأ فى اسر فاسدة ، وهذه ايضا من اكبر فوائدها .. وقد سألت ام طبيبا عن سر علة ولدها ، فقال : « هي انت يا سيدتي ! تدلليه ولا تتبعين فى تغذيته وتربيته اى نظام » . واظن ان هذا يصدق اكثر ما يصدق على امهات بلادنا ، فكان من الحزم ومن الحكمة أن تنتزع منهن تلك النفوس الطرية ويصلح ما فسد منها .

تاريخها :

لهذا اهتمت الشعوب بهذه الدور واسسها المربون فى دول كثيرة ، كحقول زراعية تطبق فيها النظريات التربوية التي اهتدى اليها الفلاسفة منذ فجر التاريخ ، فسقراط وأفلاطون وسينكا وسان جرمان وسان اغوستين وكومينو وبيستالوتزي وغيرهم اهتموا بتربية الاطفال الا ان نظرياتهم لم يتسع تطبيقها ولم تأخذ شكلها العلمي الا فى أواخر القرن الماضي فى كثير من جهات العالم ، واما قبل ذلك فان اقدم مدرسة يمكن ان تعتبر نواة لهذا النوع من التربية هي مؤسسة سان ايسدرو فى القرن السادس عشر فى اسبانيا ، ثم بهولاندا فى القرن السابع عشر ، وكذلك المعروفة باسم « ملجأ الاطفال » بباريس عام 1640 . وكانت هناك بفرنسا دور تحمل اسم « حراسة الاطفال » توجد بها نساء يقمن بحراسة الاطفال فى غيبة امهاتهم .. دون القيام باية مهمة تهذيبية .. ثم فكر المربي اوبرلين فى تحويل هذه الدور الى مدارس تربوية تحمل اسم « قاعات حماية الاطفال » وذلك حوالي 1769 ، ثم ان مدام باب كاربنتير حولتها الى دور الحضانة وهي اول من استعمل كلمة الحضانة ..

وهناك محاولات مماثلة فى كل من هولاندا وانجلترا واسبانيا والمانيا وسويسرا وايطاليا .. ترمي الى خلق هذا النوع من التربية ولا سيما فروبل ، تلك الشخصية الالمانية التي ينسب اليها هذا النوع من التربية حيث انه اسس مراكز لها فى كل من المانيا وسويسرا وغيرهما ، وكان يدعوها رياض الاطفال ، فأعجب الناس بطريقته وباسمه الجديد .. ولا ننسى أن نذكر مدام منتسوري الايطالية التي تضارع فى هذا الباب فروبل .. اذ كل منهما يعد قدوة حسنة ..

واول مدرسة للحضانة فى اسبانيا ترجع الى عهد سان ايسيدرو الذي اسس فى اشبيلية مدرسة للصغار ، وبعده اسست مدارس أخرى .. وبعد اقدمها المدارس المعروفة باسم « الرفيقة » فى ناحية الاندلس .. وفى العصر الحديث يعتبر بابلو مونتيسنو مؤسس مدارس الاطفال باسبانيا حيث اسس عام 1838 عدة مدارس حيث انه كان على راس التعليم باسبانيا .. وفى عام 1866 انشئت مؤسسة نموذجية لحدائق الاطفال ..

فى العصر الحاضر :

واما فى عصرنا فان هذا النوع من التربية اصبح فنا قائما بذاته فى جانب فنون التربية الاخرى ، واصبح له المتخصصون فيه القائمون به . ولم يعد احد يجادل فى نفعه او يتهاون فى القيام به .. فالكل يعتبره قنطرة لازمة بين البيت والمدرسة والطريقة المثالية التي اصبح عليها هي أن يبتعد به عن كل من نظام البيت وعن نظام المدرسة ، وحتى المكان فانه

يستحسن أن يكون بين احضان الطبيعة السافرة من غير حجاب ومن غير جدران ومن غير حواجـز .. وبالطبع فان هذا قلما يتحقق الا فى ظروف راقيـة وبوسائل علمية غالية ..

وهنا اقدم كنموذج لما أصبحت عليه هـذه الحدائق ما قراته أخيرا فى بعض الصحف عن حديقة الاطفال بكولونيا بالمانيا الغربية .. جاء فى جريـدة العلم عدد 2529 : « ان تلك الحديقة تعتبر جنـة الاطفال بحق ، اعدتها بلدية مدينة كولونيا لاطفالها فى حديقة تبلغ مساحتها 30 الف متر مربع ، وتضـم ميدانا خاصا للانزلاق على الجليد أيـام الشتـاء و (للباتيناج) أيام الصيف ، وانشئت فيها ميادين لكرة القدم وكرة السلة وكرة الريشة ولعب التينس وغيرها من وسائل تربية الجسم بطريقـة بسيطـة صبيانية .. وخصص جانب من الحديقة للحيوانات الاليفة الاهلية من حمام وقطط وفـراخ وارانـب وسواها حتى يتسنى للاطفال اللهو معها .. واعدت قاعات فسيحة لممارسة الالعاب اذا ما ساء الجـو وتعذر الخروج .. ويقـوم بالاشراف على هـذه الحديقة طائفة من المربين الاكفاء ويؤدون أعمالهـم بصورة لا تضايق الاطفال حتى يشعر هؤلاء بمطلـق الحرية فينطلقون بلا عائق .. وقالت الجريـدة ان المدن الالمانية الاخرى تسعى سعيها لتحذو حـذو كولونيا فى تأسيس حدائق الاطفـال بين أحضـان الطبيعة ليتخلصوا من جحيم المدن وآلاف الابنية التي تحجب عنهم نعمة الشمس والهواء الطلق .

فى المغـــرب :

عرضنا هذه الفذلكة لنقارب بين الحالـة فى المغرب والحالة خارج المغرب ، فاننا فى تاريخ هذا الشعب لا نجد شيئا يدل على وجود دور الحضانـة فى الزمن القديم ، حتى اذا كان شيء موجودا من هذا القبيل فانه لا يتجاوز حراسة الاطفال كما كان الشأن اول الامر بفرنسا ، وشوارع تطوان ما زالت تعرف شخصا كان يمر بقافلة اطفال كلهم دون الثالثة يخرج بهم الى الضواحي لقاء اجر زهيد .

فالمغرب لم يعرف دور الحضانة او حدائـق الاطفال الا منذ سنوات .. او على الاكثر منذ نحـو عشرين سنة .. الا انها كانت محتكرة خاصـة باولاد الجاليات الاجنبية وقلما يقبلون فيها ابناء البلاد .. ظهرت أول ما ظهرت بطنجة على يد راهبة انجليزيـة ثم بالدار البيضاء على يد بلديتها .. ثم بالرباط وفاس وتطوان وغيرها من المدن .. وكلها على غرار واحد تقريبا لا يختلف عن النوع المعروف خارج البلاد .. وقد تأسس مكتب للحضانة فى ادارة التعليم ملحق بالتعليم الاوربي فى النظام الاستعماري القديم تشرف عليه بالرباط فرنسية ، وبتطوان سيدة اسبانيـة .. ومهمة هذا المكتب هو العمل على تطبيـق أحـدث الاساليب التربوية فى تلك الـدور ، والسعـي فى تعميم الاستفادة منها .. فكانت النتيجة ان هذا النوع من التربية كان فى اول امـره مؤسسا لمصلحـة الاوربيين يشاركهم فيه المغاربة بنسبة ضئيلـة .. ومن احصاء عام عرضته وزارة التعليم فى المعرض الدولي المقام بالدار البيضاء فى شهر مـاى 1957 استخرجنا أن عدد فصول الحضانة بالمغرب كانت 204 فصل فى سنة 1956 وأن عدد الاطفال بها بلـغ 10.200 طفل ، فيهم اقلية ضئيلة من أبناء المغاربة .. ويلاحظ ان القائمات على هذه المؤسسات كلهن من الجنس الفرنسي او الاسباني رغم ان الظروف تحتم عليهم أن يستعينوا بالمغربيات .

حضانـة حكوميـة :

ولم تهتم ادارة التعليم فى عمـوم المغـرب بتأسيس دار لحضانة ابناء المغاربة الا فى مفتتـح السنة الدراسية 56 — 1957 حيث استطاعـت أن تفتح فى وجه الاطفال المغاربة اول دار للحضانة فى المدينة المدرسية بتطوان تحت اشراف مفتشيـة اسبانية وطبيب مغربي ، يتولى ادارتها والقيام بهـا معلمات اسبانيات ومغربيات .. يقبل فيها الاطفال من السنة الثانية الى السادسة وتعتبر هذه الدار الاولى من نوعها والواحدة الى الآن فى عموم المغـرب .. يقول (بلدراما) فى كتابه : « تاريخ عمل اسبانيـا الثقافي بالمغرب » ص 219 ان هذه الدار تشتمل على ثلاث قاعات واسعة : قاعة للراحة ، واخرى للالعاب ، وثالثة لتلقي المعلومات بطريقة فردية .. زيادة على قاعة الطعام والمطبخ واماكن اخرى للنظافة والشؤون لاخـــرى ..

والبرنامج : لا تزيد الحصة عن 20 دقيقـة ، تتلوها استراحة مماثلة ، يتعلم الطفل خلالها بعـض

الحروف وبعض الارقام ، واسماء الحيوانات الداجنة، واسماء شؤون المنزل والمدرسة ، واسماء اللعب .. وللعب كذلك برنامج .. وللاكل نظام ، والمعاملة مشبعة بروح العطف والحنان ، وتقدم لهم وجبات غنية بالفيتامينات ..

ولا تسع هذه الدار الا نحو 150 طفلا ، الا ان ضغط الطلب الحاصل عليها اضطرها الى أن تقبل ضعف هذا العدد ، فجعلت الصباح لطائفة والمساء الاخرى ...

وقد حاولت الحكومة قبل ذلك ان تفتح قسما للاطفال الصغار فى معظم المدارس الابتدائية ، فكان اول فوج قبل بمدارس تطوان اول اكتوبر 1949 وقبلت افواج اخرى فى مختلف المدارس فى كثير من جهات المغرب الا ان هذا لا يعد حضانة وانما هو اعدادي للمدارس الابتدائية .

فهذا اول عمل استطاع النظام القديم ان يحققه فى المغرب ، وقد عزمت الحكومة الوطنية أن تقوم بواجبها فى هذا السبيل .

حضانات شعبية :

وكان الاهالي يشكون من عدم وجود دور الحضانة لان كثيرا من الامهات يحتجن الى من يكفل اولادهن ساعة خروج الام لقضاء مآربها او لاكتساب قوتها ، فيبقى الولد مهملا او متروكا للخدم الذين لا يعرفون ما يعملون به ، مما دفع بالمؤسسات الخيرية والحركات الوطنية ان تعمل لحل هذا المشكل فاستطاعت ان تسهم بفتح دور تسد بعض الفراغ ..

من ذلك ان ميتم الرباط فتح جناحا خاصا يقبل فيه أبناء الايامى الصغار الذين تودعهم أمهاتهم صباحا وتتسلمهم فى العشي ليتسنى لهن العمل من أجل كسب قوتهن ، ويسع هذا الجناح نحو 75 طفلا ، توجد فيه مربيات يقمن بتربية الاطفال واطعامهم وبدربنهم على التعبير بطرق الرسم وغير ذلك ..

ومن ذلك ، بل هو الاهم ، ان حركة الشبيبة الاستقلالية التابعة لحزب الاستقلال قررت ان تؤسس شبكة لدور الحضانة فى مختلف مدن المغرب، فبدات بالدار البيضاء التي هي مركز الطبقات العمالية فاسست بها دارا نموذجية ، وفى نيتها ان تتبعها بفتح دار فى كل دائرة من الدوائر الثمانية عشر بالبيضاء حتى تستوعب الطفولة الشعبية وتستغنى عن دور الاجانب التي يتطلب القبول فيها كثيرا من النفقات .. وقد أسست هذه الدار النموذجية فى الحي المحمدي المعروف سابقا بحي سنترال ، لانه أوفر الاحياء سكانا واكثرها عوزا .. ويقبل فيها من تتراوح أعمارهم بين الثانية والسادسة ممن تعجز امهاتهم عن رعايتهم اثناء النهار بسبب اشتغالهن فى المعامل والمنازل .. ويضم المركز الآن 150 طفلا تشرف عليهم مغربيات محرزات على الشهادة فى التربية .. ويحتوي على خمس غرف للاكل ، وغرفة للعب ، واخرى للصور المتحركة والمسلية .. وفيه مطبخ عصري ومستوصف يشرف عليه طبيبان مغربيان بالتناوب .

وقد دشن هذا المركز يوم الخميس 6 يونيو 1957 فى حفلة رأستها الاميرة عائشة زعيمة النهضة النسوية بالمغرب . ووصفت جريدة العلم هذا المشروع بأنه من اعظم المشاريع الاجتماعية التي يسعى الحزب بواسطتها الى تكوين جيل جديد قادر على تحمل اعباء الدراسة فى المراحل المدرسية واعباء المسئولية الكبرى فى مستقل الوطن .

ووصفه رئيس المجلس الاستشاري آنذاك فى محاضرة القاها بالمسرح البلدي بالدار البيضاء يوم 19 ماى 1957 بقوله : « انه خطوة مهمة جديدة فى ميدان البناء الاجتماعي الذي يعمل له الحزب منذ نشأته .. وهو متواضع فى حد ذاته ، ولكن هذه المشاريع التي تبدو بسيطة لاول وهلة هي الخطوات العملية التي تبنى المجتمع من لبنة الى الاخرى من طفل الى طفل ، حتى نضمن لامتنا تكوينا صحيحا سليما .. »

والخلاصة أن هذا النوع من تربية الاطفال الذي عرفته الانسانية من قديم والذي تنتفع به فى كثير من البلدان – لم يظهر فى المغرب الا فى السنوات الاخيرة وان عدد الاطفال الذين ينتفعون به قليل جدا ومحدود ..

والنتيجة أن الاطفال الذين يمرون بدور الحضانة يكونون قد استكملوا نموهم العقلي والجسمي والخلقي

في بيئة مناسبة فأصبحوا على استعداد للانخراط في مرحلة التعليم الابتدائي .. اذ نرى ان هؤلاء ياتون الى المدرسة الابتدائية وهم يفهمون حقوقهم — على حسب مستواهم — وواجباتهم ويحافظون على الوقت ويجلسون بهدوء ولا يقومون في الفصل بأي عمل دون استئذان المعلم او المعلمة .. فهم عارفون بالقوانين اللازمة ان صح هذا التعبير .

ملاحظة :

واختم هذا البحث بملاحظة أفضى بها الي مفتش مغربي قديم العهد في صناعة التعليم ، قال : « ان من اللائق في بلاد كالمغرب الذي هو في طريق السير بأبنائه نحو اجبارية التعليم ان يترك التعليم الاولي بسائر انواعه — بما في ذلك الحضانة — للميدان الحر وللبلديات ولمن شاء من المؤسسات التربوية والحركات الوطنية ، بحيث لا تنفق عليه الحكومة من مداخيلها شيئا ، اللهم الا اذا اعانته اعانة تشجيعية .. ثم لفت نظري الى أن مصاريف هذا النوع من التعليم (الفني) تزيد سبع مرات تقريبا على مصاريف التعليم الابتدائي العادي ، نظرا لنفقات البناء والتجهيز واجور المعلمات المتخصصات في هذا الميدان .. » واظن ان هذه ملاحظة جديرة بالاعتبار .

مستشفيات الاطفال :

ان ما ذكرته في فصل سابق من انتشار امراض معدية واخرى ناتجة عن سوء التغذية وعن القذارة والوساخة بين اطفال الطبقات الشعبية .. يقتضي اهتماما زائدا من المسؤولين ومن ذوي الغيرة والكرامة من افراد الشعب .. وهذا ما حصل بالفعل ، فان حركة غير معهودة تسري في الازقة والشوارع وفي المدن والقرى رامية الى مكافحة العلل ومقاومة اسبابها بالوسائل الطبية الممكنة .. كانواع التلقيح .. وكالحمامات الطبية التي كانت تقام في مداخل المدن لتطهير الابدان والثياب ورشها بما يمنع نمو المكروبات فيها ... الى جانب حركة اخرى واسعة النطاق ترمي الى تاسيس المستشفيات في طول البلاد وعرضها حسب حاجة كل جهة وحسب الامراض التي تنتشر فيها .. الا ان هذه المستشفيات ما زالت ضئيلة جدا لا تستوعب حتى العشر من الذين يحتاجون اليها .. وللحقيقة نذكر اننا كنا نرى في بعض المستشفيات تطبيقا للميز العنصري الذي كان يطبق في كل مكان من لدن السلطات الاجنبية التي كانت تحكم البلاد قبل الحكم الوطني الحالي .. ففي ذلك العهد لا يمكن قبول أهلي بجانب أوربي في المستشفيات المجهزة بأحدث الاساليب الا بشروط يتعذر غالبا توفرها .. فيبقى المريض بين الاصحاء فيتضاعف العدد .. بل ان كثيرا من الاطباء كانوا يرفضون ان يقبلوا في عياداتهم الخاصة ابناء البلاد .. لا شيء ادل على هذا من الطلب الذي تقدمت به نقابة العمال في السنة الماضية الى نقابة الاطباء حسب ما هو منشور في جريدة السعادة عدد 9805 يطلبون فيه ان يعملوا لابطال ذلك الميز الذي ما زال يطبق عند بعضهم .. وحتى جريدة (لافيجي مروكان) الاستعمارية استنكرت هذا الميز في عددها الصادر بتاريخ 6 غشت 1956 حيث ان امراة مغربية حبلى الجاها المخاض الى مستشفى خاص بالدار البيضاء فأبت صاحبته أن تقبلها .. فوضعت على درجه تحت سمع المارة وبصرهم .. فوقعت فتنة كادت تودي بالمصحة وبمن فيها لولا تدخل الشرطة السريع .. ونشير الى نوع آخر من المستشفيات قلما يقبل فيها المغاربة ، وهي التي اسستها الحكومات الاجنبية لافراد جالياتها ، مستشفى انجليزي ، طلياني ، اسباني ، امريكي ، فرنسي .. مؤسسات لا انسانية مع انها في ارض احوج ما تكون الى تضافر الجهود وتعاون الدول المتحضرة على مكافحة امراضها وعللها المختلفة .. ولكن الاعتراف بالجميل يفرض علي أن استثني تلك الروح الطيبة المشبعة بروح الرحمة وانواع البرور والشفقة التي نشاهدها في كثير من الرهبان المسيحيين الذين اوقفوا انفسهم واعمالهم لخدمة الانسانية اينما كانت بغض النظر عن اغراضهم الاخرى فنراهم يجوبون قرى الاطلس وينبثون في الاحياء الفقيرة يؤسسون دورا مجهزة بوسائل العلاج ومتوفرة على الادوية اللازمة يمدونها بسخاء وبدون مقابل الى كل من يدخل عليهم الباب .. وأني لا انسى مدى الحياة ذلك العطف الملائكي الذي شاهدته بنفسي من راهبات المستشفى الاسباني بطنجة .. تلك الوجوه المستبشرة ، وتلك الايدي الرخيمة ، وتلك العناية الزائدة بكل زائر وبكل مريض مهما كان نوعه وجنسه ..

مصحـــــات الاطفــــــال :

والقاعدة المتبعة في تصميـــم مستشفيـــات المغرب هي ان تكون مشتملة على ثلاثـــة اقســـام : قسم الرجال وقسم الاناث وقسم الاطفال ... وقلما تجد مستشفى خاصا بالاطفال الا ما كان مـــن الدور المهيأة للتوليد .. لهذا نضطر ان تتعـــرض لهـــذه المستشفيات من ناحيتها العامة اولا ثم نتعـــرض فيها القسم الخاص بالاطفال .

وقد نشرت مصلحة الصحـــة بيانا واردا في التقرير المقدم الى المجلس الاستشاري في دورته المنعقدة في شهر دجمبر 1956 .. ورد فيه فيمـــا يتعلق بالطفولة ان بلاد المغرب تمتاز بكثرة الاطفـــال الذين يولدون كل سنة كما تمتاز بعدد الاطفال الذين يموتون كل سنة ... فنسبة المواليد تقدر بنحو 200 الف طفل .. ونسبة الوفيات تقدر بنحو 100 الـــف طفل .. وقد اخذ هذا الرقم الاخير في التقصـــان بحيث ينتظر ان ينخفض الى ما دون الخمسين الفـــا في القريب بفضل الجهاز الطبي الحديث الذي اخـــذ يعم البلاد في عهد الاستقلال ... ويزيد التقريـــر يقول : ان هذه الارقام يتضح منها ان مشكلة حماية الطفولة من الامراض ما زالت قائمة وانها موضـــع اهتمام خاص من طرف حكومة جلالـــة الملـــك .. ووزارة الصحة ليست راضية على الجهاز الصحـــي الموجود في البلاد وتراه بسيطا لا يتناسب مع عظيم مسئولياتها .. لذلك تطالـــب بفتـــح اعتمـــادات استثنائية والموافقة على الميزانية التي تقترحها ـ ليمكن الزيادة في عدد الاطباء والمولدات والممرضات والمرشدات ... وليمكن ايجاد الاســـرة اللازمـــة والمستشفيات الضرورية ..

وذكر التقرير ان في المستشفيات المغربيـــة بما في ذلك المستشفيات الخاصة لا يوجد الا نحـــو 180 سريرا للتوليد .. و 430 سريرا لعلاج الاطفال من الامراض المختلفة .. كما توجـــد فقـــط 110 للامراض المعدية و 90 لامراض السل ..

ثم صرح وزير الصحة في المجلس الوطنـــي الاستشاري (دورة يونيو 1957) انه لا يوجـــد في المغرب الا 1683 سريرا في مستشفيات الدولة وهذا غير كاف .. وزاد يقول : ان المغرب في حاجة الى الاطباء والممرضين ، ففي وسعنا ان نجد الاطباء من الخارج ، ولكن الممرضين والممرضات لا بد ان يكونوا منا .. ولاحظ الاعضاء خلو البادية من المستشفيات ومراكـــز الاسعـــاف ..

وفي كثير من المستشفيات مـــا زال الصغـــار يختلطون بالكبار ، الامر الذي يتنافى مع المبـــادىء الاساسية للطب الحديث ، وليس كافيا ان يكونـــوا في جانب المستشفى وا في طبقة من طبقاته كما هو الشأن الآن في مستشفى ابن سينـــا في الربـــاط ومستشفى محمد الخامس بمكنـــاس ومستشفـــى سانية الرمل بتطوان ومصحة ابن قريش في ضواحي تطوان ومصحة ازرو في الاطلس المتوسط .. ففي كل من هذه تجد قسما خاصا بالاطفال يتولاه نـــفس الموظفين بالاقسام الاخرى .. وليس هذا من قواعد الصحة ولا من أصول التربية الصحيحة ...

مصحـــــة ابن قـــــريش :

وفيما يلي نقدم وصف أحد هذه المستشفيات كنموذج لنقيس عليه الباقي ، وهي مصحة ابن قريش الواقعة على جبل صحي الهواء خارج تطوان ، جعلت لمداواة داء السل الكثير الانتشار في هذه الجهـــة نتيجة فقرها ونقصان المواد الغذائية عند الطبقـــات الفقيرة .. ننقل وصفها عن جريدة (الامة) عدد 868 بقلم صحفي زارها زيارة فاحصة .. قال ما ملخصه : « ... وجدت نفسي امام حديقة منسقـــة احســـن تنسيق يتمشى في اطرافها بعض المرضى في لباس موحد ، عبارة عن برنس ابيض نظيف .. وبعد لحظة خف لاستقبالي شاب اسباني في عنفوان الشـــباب والفتوة ، وبعد التحية المشفوعة بأدب زائد علمت منه انه الطبيب الملازم للمصحة ... فبادرته بالسؤال عن التغذية والعلاج فقدم الى قوائم الاكل لمدة اسبوع ناذا بها تبعث على الرضا .. ثم علمت منه ان بالمصحة 250 سريرا ، وان اغلبية المرضى يعيشون بالمجان ، وان الذين يدفعون النفقات يؤدون فقط ثمن الادوية .. كما علمت ان بها ثلاثة اجنحة : جنـــاح للسيدات وآخر للرجال وثالث للاطفال .. وبعد هذا قمنا بجولة داخل الاقسام .. فزرنا اولا مكتب المدير الدكتـــور ليتساو الذي يرجع اليه الفضل في تاسيس المصحة

منذ نحو اثنتي عشرة سنة .. ثم دخلنا قسم المحافظ الذي يحتوي على ملف كل مريض دخل المصحة .. ثم غرفة تحتوي على جميع الابحاث التي اجريت في المصحة ، واخرى خاصة بالاشعة ووسائل تشخيص الامراض ... ثم مختبرات التحليل ، وعرض علـى نماذج من الكشوف تدل على مبلغ العناية بهذه الناحية ... وبعد ذلك دخلنا الى قسم السيدات المغربيات ، فكان بحق مثار الاعجاب بما توفر فيـه من النظـام ومظاهر النظافة .. ويمتاز الاثاث بالجودة والمتانة ، الشيء الذي قلما نراه في المستشفيات العامة .. ثم طفنا على بقية الاقسام فكانت كالقسم الاول روعـة ونظافة ... وبين كل قسم وآخر توجد حمامـات ومحلات المياه في منتهى النظافة .. ويوجـد خارج كل قسم بهو واسع مريح بقصد التعـرض لاشعـة الشمس واستنشاق الهـواء الجاف والتمتـع في نفس الوقت بالمناظر الطبيعية ... ثم مررنـا في عودتنا على قاعة العمليات فوجدتها لا تقل في روعتها عن احسن ما يشاهد في كبريات مـدن اوربـا .. وختمنا الطواف بزيارة المطبخ والمطعم وملحقاتهـا حيث تحفظ المأكولات وتعد على احدث الاسالـيب الصحية العالمية .. ولا انسى أن اشير الى ان القسم الخاص بالاطفال يقع في الطابق الاعلى من البناية وأن عدد الاسرة به 50 سريرا .. فخرجت وانا اكثر ما اكون اعجابا بهذه المؤسسة الانسانية التي يعود الفضل فيها الى الاطباء الاسبان ..

احصـــــــاء :

واستخرجت من سجلات المركز الطبي بتطوان والمستوصفات التابعة له أن عدد الاطفـال الذيـن ترددوا عليه اثناء السنة 1956 بلغ 39.367 طفـل حسب التوزيع الآتـي :

— 26.321 طفل ، اسعفوا اسعافـات خفيفـة
— 12.120 طفل ، لقحوا تلقيحات مختلفـة
— 00.757 طفل ، قدمت لهم الاسرة لمدد مختلفة
— 00.176 طفل ، اجريت لهم عمليات جراحية .

المجموع : 39.367 طفـل .

ويشترك في هـذا الرقـم سائر الاجنـاس المتساكنة بتطوان ونواحيها ، ونسبة المغاربة فيـه تقارب الثلثين وهم السواد الاعظم ، مما يدل على ان اقبالهم على المراكز الطبية آخـذ في الازديـاد .. ويدل في نفس الوقت على أن الامـراض ما زالـت متفشية فيهم اكثر من سواهم ، بما هم عليه من فقر ونقص في الغذاء وجهل بطرق التربيـة ووسائـل العـلاج .

وواضح ان هذا النقص يعم فقط الطبقـات الشعبية ، واما المياسير والمثقفون فحالة طفولتهم مرضية .. لا تفترق الا قليـلا عـن طفولة الامـم المتحضـرة .

* * *

هذا ما عن لي ان اقدمه بالمناسبة من كتابـي « الطفولة المغربية » واذا سنحت فرصـة اخـرى قدمت منه نماذج اخرى مع ملاحظة انها حـررت في ظروف غير الظروف الحاضرة .

الرباط : د. آمنـة اللـوه

هل يستطيع الكبار الكتابة للصغار؟

للأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

ان يرقى الكاتب الى مستوى الطفل ، فذلك مستحيل ..

الكتابة للطفل موهبة واختصاص ورؤيا واشراق ..

مخاطبة البالغ كالسير في طريق معبد .. وفي كلمة « معبد » يكمن السر .. ففيها شيء من العبودية .. من الالجام والترويض .. وبالتالي من انفلات الحرية .. وفي نقص الحرية نقص المسؤلية ، وتجنب المغامرة ، ودفء الاغلبية ، ونعومة صوف القطيع ..

اما عقل الطفل فأشبه ما يكون بالحقل الشاسع الممتد على مرمى البصر .. وخياله الرائع اشبه ما يكون بفضاء الله الواسع اللامحدود ، بلا طرق ولا مسارب ولا دروب ولا علامات .. لا يعرف السبح فيه الا المجدحون بمواهب خاصة .. الا من بقي في عيونهم وميض من نور الطفولة ، وفي ارواحهم من حريتها ، وجمالها ، وصفائها ، وعربدتها المرحة .. فهذه هي الكلمات الموسيقية التي تملأ قاموس الطفل . ذلك القاموس المجهول غير المكتوب . وبها وحدها يمكن مخاطبته .. وبدونها يبقى الكاتب سائرا في طريق « معبد .. » ويبقى الطفل يرفرف عاليا فوقه في فضاء خياله اللامتناهي ، أو راكضا حواليه في حقله المترامي .

جاءتني صغيرتي برزمة اوراق من معلمتها مكتوب عليها اناشيد واغاني . ووقفت تقرأ على ما حفظته منها بكل ما تشع به براءة الطفولة من فخر واعتزاز ، وما زين الله به الانوثة من خفر ودلال ..

وهنأتها على مجهودها ، واثنيه، على معلمتها ..

ولكن حين انفردت بالاوراق وجدت ان ما كتب فيها من أناشيد وأغاني كان عبارة عن محاولات فجة خالية من كل عناصر الايقاع والجمال الشعري ..

وعندها ادركت المصاعب التي تواجه المعلمة والمعلم المغربيين في هذا الميدان الخالي تماما من النصوص الادبية السليمة الموجهة بالدرجة الاولى الى اطفالنا ..

في مقابل هذا القحط ، وهذه المجاعة التربوية والثقافية الهائلة ، يجد الطفل المغربي نفسه يطل على حقول الثقافة الاجنبية الخصبة الممرعة ، والموازية لحقوله القاحلة فينجذب نحوها تلقائيا ، وبكل براءة وسذاجة ..

ومن هنا يبدا الاستلاب !

من اجل هذا ، وجدت نفسي مدفوعا الى توجيه عنايتي الى هذا الميدان الشائك محاولا ، مغامرا ، وآملا بكل ما أوتيت من حب للطفولة ، وافتتان بشفافيتها وبراءتها ، ان ارقى الى مستواها ، واكتب شيئا لا يمجه ذوقها الجمالي ، وخيالها اللانهائي ..

وسوف يبقى هذا المجهود ناقصا ما لم تتناوله مواهب الملحنين ، حتى يسهل اقتباسه على المعلمات والمعلمين ، وما لم يتوجه الى هذا الميدان من الشعراء كل من يأنس من نفسه المحبة الكافية لهذا الفن السهل الممتع ، والقدرة على التحليق في سماواته .

←

قَوْسُ قُزَح

إلى الذين وضعنا بين أيديهم مصائر أجيالنا القادمة
مع أطيب التحيات
أحمد عبد السلام البقالي

الجَوُّ صَحَا . وَالغَيْمُ نَزَحْ   وَبَدَا لِلأَعْيُنِ قَوْسُ قُزَحْ
زَاهِي الألوانِ كَطَاوُوسٍ   يَتَهَادَى في عَجَبٍ وَمَرَحْ

***

فَخَرَجْنَا نَنْظُرُ فِي عَجَبٍ   لِلْقَوْسِ البَاهِرِ لِلأَبْصَارِ
وَسَأَلْتُ أَخِي وَسَأَلْتُ أَبِي   عَمَّا يُخْفِيهِ مِنَ الأَسْرَارِ

***

فَأَجَابَ أَبِي: "هُوَ بَابُ الجَنَّةِ .. مَا أَزْهَاهُ! وَمَا أَبْهَاهُ!
وَحِزَامٌ ذَاكَ لِفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ .. لِبِنْتِ رَسُولِ اللهْ".

***

وَجَرَيْنَا نَحْنُ لِنَلْمَسَهُ   وَنَرَى الفِرْدَوْسَ وَرَاءَ القَوْسْ
فَإِذَا بِالقَوْسِ رَذَاذٌ يَعْكِسُ لِلأَنْظَارِ شُعَاعَ الشَّمْسْ

من ديوان "أغاني الصغار"
بمناسبة
السنة الدولية للطفل
1979

مع حقوق الطفل

للدكتور عبد الله العمراني

منذ عشرين سنة خلت، صدر عن هيئة الامم المتحدة اعلان شريعة حقوق الطفل. وهذه المـــدة – كما لا يخفى – كافية لجعل اطفال الامس – اذا ما قدر لهم طول العمر – يتخطون طور الطفولة، ليضعوا اقدامهم على عتبة باب الرجولة. ولو كانت الحكومات والمنظمات والهيئات والمجتمعـــات والجماهيـــر والافراد، كلهم قاموا بواجباتهم نحو الطفولة خيـــر قيام، او كانت حركة النسل والتكاثر غير متعاقبـــة تعاقب الملوين، او غير متجددة تجدد مياه النبـــع الصافي، لشبت الطفولة عن الطوق مرة واحـــدة، واستؤصلت مشكلاتها من الجذور، ولا محى الحرمان من الوجـــود !

بيد ان الفطرة وسنة الله في الكون، علمتنا ان الوالدين ينسلون الاولاد، والاخلاف تعقب الاسلاف، وأن التقدم العلمي والوعي الصحي يحفظان الحيـــاة اطول مدة ممكنة. ومع هذا، ورغم هذا، نجد المنون ما زالت تنشب اظفارها في الاطفال غضيضي الاهب، ناعمي الاظافير، وتصول وتجول في عالمهم كما تصول وتجول الاسود في عرائنها، ومن ينج من الموت يقع تحت طائلة الحرمان. وهكـــذا نجـــد مـــرى (1) الاحصاءات يشير الى ان نحوا من خمسين وثلاثمائة (350) مليون طفل من أطفال العالم، أمسوا عرضة لان يعضهم الجوع بنابه، او يخيم المرض بساحتهم فيفتك بهياكلهم اللدنة تاركا أجسادهم خشبا مسندة، وصرعى كأعجاز نخل منقعـــر، او يعشش الجهـــل ويفرخ في اذهانهم فتمتلىء أوكارها خرافات واوهاما واجراما. حالهم ينبىء عن مقالهم، هم – كمـــا كان اسلافهم منذ عشرين عاما او عشرين قرنا – في حاجة ماسة الى مدد من الاقوياء القادرين، يذود عنهم الد أعدائهم، واعند خصومهم، المتمثل في هذا الثالوث الجبار المفضي دائما الى العدم : وهو الجهل والفقر والمـــرض.

وشعورا من الانسانية بأوجه النقص في تربيـــة الاطفال واعدادهم للحياة، وتنبيها لاذهان الغافلين، ولفتا لانظار الاغنياء المحظوظين، وايقاظا للضميـــر العالمي، عقدت الجمعية العامة التابعة لهيئة الامم المتحدة جلستها السادسة بعد المائة بتاريخ الواحد والعشرين من شهر ديسمبر من سنة 1976 لتصدر قرارها 169 / 31 / بجعل سنتنا الحالية 1979 السنة العالمية للطفل، تعزيزا لاعلان حقـــوق الطفل الآنف الذكر، وتشجيعا للهمم، وتحريضا على تنفيذ بنود ذلك الاعلان، وارساء لقواعد الدعم المادي

(1) المري : اسم فاعل من ارى الرباعي، فالكلمة عربية صميمة حافظت عليها اللهجة المغربية الدارجـــة بكـــل امانـــة.

والمعنوي للسنة العالمية للطفل ، بغية تحقيق اهدافها المتوخاة ، سواء على الصعيدين الاقليمي والوطني ، او على المستويين الدولي والعالمي .

النمو البدني للطفل

قبل التطرق الى بعض حقوق الطفل التي منحتها اياه الطبيعة قديما ، وعززتها – اخيرا – اكبر منظمة دولية في الوقت الحاضر ، بل في تاريخ البشرية جمعاء ، يجدر بنا ان نقول كلمة عن مراحل النمو الزمني للطفولة التي قدر لها اليوم ان تكون محط انظار العالم الذي يرنو ويهدف الى معاملتها معاملة اطفال ، حتى اذا استحال اطفال اليوم الى امهات وربات بيوت ورجال غد ، حينئذ تنبغي معاملتهم بطرق اخرى تختلف . الم يقل القديس بولس في رسالته الى اهل قورنتية : (حينما طفلا كنت ، كطفل كنت اتكلم ، وكطفل كنت افهم ، وكطفل كنت افكر ، ولكن لما صرت رجلا ابطلت امور الطفولة) ؟

اختلف العلماء حول تحديد المراحل الزمنية لنمو الاطفال ، اختلاف الناس في معاملتهم على مر العصور وكر الدهور . فمن العلماء من دقق في التقسيم ، وضيق المراحل فجعلها سبعا مثل عدد ايام الاسبوع :

1 – مرحلة الجنين . 2 – مرحلة المهد .
3 – الطفولة المبكرة . 4 – الطفولة المتوسطة .
5 – الطفولة المتأخرة . 6 – مرحلة المراهقة .
7 – مرحلة البلوغ .

ومنهم من عمم في التقسيم ، ووسع من نطاق المراحل ، فجعلها مثل فصول السنة اربعا على المنوال التالي (3) :

مراحل النمو	ذكور		اناث	
	من ...	الى ...	من ...	الى ...
1 – الطفولة الاولى	الولادة	سن السابعة	الولادة	مابين السادسة و7
2 – الطفولة الثانية	السابعة	الثانية عشرة	السابعة	العاشرة
3 – المراهقة	الثانية عشرة	الخامسة عشرة	العاشرة	الثالثة عشرة
4 – البلوغ او الرشد	الخامسة عشرة	السادسة عشرة	الثالثة عشرة	الرابعة عشرة

وكما ان ايام الاسبوع واشهر الفصول – وان وقع الاتفاق بشأن اسمائها وتعدادها – تتداخل فيما بينها بقدرة من يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ، وتختلف طولا وقصرا حسب مطالع الشمس في حركاتها الظاهرية على مدار السنة ، وحسب مواقع البلدان ، وتقلبات الظواهر الجوية ، فكذلك مراحل النمو ، لا توجد بينها حواجز منيعة تحول دون ان تطول هذه المرحلة وتقصر تلك ، او تسحب احداها

(2) قورنتية او كورنت : بلدة اغريقية قديمة واقعة بالبرزخ الذي يحمل اسمها والذي شقت فيه قناة كورنت لمرور السفن . وبشق هذه القناة ، وقع الفصل بين القسم الشمالي من بلاد الاغريق ، والقسم الجنوبي منها ويعرف بشبه جزيرة موره .

(3) بتعديل طفيف يمكن تطبيق هذا التقسيم على اطفالنا ، فالبيئة المغربية لا تختلف كثيرا عن المصرية. وقد اعتمدنا في التقسيم على راي استاذنا محمد عطية الابراشي الذي اعتمد بدوره على كتاب (نفسية الطفل) لمؤلفه الخبير السويسري الاستاذ كلاباريد الذي كانت وزارة المعارف المصرية استدعته سنة 1929 مع الخبير الانكليزي مستر مان فكتب كل منهما تقريرا ضمنه ما رآه في التعليم من عيوب ، وما اقترحه من وسائل لعلاجها .

من حساب الاخرى ، كل ذلك حسب تعدد البيئة ، وتبعا لتنوع الوراثة ، ووفقا لتباين الجنس . فالتحديد ـ اذن ـ تقريبي ، لا فى مظاهر الطبيعة وحدها ، بل فى مراحل النمو الزمني لدى الطفل ايضا .

ومهما يكن من أمر التقسيم ، والاختلاف بشأنه، فان الذي لا جدال فيه ، هو وجوب العناية بالطفولة من المهد الى الرشد ، وفى كل وقت وحين .

قرن الطفل

ان ما قامت به الجمعية العامة للامم المتحدة ، وما يقوم به المجتمع اليوم في مضمار العناية بالطفولة ، يعتبر تحسنا مرموقا فى معاملة الاطفال ، وتعزيزا لما قام به فلاسفة التربية وعلماء النفس منذ بعيد ، حيث نادوا بوجوب تفهم الاطفال ، والنزول الى مستواهم بغية رفعه ، وتهذيبهم وتربيتهم فكريا ووجدانيا وعمليا .

ولعل من اثر ذلك اقدام الدول الراقية على تشجيع الدراسات النفسية ، وتأسيس معاهد ومعامل لعلم النفس الطفلي بقصد انجاز دراسات علمية رصينة تستقطب التكوين النفسي والاجتماعي للاطفال ، وتمهيد الطرق لنموهم السوي ، واختيار احسن الاساليب والشروط الممكنة لذلك النمو . مما أدى بالبعض الى تسمية هذا القرن الذي تمت خلاله هذه الانجازات بـ « قرن الطفل

وادى بالبعض الآخر الى اعتقاد ان العناية بالطفل اليوم أصبحت احسن منها أمس ، وان الآباء المحدثين هم وحدهم الذين عرفوا طرق التربية الصحيحة واحسنوها .

ولعل المربية الامريكية مسز ايميلي بوست فى كتابها القيم (الاطفال قوم
تنهج النهج الذي يرشد اليه الاثر القائل : « آباؤكم خير من ابنائكم الى يوم القيامة » ، فهي ترى غير ما يراه انصار التربية المنزلية المحدثون ، فهي تقول فى مقدمة كتابها ذلك :

« لمدة طويلة وانا استمع ـ دون معارضة ـ الى افكار بعض المحدثين الذين اقنعوا انفسهم بأن التربية المنزلية بالامس ، كانت كلها خطأ ، وان آباء اليوم هم وحدهم الذين ينهجون النهج الصحيح ، لكني لم اعتقد هذا بتاتا .

ان رأيي بصراحة هو ان التشجيع المطلق للتعبير عما فى النفس ، قد خطا الى الامام خطوات جد بعيدة ، وان ما يحتاجه الآباء والابناء اليوم حقا ، فى حياة منزلية مثالية ، هو العودة الى الصحة العقلية ، والبساطة ، والنظام » .

وتسترسل الكاتبة قائلة :

« من الواضح ان (المنازل) لم تكن كلها بالامس اكثر تماثلا مما هي اليوم . ربما كان هناك كثير من الآباء البالغي التعسف ، الذين كانت توجيهاتهم واوامرهم تنحصر فى : (افعل كما اقول ، لاني اقول ذلك) ، ولكن آباء اليوم الذين يعلنون أن الآباء والامهات المثاليين بالامس ، لم يكونوا لابنائهم صحابا بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ، يجب ان تكون ذواكرهم تختلف عن ذاكرتي جد الاختلاف » .

وتشنع ايميلي بوست على سلوك بعض الاسر الحديثة فتقول :

« كل أعضاء الاسرة (عدا الام ربما ـ وغالبا ما تكون هي كذلك) يغشون المنزل ببساطة ليناموا ، لياكلوا بين الفينة والاخرى ، ليلبسوا ، ثم يخرجوا ، فلا يتعدى حديثهم حدود : (أهلا) ، (صباح الخير)، (الى اللقاء) ، وهذا ـ فيما ارجو ـ لا يشكل صورة عادية للاسرة اليوم ، لا فى المدن الكبيرة فحسب ، بل حتى فى المدن الصغيرة التي تجل عن الاحصاء » . وتتحدث المؤلفة عن القدوة الحسنة وأثرها فى تهذيب الطفولة وتربيتها ثم تعقب على ذلك قائلة :

« ان نحن زرعنا البنفسج ، والورد ، ودوار الشمس (الهيليوتروب) ، والسوسن ، والياسمين ، فان الشذا سينمو عاطرا ، وبالنسبة للبعض منا سينمو جد عاطر . اما اذا زرعنا مهماز الفارس (الدلفينيوم) ، وذنب الفرس (الكلانديولس) ، والدالية ، واشباهها ، فاننا سنحصل على الوان بهيجة ، ولكننا بالتاكيد لن نستطيع أن نمنحها الشذا بمرشات عطر ، ولا ان نصبغها بفرشاة طلاء ، وهنا نود ان نرجع قليلا الى الوراء ، لنرى ما ذا زرعت

الانسانية في ارض طفولتها ؟ هل مهدتهـا جيـدا وزودتها بما يجب من سماد وحـرارة وري لتنتـج الارضيـة احسن غلالها فتجد الانسانيـة ما تحصد ؟ وهل منحت الانسانية صغارها كامل حقوقهـم في مجالي الحياة ؟ وهل قامت بواجباتها نحوهـم كمـا ينبغي ؟ ام أن في الامر اجحافا وتقصيرا ينبغي التذكير به ، والتنبيه عليه ، ابتغاء تجنبـه في المستقبـل وتفاديـه .

حقـوق الطفـل الطبيعيـة

ونقصد بالحقوق الطبيعية تلك التي ترتكز على أساس من الغريزة او الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، لا تلك التي تستند الى قوانين وضعتها نخبة حاكمة لمجتمعات بشرية متطورة متجـددة بتجـدد الافكار ، وتطور النماذج الحضارية . ان حقوق الطفل بهذا المعنى عديدة تصعب معالجتها في هذه العجالة، لذا نرى ان نقتصر على اهمها ، ويتمثـل في حـق الحياة ، الذي بتوافره ـ مع الكفاح المستمر المتواصل في سبيل غد أفضل ـ تتوافر سائر الحقوق .

حـق الطفـل في الحيـاة

اعز شيء في الحياة ، الحياة نفسها . واكبر الخاسرين ، الفاقد وحياتهم غواية من انفسهـم ، او نتيجة تعدي غيرهم عليهم . واول من تعرض لهـذه الخسارة الفادحة ـ عبر مسافات زمنية فسيحة من الدهر ـ الاطفال ذكرانا واناثا ، كبارا وصغارا .

وقبل ان نتعرض للمعاملة السيئة التي لاقتهـا الطفولة على ايدي شعوب العالم المختلفة ، ونتعرض كذلك لراي الاسلام في هذا الجرم الشنيع ، نشير الى ثلاث حقائق هامة :

ا ـ ان جريمة الـوأد ، وقتـل الاولاد في الجاهلية قبل الاسلام ، لم تكن شائعة الا في بعض البطون من قبيلتي (تميم) و (أسد) ، لافي قبائل شبه الجزيرة العربية كلها ، خلافا لما زعمه البعـض جهلا او لحاجة أو تلبيسا .

ب ـ ان هذه العملية البشعة كانت تزاولهـا شعوب كثيرة في مختلف ارجاء الكون ـ كما سنرى بعد قليل ـ وظلت تزاولها الى وقت غير بعيد ، وما تزال تزوالها اليوم في صورتي « الاجهاض » وتـرك المولود « غير الشرعي » في العراء ، وعلى قارعـة الطريق ، ليتلقفه محسن او محسنة ، أو ليلقى مصيره المحتـوم .

ج ـ ان الاسلام ابطل كل هـذا ، ونـدد بمرتكبي هذه الكبيرة ، بمختلف اساليب الاستنكار والزجـر .

لم تكن شعوب الحضارات القديمة ترى أي بأس في ممارسة قتل الاولاد ، بل كانت تـرى في هـذه الجريمة سلوكا معتبرا معقولا ، وعادة متبعة مألوفة ، وعملية سهلة ميسورة .

1) ففي اثينا مركز الاشعاع في ميادين الثقافة والفلسفة والحضارة والديموقراطية ، كانت عمليـة قتل الاولاد عملية مستساغة ، تجد المتحمسين لهـا والمدافعين عنها حتى بين عمالقة الفلسفة الاغريقية امثال افلاطون وارسطوطاليس .

وعلى سبيل المثال ـ لا الحصر ـ نجد هـذا الاخير ينص في كتابه : السياسـة على ان القانون يجب أن يمنع تربيـة المعطوبيـن وتغذيتهم ، واذا اقتضى الامر ، وداخل الوالدين اى شك في طبيعة المولود الجديد وفي كفاءتـه ، فان عملية الاجهاض يجب أن تتم في أقرب وقت ممكـن ، وبدون ادنى حرج .

2) وفي اسبرطة ، كان القانون ينص على ان الاب بمجرد ما يولد له مولود ، يجب عليه ان يحمله الى مكان معين ، ليفحصه كبار القوم ، فان وجـدوا اطرافه مستقيمة ، ونظرته صحيحة سليمة ، اعادوه الى والديه ليربوه ، والا قذف به في مغارة كبيـرة عميقة عند سفح جبل (تايجيتوس) (4) .

ومن سخرية القدر ، ان هذا القانون ـ فيمـا

---

(4) يقع جبـل Taygetus جنوبي مدينة اسبرطة ، بأقصى جنوب شبه جزيرة (موره) الممتدة في مياه البحر الابيض المتوسط على شكـل أصابـع اليـد .

قبل – كان له التأثير الحسن في جعل الامهات اشد حرصا واكثر عناية بتربية اولادهن وتغذيتهم وتمرينهم، ومن ثم اثبتن انهن ربات بيوت ماهرات جديـرات بالفخر والاعتزاز .

3) وفي سائر الجمهوريات الاغريقية الاخرى ، كان الناس ينظرون الى الاطفال الاعـلاء نظرة كلهـا ازدراء وسخرية واحتقار ، الامر الـذي كان يؤدي بهذه الطفولة الضعيفة المغلوبة على امرها ، الى الهلاك والبـوار غالبـا .

4) اما في رومة القديمة ، فعلى الرغم من قلة المصادر التاريخية ، وسكوت معظم الباحثين عـن طرق هذا الموضوع في مؤلفاتهم ، يبدو كما لـو كان من الثابت المؤكد ، ان المسؤولية – في الدرجـة الاولى – كانت تلقى على عاتق الوالد الروماني ، فهو الذي كان ينبغي ان يقرر ما اذا كان ينبغي ان يسمح لولده بالحياة او لا يسمح .

5) في بلاد اسكندنافيا (النرويج مثلا) كان مصير الاطفال بمثابة ريشة في مهب الريح ، وكانـت حياة الواحد منهم تظل معلقة في الميـزان ، الى ان يسلمه والده الى ظئر تتولى رضاعتـه وحضانتـه وتربيته ، فاذا كان المولود ضعيف البنية ، او كان انثى ، كان من المستهجن لدى الاسكندنافييـن ان يبقوه على قيد الحياة ، بل كان عليهم ان يعرضـوه للموت باحدى طريقتين احلاحلاهما مر :

أ – القذف به الى الحيوانات والوحوش لكي تفترسـه .

ب – تركه لعوامل الجو القاسية كي تفتك به .

6) في سائر الاقطار ، وفي سائر البلـدان القديمة ، كان قتل الاولاد وتعريضهم للهلاك والموت ، هو القاعدة ، وان كان لهذه القاعدة – كما هو المعتاد – بعـض الاستثنـاءات .

واذا تركنا الماضي جانبا ، وعرجنا على العصور الحديثة لنقوم بجولة سريعة في بعض جهات العالم ، فاننا نجد جريمة قتل الاولاد ، ما تزال تمارس هنـا وهناك ، بشكل أو بآخر :

اولا – في شبه جزيرة الهند : كان الهندوس يمارسون قتل الاولاد ، وبخاصة الاناث منهم ، بشكل مزعج . وكان من المحتمل ان يظل الهندوس سادرين في هوايتهم وغوايتهم تلك ، لو لم يظللهم عهد (ماركيز ويلسلي) الذي حال بينهم وبين الاستمرار في سفك دماء هؤلاء الابرياء الذين لا حول لهم ولا طول .

ففي قبائل « الراجبوت » (5) ، كان مصيـر الذين يولدون اناثا ، الاعدام لا محالة ، ما عدا البنات البكريات ، فقد كان الابوان يبقيان على ابنتهما البكرية، وكانهما انما فعلا ذلك ، حفاظا على النسل او النوع ، لا رأفة بهذه المسكينة .

ثانيا – في بلاد الصين : كان قتل الاولاد امرا شائعا بين الصين ، وكان السبب الرئيسي في ذلك ، راجعا الى حق خولهم اياه قانونهم الذي اباح لهـم تطليق زوجاتهم في فترات دورية متعاقبة ... واذا عرفنا مدى الكثافة التي يوجد عليها سكان الصين ، ادركنا مدى الخسارة الجسيمة ، والبوار الذي كان يحيق بنسبة مرتفعة من هذه المخلوقات الضعيفـة التعيسة الحـظ .

ثالثا – في هولندة الجديدة (وهو الاسم القديم الذي كان يطلق على استراليا الحالية) : كانت النسوة في استراليا ، يجهضن أولادهـن ، ويقضيـن على اجنتهن ، بواسطة الضغط على ارحامهن ، وذلك بغية التخلص من الجنين الناشىء ، وتجنب ما يترتب على الولادة من مخاض ، وما يتبعها من تكاليف الكفالـة والتربية والاعداد للحياة .

---

(5) – Rajpurs كلمة سنسكريتية الاصل ، ماخوذة من Râjan بمعنى ملك ، و Purta بمعنـى ابن . فالمعنى الحرفي للراجبوت : ابناء الملوك اما من طائفة الكشاترية Kshttri أو طائفـة تنحدر اما من اصول هندوسية ملكية قديمة ، وك . وتطلق كلمة الراجبوت على عدة قبائل هنديـة المحاربين ، وكلتا هاتين تشكل الطبقة الثانية في النظام الاجتماعي للهندوس البراهمة .

رابعا – فى جزر فيجى (6) : شاع اقتراف هذا الجرم فى هذا الارخبيل ، لدرجة كاد يصير معها نظاما متبعا ، وقاعدة عامة مسلمة . يحدثنا احد الثقات عما كان يجري فى احدى هذه الجزر فيقول : « فى جهات من (فانوا ليفو : Vancalevo وصل قتل الاولاد الى مدى هو اقرب الى الثلثين منه الى النصف » .

يتضح مما تقدم ، ان حرمان الطفل من مزاولة حقه الطبيعي فى الحياة ، بهذه الطرق الوحشية ، وبمثل هذا الشيوع والانتشار عبر الزمان والمكان ، انما يشكل جريمة نكراء تستفظعها الاديان السماوية، وينكرها العقل والمنطق والشرع معا .

ولعلنا اذا تعمقنا فى البحث عن جذور هذه العملية البشعة ، الفيناها ناتجة عن احد عوامل رئيسية ثلاث :

1 – عامل ديني او مذهبي : ويتمثل فى ذلك الشعور الذي يحسه الوالدان او احدهما ، ويرتكز على اساس من الديانات الوضعية او المذاهب الدينية الضالة المضللة .

2 – عامل اقتصادي : ويتمثل فى تكاليف الحياة ومصاعبها التي تترتب عادة على تربية الاولاد ورعايتهم .

3 – عامل الميل والهوى : ويتمثل فيما كانت تقوم به الامهات من اهالي جزر فيجي – مثلا – حيث كن يتخلصن من أولادهن غالبا بدافع من الشهوة والهوى. وللناس – كما قال الشاعر العربي – فيما يعشقون مذاهب .

الاسلام وحق الطفل فى الحياة

جاء الاسلام وكثير من شعوب الارض – كما راينا – تهدر دماء ابنائها ، وتتصرف ازاء حقهم الطبيعي فى الحياة ، ذلك التصرف الاهوج الذي ينم عن منتهى القسوة والظلم . وبعث محمد بن عبد الله – وسط بحر لجي من الزعازع والظلمات – رسولا ورحمة للعالمين ، فوجد عدوى الوباء الفتاك بالطفولة ، قد اصاب بطونا من قبيلتي تميم واسد العربيتين قد عض الجوع بنابه الحاد ، بفض افرادهما، واغوى شيطان الغيرة والخوف من العار ، البعض الآخر ، فانساقوا مع المنساقين فى هذا التيار الجارف الجائر . فما ذا كان موقفه – عليه الصلاة والسلام – وهو المبعوث رحمة وسندا للضعفاء ، وهداية للبشر ، وقيادة رشيدة لهم من تيه الظلمات ، الى عالم النور الفسيح ؟ ؟

لم يقف الاسلام ازاء المشكلة مكتوف اليدين ، بل تصدى بالوحي الالهي المقدس ، لهذا المرض العضال المستشري فى اعضاء من جسم الامة العربية خاصة ، والبشرية عامة ، فعمل على استئصاله من الجذر ، اذ حرم – فى حزم وعزم واصرار – الواد وقتل الاولاد . ولم يكتف بهذا ، بل حرص على ابقائهم على قيد الحياة ، وعمل على توفير الرعاية والغذاء لهم ، بما شرعه لصالحهم من وجوب العناية بالرضيع والمرضع على حد سواء . قال تعالى فى سورة البقرة (233) : « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » .

ولا يكتفي كتاب الله بالحرص على توفير لوازم الحياة الكريمة للاولاد ، بل نراه يدعو ويشجع على انجابهم وتربيتهم والحفاظ على حياتهم ، حين جعلهم احدى زينتي الحياة ، حيث قال فى سورة الكهف(46) : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » .

وعالج القرءان الكريم داء قتل الاولاد فى عدة سور قرآنية ، بآيات بينات اثلجت صدور المومنين ، وكانت لجروح الانسانية الدامية بلسما شافيا ، حين اوعد سفاحي دماء الاطفال الابرياء بالويل والثبور ، وحين وصفهم فوصمهم بالسفاهة والضلال والخسران

(6) يتالف راخبيل فيجي من 322 جزيرة ، منها 106 غير مسكونة . ويقع شمال خط عرض 20 من خطوط العرض الجنوبي ، وغربي خط 180 من خطوط الطول . العاصمة الحالية لجزر فيجي سوفا Suva بجزيرة بيتي ليفو Vitilevo اهم المنتجات السكر والموز والارز والبن والكاكاو . وبها مناجم الذهب والفضة والنحاس والحديد. مساحتها 18.233 كيلومتر مربع ، وسكانها أزيد من نصف مليون .

المبين . قال تعالى في سورة الانعام (140) :
« قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ، وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله . قد ضلوا وما كانوا مهتدين » .

وفي سورة الانعام ايضا (151) ينهى القرءان عن قتل الاولاد ، ويحرمه تحريما قاطعا حيث يقول :
« قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم وإياهم » .

ونفس الموقف نجده في سورة الاسراء (31) حيث نقرأ قوله تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطئا كبيرا » .

ولدينا وقفة قصيرة ازاء هاتين الآيتين الكريمتين ، ابتغاء تصحيح لمفهوم ، وذكر لنكتة بلاغية غابت عن اذهان الكثيرين .

فتصحيح المفهوم يتعلق بترجمة الآيتين الى اللغات الاوروبية الحديثة ، ذلكم ان جل المترجمين – ان لم نقل كلهم – يسوون ترجماتهم بين عبارتي (من املاق) و (خشية املاق) فيقولون عنهما مثلا بالانكليزية :
وبالاسبانية :
بينما كان ينبغي أن يقولوا عن الاولى
في الانكليزية أو . .
في اللغة القشتالية،
فلا يسووا بين العبارتين في الترجمة ، فيضعوا المفهوم الحقيقي للتعبير القرآني البليغ .

اما النكتة البلاغية فلتبيانها اقول : ان (من) التي في العبارة الاولى تفيد العلة والسبب ، ومن ثم كانت تختلف عن العبارة الثانية من حيث الدلالة :

فالاولى (من املاق) تعني (نتيجة امـلاق) ، اى انها تفيد ان قاتلي أولادهم يفعلون ذلك ، لانهم بالفعل يقاسون الفقر ، ويعانون العوز ، ولذا وعدهم الله ومناهم ، وعلل الحكم مانحا اياهم الاسبقية في الرزق حين قال : « نحن نرزقكم واياهم » ، اى انه ذكر رزق الوالدين المحتاجين اولا ، ثم شفعه برزق الاولاد الذين ولدوا حديثا أو سيولدون . .

اما العبارة الثانية (خشية املاق) فتفيد ان قاتلي أولادهم يفعلون ذلك خوفا من الفقر الذي قد يدهمهم في المستقبل ، ولذا ناسب أن يكون تعليل الحكم بهذه الصيغة : (نحن نرزقهم واياكم) ، اى ان الله تبارك وتعالى نص – أولا – على رزق الاولاد الذين هم مظنة افقار والديهم ، تطمينا لهؤلاء ، ثم أتبعه برزق الآباء الذي لا يكتسي الآن اهمية قصوى ، لانه واقع بالفعل ، فهم وقت الخطاب ، كانوا يتوفرون على ارزاقهم لدرجة من الاكتفاء الذاتي لا بأس بها .
تلك هي النكتة البلاغية ، وذلك هو سر الاختلاف في التعبير .

ولنرجع الى ما كنا بصدده من شرح موقف الاسلام ازاء قتل الاولاد ، فنقول : انه على الرغم من ان الاناث يندرجن – لغويا – تحت مدلول كلمة (الاولاد) ، فان كتاب الله عز وجل ، لم يفتأ يخصهن بالذكر في غير ما موطن او آية ، ويشنع على ما كن يقاسينه من الواد ، وما كان يستشعره واللدوهن من مشاعر الخزي والفضيحة والعار . . . وما يساور نفوسهم من روح اجرامية ترمي الى التخلص من المولودة الجديدة .

يقول تعالى في سورة النحل (58 – 59) :

« واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون ؟ أم يدسه في التراب ؟ الا ساء ما يحكمون ! » .

ويقول بصدد الانكار على من يزعمون ان الملائكة بنات الله ، بينما يأنفون هم من أن تكون لهم بنات :
« ام اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ؟ واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم » . (الزخرف 16 – 17) .

وفي سورة التكوير (8 – 9) يندد القرءان بالذين وادوا بناتهم ، ويوعدهم بالعقاب الذي ينتظرهم عند ما تجيب المؤودة عن السؤال المطروح عليها يوم الدينونة : (واذا الموءودة سئلت : بأي ذنب قتلت ؟)

ولم يكتف الاسلام بهذا الموقف المشرف ، بل نجد الشريعة الاسلامية حاطت برعايتها النفس الانسانية بهالة من الحرمة والتقديس ، وحافظت حتى على الاجنة في بطون أمهاتهم ، فحرمت باجماع

آراء العلماء المسلمين ، عملية الاجهاض ، واعتبرتها من الوأد الذي يعاقب عليه دنيا واخرى .

ولا يفوتني هنا ان اشير الى ان احد الكتاب الغربيين حاول ان يجعل المسلمين مثل قبائل الراجبوت الهندوسية فى قتل اطفالهـا الانـاث ، واستحياء البكرية منهن ، حين قال :

« كان المحمديون (كذا !) يميلون الى ممارسة العملية ذاتها ، لكنهم كانوا ينجزون غرضهم ـ بصفة رئيسية ـ بوسطاء الاجهاض » .

المسلمون الجديرون بهذا الوصف ، برءاء من هذه التهمة ، براءة الذئب من دم يوسف . والاسلام ـ كما رأينا ـ يدين عمليات القتل والوأد ، والاجهاض ويشجبها ، فكيف يجوز عقلا ان يجعل اتباعه يميلون الى ممارسة هذه العملية او تلك ؟ ان هذا تناقض ظاهر ، لا يمكننا التسليم به . اما اولئك الذين اغواهم الشيطان ، وخافوا الفضيحة او طائلة الشرع الاسلامي او القانون ، فقاموا بعمليات اجهاض ، فانهم لا يمثلون جميع المسلمين بحال ، ولا يعتبر عملهم الاجرامي هذا تطبيقا لما يأمر به الاسلام ، وان امثالهـم لكثيرون حتى في أرقى الامم المعاصرة واكثرها تقدما .

ان موقف الاسلام من العمليات الثلاث : القتل والوأد والاجهاض ، واضح سليم لا غبار عليه ، ولا يماري فيه الا مغالط او جاحد .

فى العـدد القـادم
قسـم خـاص بالمؤتمـر العاشـر

من العبث الدّعوة إلى رعاية الطفل..
ومئات الآلاف من أرواح الأطفال تحصدها القنابل

للأستاذ محمد العربي الزكاري

محـور الاســلام

جميل جدا ان تدعو هياة الامم المتحدة لجعل هذا العام سنة دولية للطفل ، فالولد والبنت يولدان على الفطرة ، وهما من هذا المنطلق أحق المخلوقات واولاها بالعطف والرعاية والحدب ، ونحن كمسلمين نعتبر هذه البادرة مستنبطة من تعاليـم الاسلام ، ونعدها امتدادا للعناية التي يوليها ديننا للطفل جنينا ورضيعا ومراهقا وكهلا فشيخا ، باعتبـار أن كـل مخلوق يسبغ عليه الاسلام أستار الرعاية ويخلع عليه اردية العناية من المهد الى اللحد ، ومـا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بشيرا وهاديا للانسان فى جميع اطواره وكافة مراحل حياته (وما أرسلناك الا رحمـة للعالمين) .

وكتاب الله الحكيم وسنة رسوله الكريم يطفحان بالتعليمات الالهية والتوجيهات النبوية لفائدة الطفل ولعامة البشر ، مما يؤكد بصورة جلية ان الاسلام دين جاء اساسا لنشر الوية السلام بين كافة عباد الله .

هذا هو المحور الذي تدور عليه تعاليم القرءان، ومن زواياه كلها تنطلق الدعوة المحمدية فى هـذا الباب ، فالاخاء والمحبة والعطف والعناية والرعايـة والاهتمام بحاضر الانسان فى دنياه أولا ، واعـداد الجو المناسب لحياته فى اخراه ثانيا ، من اهداف ديننا الاولى واهتماماته العامة ، وهكذا يكون الاسلام رائدا فى هذه المجالات بالنسبة للاديان السابقـة ولكافة الانظمة والتشريعات التي صدرت أو تصدر فى المستقبـل .

نقطـة الضعـف

والذي يسترعى انتباهنا ويثير دهشتنـا ان الامم المتحدة وهي تصدر توصيتها برعاية الطفل تقف مكتوفة الايدي أمام المآسي التي يعيشها مئات الآلاف من الاطفال فى جميع أطراف الدنيا ، والاغرب من هذا والافظع ان الدول التي تباشر العدوان وتزاول الفظائع وتعمل على ابادة الاطفال ، بالاضافة الى مذابح آبائهم وامهاتهم ، هي من اعضاء المنتظم الدولي نفسه ، وهذا منتهى التناقض فى الهيكل العام لهـذا المنتظـم ، وتناقض من هذا القبيل يقلل من اهمية كل التوصيات التي يصدرها ، ويجعلها تفقد العنصر الايجابي منها فى نفوس كل المظلومين والمضطهدين .

هذه ولا شك نقطة الضعف التي تعتري الهياة الدولية ، وتجعل منها اداة غير قـادرة على حسـم الخلافات ووضع حد للاعتداءات التي تطفح بها قارات الدنيا ، وهي علة العلل فيما يعيشه الاطفال والامهات والآباء من تشريد وتجويع وتيه فى الفيافي والصحاري فرارا من ويلات الحرب والابادة التي يباشرها أولئك المتعطشون للدماء البشرية .

وفي نظري ان اقل ما كان على هياة الامم المتحدة ان تقوم به ـ وهي توصي برعاية الطفل ـ ان تطرد من حظيرتها كل دولة تحصد أرواح الاطفال حصدا بالقاء قنابل مدافعها وصواريخ طائراتها على الابرياء سواء كانوا صغارا ام كبارا ، وهذا اضعف الايمان .

مشاهد مفجعة

ولا بد هنا من تقريب الصورة الى الاذهان ، ولا مناص من الاشارة بأصابع الاتهام الى المعتدين ، ولا مفر من ابراز بعض المناطق التي يتعرض فيها الاطفال الى التجويع والتشريد والابادة ، حتى تكتمل الصورة المفجعة امام الانظار وتحدد معالم الاطار الذي يحيط بأولئك المعذبين في عالم يتمشدق بالحضارة والرقي ، وهو منغمس في بحر من دماء بريئة ، وينعم بخيرات ارض غارقة في بحر من دموع البؤساء .

لننشر امامنا خريطة للجهات التي تتساقط عليها قنابل النابال باستمرار ، والبقاع التي تحصد فيها الطائرات والمدافع والصواريخ مئات الارواح دون مبرر ، اللهم الا قساوة القلوب ، والتعصب الاعمى ، والتعطش الى سفك الدماء ، والرغبة في التسلط ، لا اقل ولا اكثر !

لنشر الى فلسطين السليبة ، فنجد أبشع منظر للعدوان ، وسنشاهد شعبا مسالما اغتصب المعتدون أرضه وبلاده بقرار جائر باركه المنتظم الدولي ، وسنرى الشعب المغتصبة ارضه شردته اسرائيل في الصحاري وطاردته حتى في خيامه الممزقة،وسلطت عليه ولا تزال شواظا من جحيم معدات حربية متطورة تتلقاها باستمرار وعلى مرأى ومسمع من دول العالم .

ولتقفز ببصرنا الى الهند الصينية التي تحملت وتتحمل من ويلات حروب متتابعة طال أمدها وتعددت اشكالها ومبرراتها ، لنشاهد هناك طوابير من الهاربين من نار تلك الحروب وهم في حالة مزرية من الجوع والعراء والبؤس والشقاء .

ولنعرج على جنوب افريقيا وما تعانيه من كوارث ومصائب على يد عصابة من البيض التي لا تزال ممعنة في عدوانها وجبروتها بفضل الدعم الحربي والمالي والاقتصادي الذي يصل اليها بشكل او آخر من لدن بعض الجهات الحاقدة على السود والتي لها ضلع كبير في اذكاء حركة التميز العنصري .

ولننتقل الى لبنان العربي المسالم لنراه يعيش ليله ونهاره تحت وابل القنابل وازيز الطائرات التي تصب جام غضبها على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين الذين تطاردهم الصهيونية في كل مكان ، رغبة منها في اخماد انفاس من بقي منهم على قيد الحياة ، وتطلعا الى ان يخلو لها الجو « فتبيض » في فلسطين المغتصبة.

ولا بد ـ ونحن نستعرض ما يتعرض له الابرياء من شقاء وعناء ـ من أن تعود بنا الذاكرة الى الفاجعة التي سببتها القنبلة الهيدروجينية لمدينة هيروشيما فخلفتها يبابا ، بغض النظر عن الحرب التي كانت قائمة اذ ذاك ، فالحرب لها ميادينها وساحاتها ، أما المدن المفتوحة والآهلة بالبشر الآمنين فالاعتداء عليها يعتبر في نظر القوانين الدولية والاعراف البشرية والتعاليم السماوية اجراما فظيعا في حق الانسانية التي لا ذنب لها سوى أن القلوب الشريرة ارادت أن تهمد فيها الحياة في رمشة عين !

ولم نذهب بعيدا والمأساة قريبة منا وعلى حدود بلدنا ، فهاهم حكام الجزائر طردوا ما يربو على الاربعين الف مغربي بما فيهم من نساء ورجال واطفال بعد تجريدهم من امتعتهم وممتلكاتهم ورموا بهم خارج الحدود تحت وطأة الشمس المحرقة وفي حالة يرثى لها من البؤس والشقاء ، لا لذنب سوى أنهم مواطنون مغاربة .

ومن الفظائع المرتكبة في هذه الجهة ان معسكرات تندوف تزخر باطفال صغار انتزعتهم القوة الغاشمة من بين أحضان أمهاتهم في صحرائنا عقب جلاء الاستعمار الاجنبي منها دون اكتراث لعويل أمهاتهم ، ومن غير اهتمام بصراخ اولئك الاطفال وهم يفتقدون حنان أمهاتهم وحدب آبائهم .

هذه صورة مؤلمة من أوضاع يعيشها مئات الآلاف من الاطفال ، وتلك بعض المآسي التي تتعرض لها الانسانية المعذبة هنا وهناك ، فهل فكر المنتظم الدولي في وضع حد لهذه المآسي والفظائع والمذابح التي تتمزق لها القلوب حزنا وألما ، وهل حاول اعضاؤه الوقوف بحزم وعزم وصرامة ووضوح في وجه المعتدين الآثمين وارغامهم على التراجع عن خططهم الجهنمية في ابادة البشر وتخريب العمران ؟

موقفنـــا واضـــح

اننا كبشر أولا لا نقر العدوان على الابرياء ، واننا كمسلمين ثانيا لا نهضم مثل هذه الاوضاع التي تحصد فيهاالارواح حصدا ، وليس من المنطق ان يثق اي انسان ـ كامل الانسانية ـ في اية دعـــوة لرعايـــة الطفل ، ودماء الاطفال تجري بغزارة في كثير من بقاع العالم ، وارواح بريئة تصعد الى السماء شاكية ظلم بني الانسان .

ونحن نصفق للنداء برعاية الطفل ، ولكننا نريد نداء مشفوعا بموقف جدي وصريح وحاسم لهـــذه المآسي الفظيعة التي ترتكب من بعض دول تتمتـــع بعضوية كاملة في منتظم دولي مفروض فيـــه ان لا يتخذه المعتدون مسرحا لتمثيليات تبرر اعتداءاتهم بخطب رنانة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ، واحسن وسيلة واجدى خطة لوضع الامـــور في نصابهـــا ان يقتدي المنتظم الدولي في معالجة هذه الاوضاع بما جاء في الاثر « الخلق عيال الله ، واحب الخلق الى الله انفعهم لعياله » .

ومفهوم ومنطوق « النفع » ان تحقيقه لا يندرج تحت التوصيات ، وانما يجب ان يباشر عمليا وبصورة اوضـــح واصـــرح .

وعســـــــى

فعسى ان يراجع المنتظم الدولي موقفه مـــن الدول المعتدية ، ويعلن بصراحة ووضوح وبشجاعة وجراة ادانته للظالمين ، وهذه هي الوسيلة الوحيدة والفريدة التي تضفي على توصياته ونداءاتـــه هالـــة التقدير والاحترام ، وبالتالي تعيد اليه ثقة المظلومين والمضطهدين .

● من الفظائع المرتكبة ان معسكرات تندوف تزخر باطفال صغار انتزعتهم القوة الغاشمة من بين احضان امهاتهم في صحرائنا عقب جـــلاء الاستعمار الاجنبي منها دون اكتراث لعويل أمهاتهم ●

يا رجال الغد

للشاعر محمد بن محمد العليمي

رفع المجد شعاره ،   لكمو يهدي العباره :
ايها الاطفال انتم   بيننا نبع الطهاره
برآء انتمو من   كل رجس وقذاره
انتم الخصب الذي يطـ   ـفح حسنا ونضاره
انتم الروض الذي تـ   ـقب فى شوق ثماره
بكمو تزهو وتعتـ   ـز مدى الدهر العماره
انما التقصير فى حـ   ـقكمو ، عين المراره
والضمير الحي لا يـ   ـضى لكم ادنى حقاره

* * *

يا عصافير ، من الرو   ض الذي نهوى مزاره ،
غردي للصبح ، للنو   ر الذي يرخي ازاره
انشدي للعرب ، للاسـ   ـلام الحان النضاره
انت طورا بهجة العيـ   ـن ، وانس الروح تاره !

* * *

انما تربية الطفـ   ـل ، لقد احيت قراره
فهو للعزة عنوا   ن ، وللمجد اشاره !

* * *

يا رجال الغد ، منكم   يضمن الشعب ازدهاره
انتم الذخر ، وما خا   ب من استوفى ادخاره

واذا اختار ، فمنكم ... احسن الشعب اختياره
انتمو حراس امجا ... د ، واركان حضاره
وطن الاحرار ، انتم ... من تقيلون عثاره
وتؤدون بصدق ، ... في الورى عنه اختباره
وتزيدون — كما يأ ... مل — في الكون اعتباره
وتفيضون عليه ... كل خير ، بغزاره !
انتمو باقة زهر ، ... لكم العطر اماره .

* * *

افلح الشعب الذي ربـ ... ـى على الوعي صغاره
انما الابناء من آ ... بائهم شادوا فخاره
نحن للاسلام تحصيـ ... ـن ، وللضاد مناره
نحفظ الذات ، ولا نر ... ضى الصفات المستعاره
فالاصالات كنوز ، ... والهوى نهج الخساره
والدخيل الوغد لا نقـ ... ـبل في الهزل حواره
وانحراف الجيل ، منه ... يرث الشعب شراره.
فاز من يجعل حب الـ ... ـوطن الغالي شعاره !

* * *

بحنان ، وبعطف ، ... يملك الطفل اقتداره
فيرى في ثقة النفـ ... ـس شجاعا عن جداره
وبالاطمئنان يسعى ... للعلا ، يطوي مساره ؛
وبعلم ، وباخلا ... ق ، وحذق ، ومهاره ،
وبتوجيه حكيم ، ... يحفظ النشء وقاره
انما الطفل بصبر ، ... فرض الجهد انتصاره
من رعى اطفاله حـ ... ـقا ، فقد صان كباره!

* * *

ايها الاطفال ها انـ ... ـتم مصابيح الانارة
انتم الاكباد من حو ... ل مغانينا مداره
انتمو للشعب ، في وجـ ... ـدانه ازكى شراره
كل سعد وهناء ، ... معكم ، تحيى ستاره
يا محط الامل البا ... سم ، يا اهل الصداره ،
بكم الاجيال والاز ... مان غنت بحراره
فلقد كنتم لها معـ ... ـنى ، ومغزى ، وبشاره
ولقد اوحيتم الشعـ ... ـر ، وانطقتم هزاره !!

محمد بن محمد العلمي

الطفل وتعليم اللغة العربية

للأستاذ الحسن الساخ

ان الطفل هو الخلية الاولى لبناء المجتمع .. واذا اردت أن تحكم على مستقبل المجتمع فانظر اليه من خلال اطفاله . فاذا رايت اطفالا متشردين في الطرقات ، ممزقي الثياب ، يتنابزون بالالقاب ، ويفرون من المدرسة والكلية فانت أمام جيل جديد من (قطاع الطرق) (وسارقو السيارات) . واذا فابن السجون والمستشفيات للغد .

واذا رايت اطفالا واعين ، اذكياء ، يتسابقون الى الكتاب ، والمسرح ، وينأون عن الانحراف ويملأون المدارس ، وقاعات الالعاب الرياضية ، فانت امام جيل قوي مستقيم ... الطفل عنوان غد الامة ... ولا يمكن حتما بناء مستقبل على أساس هاو ... ولقد اهتم العلماء اليوم بعالم الطفولة وتخصص علماء التربية والطب والنفس والاقتصاد في عالم الاطفال .. وسنركز على موضوع اللغة العربية والطفل عند الانسان المغربي .

واني لاذكر في هذا الموضوع تجربة واقعية في مدرسة مغربية ... في موضوع اللغة العربية والطفل المغربي .. فقد عكف صديقي الاستاذ المربي السيد عبد الحميد بنفازي على تجربة تعليم اللغة العربية بطريقة خاصة على أساس تطورات على نفس الاطفال ونقل التطورات البيداغوجية الى التعليم المغربي ...

وفعلا بحث عن المسببات ، والعلاقات ، والروابط بين الجمل داخل عقلية الطفل وخارجه ، وتحريك القسم بدينمية وحيوية لا تبعده عن الواقع المعاش ، فكانت تجربة ناجحة اذ استطاع ان يجعل الاطفال يتكلمون عربية طليقة سهلة معتمدا (نحوا) ذا قواعد مبسطة سهلة . و (صرفا) للكلمات يعتمد التلقائية اللغوية ..

واستطاع بعد ثلاثة اشهر فقط ان يحرك العقل واللسان . ليجعل من (الاطفال) تلاميذ قادرين على الحوار وفهم طبيعة البيئة المحيطة بهم والتعبير عنها بوضوح شكلي ولوني دون عقدة الترجمة او الخوف من الكلام او غير ذلك من العاهات التي تقف دون تعلم الاطفال .

ان مشكلة تعليم العربية للاطفال التي يطرحها بعض المعقدين هي (مشكلة) اصطناعية يراد بها تفويت اللغة العربية على أساس بناء فكر الطفل منذ طفولته على اساس اجنبي عنه حتى يكون طفلا غريبا عن بيئته منذ بداية تعلمه ، ان علماء التربية والتعليم يفضلون تعلم اللغة عند الاطفال عن اللغة عند الكبير ، ذلك لان تعليم الصغار تعليم أولي يحتاج الى (الاسم والمسمى) بينما تعليم الكبار هو تلقين افكار ونظريات ومن ثم يربطون المشكلات اللغوية بالسيكولوجية ويقول الاستاذ السيد غنيم في بحثه القيم عن اللغة والفكر عند الطفل المنشور بمجلة (عالم الفكر) .

« من الممكن النظر الى المشكلات النظرية الكبرى فى سيكولوجية اللغة ، كمشكلات ظهرت فى التطور التاريخي لعلم النفس . ولقد تتبع بورنج خطوط التفكير فى مشكلات عديدة كطبيعة العقل والفكر والشعور ، فى تاريخ علم النفس منذ أيام ارسطو حتى العصر الحاضر .

ومن المفيد النظر الى هذه المشكلات من وجهة نظر حديثة .

ان الثنائية الفلسفية بين العقل والجسم كوحدات متمايزة ، كانت هي الموضوع الرئيسي لعلم النفس الفلسفي . ولقد حاول علم النفس اليوم ان يبتعد عن مثل هذه المشكلات الفلسفية . ولكن الارث الفلسفي عن العلاقة بين العقل والجسم انعكس لدينا بشكل واضح فى مشكلة العلاقة بين السلوك الذاتي الباطني والسلوك الظاهري الصريح الذي يخضع للملاحظة المباشرة . وقد اتضح هذا فى صورة فكرة مبالغ فيها ، تتجلى فى ان اية محاولة لدراسة السلوك الذاتي ، انما هي محاولة لدراسة انشطة العقل باعتباره وحدة مستقلة عن الجسم ، والعودة ثابتة بعلم النفس الى مجال المشكلات الفلسفية . بل ان بعض علماء النفس ذهبوا الى قصر علم النفس العلمي على دراسة السلوك الصريح الذي يخضع للملاحظة المباشرة ، دون سواه او على الاقل – خشية ان يوصفوا بالعقليين بالمعنى الفلسفي – استبعدوا من مجال مناقشتهم اى نظر للاحداث الذاتية .

ولكن الاحداث الذاتية – كما يذهب جون كارول يمكن النظر اليها مع ذلك كأحداث سلوكية ، بمعنى انها تلعب دورا هاما فى كثير من التتابعات السلوكية دون ان تحمل هذه الاحداث فى اطارها السيكولوجي اى اثر للثنائية الفلسفية كما ان قرائن هذه الاحداث الذاتية – كالسلوك اللفظي – يمكن ان تخضع للملاحظة ، ومن ثم تتبع الى حد كبير نفس قوانين الاحداث التي تقبل الملاحظة كالاستجابات الحركية والعصبية .. وعلى هذا الاساس يذهب كارول الى ان اي نوع من السلوك الظاهري يلاحظ بشكل صريح ، يمكن ايضا ان يتمثل فى الذهن فى صورة غير ملاحظة . فالكلام الصريح الظاهر يمكن ان يتمثل ايضا فيما نسميه أحيانا باسم الكلام الداخلي.

والمدرسة السلوكية المحدثة تقبل اليوم افتراض وجود الاحداث الذاتية . فهم يتحدثون عن الفكر وعن الصورة الذهنية والاحكام والمدركات ، ولكنهم يفضلون النظر اليها كأحداث وعمليات أكثر منها حالات . وحتى فى تصميم تجاربهم الموضوعية نجدهم يميلون ايضا الى استخلاص فروضهم من ملاحظاتهم الذاتية للسلوك الشخصي .

فاذا رجعنا الآن الى تاريخ علم نفس اللغة ، نجد اولا ان المدرسة التجريبية ، وعلى رأسها جيمس مل وابنه جون استيورت مل ، تذهب الى ان الافكار البسيطة والمدركات تترابط فيما بينها بنوع من الكيمياء العقلية مكونة بذلك افكارا أكثر تعقيدا . ومثل هذا القول ينعكس ايضا فى ملاحظات مل وابنه عن ظواهر اللغة . فالافكار المعقدة تتمثل بترابط الكلمات فى تراكيب بنائية تكشف عن ارتباطات بين الافكار الادنى مستوى التي يعبر عنها بهذه الكلمات . وهذه المدرسة الانجليزية التي يمثلها الترابطيون الانجليز كانت تهتم اساسا بتفسير العمليات عن طريق تداعي الافكار ومع ذلك فمن العسير القول بأن هذه التفسيرات كانت تستند الى اية معرفة عميقة وواسعة باللغة سوى تلك المعرفة التي تشيع عند اللغويين وغيرهم كالمعرفة بالمسند والمسند اليه والصفات الخ .

ومن المحتمل ان يكون ولهلم فونت وهو اول من اسس معملا لعلم النفس بمدينة ليبزج بالمانيا اول عالم نفس يكتب المقالات الطوال عن سيكولوجية اللغة ، وهي مقالات جديرة بأن تلقي من الاهتمام أكثر مما لقيته ، لما تحتويه من مناقشات هامة لجوانب معينة تفصيلية عن السلوك اللغوي ، كتركيب الكلمة وادراك الكلام ، كما كان فونت يقدم الملاحظات التي هي على قدر كبير من الدقة وان كانت ملاحظات استبطانية . ولكن يبدو ان اعمال فونت فى اللغة لم تلق نفس القدر من الاهتمام الذي لقيته اعماله الاخرى فى علم النفس وخصوصا عند تلاميذه من الامريكان » .

ويهتم علماء التربية بتعليم الطفل وتلقينه اهتماما كبيرا ، وقد صدرت آلاف الابحاث العلمية

فى هذا الصدد وهي معبرة على ما يبذله العلماء فى جهد تخصص فى الميدان التربوي والتعليمي للطفل ولا شك ان هذا الميدان (الميدان التربوي هو اصعب من تربية الكبار وتعليمهم ، اذ على اساسه يبني التعليم الثانوي والعالي ، وأول ما يهتم به التعليم الاولي بالنسبة للأطفال هو الحياة الاجتماعية والعمل على اخراج الطفل من العزلة ويقول روجيه كوزينه فى كتاب علم نفس الطفل) (ترجمة حافظ الجمالي) كما يلي :

« ومن المؤكد ان الطفل لا يمنع ، فى اسرته ، من اللعب مع اخوته واخواته ، وان التلميذ لا يمنع فى المدرسة ؛ من أن تكون له حياة اجتماعية مع رفاقه ، ولكن مفعول هذا السماح لا يرى فى غير فواصل العمل التربوي وخارج هذا العمل ، فهو سار فى الالعاب التي لا يراقبها الاهل ، وفى الفرص التي يبتعد فيها المعلم ولا يمارس فيها الا رقابة مستترة جدا . ولكن الطفل ما ان يعود الى الحالة التربوية وخاصة الى الحالة المدرسية ، داخل الصف ، حتى تنقطع علاقاته الاجتماعية فورا فيجد التلميذ نفسه وحيد تجاه المعلم ، معزولا عن رفاقه بنظام انضباطي وعتاد مادي يحرمان عليه التعاون على شكل مساعدة او طلب مساعدة ، ويمضيان الى درجة منعه من ملاحظة وجود الرفاق بوصفهم رفقا ان امكنهما ذلك فالتلميذ الذي يلقي درسا ويجيب على سؤال لا يفعل ذلك ليستفيد رفاقه من هذه الفعالية (وهو ما يبدو مع ذلك فى غاية المشروعية) . ولكنه يسمع المعلم ويجيب المعلم من اجل المعلم ، كما لو كان وهو يفعل ذلك ، وحيدا فى الصف جاهلا رفاقه ومجهولا من قبلهم . فكأنه مستخلص من الجماعة والحياة اجتماعية ليعاد الى الحالة التربوية ، وهذا الاستخلاص مستمر طالما انه يلعب دوره بالنسبة لتسميع الدروس والاستجوابات والتمارين الكتابية ، وطالما ان الانضباط وسلطة المعلم يوطدانه كما قلنا » .



طفولتنا

للأستاذ قدور الورطاسي

يقوم المغرب فى هذه السنة بنشاطات متنوعة اسهاما منه فى تخليد السنة الدولية للطفولة ، وهذه الاسهامات تدعو اليها أولا التعاليم الاسلامية التي تنظر الى كون جميع شعوب المعمورة تعد من امة محمد صلى الله عليه وسلم منذ بعثته الى آخر لحظة من لحظات الحياة ، سواء عم الايمان بالاسلام ، أم آمن البعض دون البعض الآخر .

فتعاليم الاسلام موجهة الى العالم أجمع :

وفى سورة « سبا » الآية 27 : « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ، صدق الله العظيم .

وتدعو اليها ثانيا الالتزامات الدولية بصفتنا من اعضاء المنتظمات الدولية .

نعم نحن ملزمون بأن تكون طفولتنا فى مركز ذي مميزات خاصة محافظة على شخصيتنا الضرورية من جهة وان لا تنطوي على نفسها من جهة ثانية ، حيث تلزمنا التعاليم الاسلامية بالتفتح على غيرنا والاخذ والتعاون فى مجالات السلم والامن الدوليين والدفاع عن الانسانية العامة برفع جميع انواع المظالم التي قد تمس بكرامتها .

ففي القرءان الكريم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

والخلاصة : انه يجب ان تكون طفولتنا ذات شخصية خاصة مع تكوينها دوليا فيما ليس من شانه ان يذيبها فى غيرها ، وكمثال تاريخي على ذلك، ان امتنا ــ فى عصورها الزاهرة ــ كانت تأخذ من غيرها علوما وفنونا ثم تصيغها فى قالب عربي اسلامي حتى لا يكاد الانسان يشعر بأنها منقولة عن الغير .

والصيافة تقوم بالتنقيح والتلقيح والتصحيح ثم تفرغها فى قالب عربي اسلامي مبين ، وذلك بعض ما استهدفه الحديث الشريف : (اطلبوا العلم ولو فى الصين) فلم يكن فى الصين أي علم ديني نطلبه وانما ما يمكن ان يكون هنالك من علم دنيوي لتكوين اطار مادي قوي للمجتمع الاسلامي .

كيف نعمل على تكوين اطفالنا تكوينا سليما ،، ؟

نعم ، مرة ثانية ، كيف نكون لطفولتنا شخصية خاصة ؟ واخرى عامة ؟ وهل ذلك معقول ؟ .

ان علماء الاصول عندنا يقولون : الواحد بالشخص له جهتان ، بل له جهات ، يدل على ذلك ان صلح الحديبية تضمن فيما تضمن تحالف النبي صلى

الله عليه وسلم مع « خزاعة » القبيلة اليمنية الاصل الحجازية السكن وانه فى سبيل الدفاع عن هذا التحالف كان فتح مكة بعد سنتين على صلح الحديبية اذن فالواحد بالشخص له جهتان بل له جهات .

هذا كله ما يجب ان نراعيه فى رعاية طفولتنا بصفة عامة وبصفة خاصة نعقد له الفصول الآتية :

الانطلاقة الاولى :

ان اول انطلاقة فى سبيل رعاية طفولتنا ان نختار لها المنبت الطيب ، واعني به : الزوجة الصالحة ، فانتاج الطفولة الجيدة مثل انتاج الثمار الجيدة لا يمكن الا ان تكون من الاصل الطيب ، والمنبت الطاهر الكريم .

وقد ذهب بعض المفسرين فى قوله تعالى من سورة البقرة « ربنا ءاتنا فى الدنيا حسنة » الى ان هذه الحسنة هي المراة الصالحة ، وان المراة الصالحة هي ذات الدين ، فالتدين هو الاصل الحقيقي لكل مجد « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فلا جاه ، ولا مال ولا حسب ولا نسب ، اذا كان ذلك كله فى غيبة الدين .

ففى الحديث الشريف : « تنكح المراة لاربع ، لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » كما فى الصحيحين .

وفى الحديث ايضا « اياكم والدمن الخضراء ، قالوا يا رسول الله : وما الدمن الخضراء ؟ قال هي التي تنبت فى المنبت السوء » او كما قال عليه الصلاة والسلام .

تعلم اخلاق الزواج السعيد :

ان على كل عازم على الزواج ان يتعلم وجوبا ماذا له وما ذا عليه من الزوجة وعليها من حقوق وواجبات ، كما يجب عليها هي ايضا كذلك ، حتى يتمكنا جميعا من الوسائل التي تؤلف بينهما وتجانس او تقلل على الاقل من مجالات الاختلاف ، وبذلك تستفيد من كلام الله عز وجل « خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

فطلب العلم الاسلامي فرض على كل واحد منا فيما نعزم على ممارسته من شؤون الدين والدنيا ، اما طلب العلم الزائد ففرض كفاية فقط (طلب العلم فريضة على كل مسلم) .

والحديث الشريف يقول ايضا « لا يجوز للانسان ان يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه » ، ويقول الله فى سورة الاسراء : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كلُ اولئك كان عنه مسؤولا » .

فالاقدام على الزواج بدون معرفة الحقوق الاسلامية محفوف بالمخاطر .

والاقدام عليه — بمعرفة ذلك — محفوف بالامال السعيدة .

فالطفل ثمرة الزوجين فان صلحا صلح الطفل غالبا ، وان فسدا فسد الطفل غالبا ، (وقد يخرج الله الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، فلا يسال عما يفعل وهم يسالون) .

ولكن واجب الزوجين ان يكونا على خبرة بما لكل واحد على الآخر وما له بدون اعتبار للمغيبات .

واجب الزوج فى ظروف الوحم :

حينما تدخل الزوجة فى منطقة الوحم ، ينبغي للزوج ان يعرف جيدا ان هذا الوحم من شأنه ان يثير فى الزوجة نزعات تفقد معها توازنها الفكري فى كثير من الاحيان ، وبعبارة اوضح ، انها بالوحم تعيش قلقا واضطرابا يفقدها السيطرة على نفسها ، فعلى الزوج ان يراعي لها هذه الظروف فيضاعف لها حنانه وكرمه وانبساطه ويعمل على خلق اجواء طيبة للتخفيف من وطاة الوحم ، وذلك مما يندرج فى قوله عليه السلام : « رفقا بالقوارير » ومن مشمولات قوله ايضا : « ما اكرم النساء الاكريم ، وما اهانهن الا لئيم » ، وقوله : « لا يفرك ، اي لا يبغض مؤمن مومنة ، ان سخط منها خلقا ، رضي منها بغيره » .

والى جانب ذلك ، عليه — مع الامكان — ان يقوم لها باستشارات طبية فى مراحل الحمل ما اقتضت الضرورة ذلك ، ولا مفهوم للاستشارات

الطبية بالمعنى الخاص ، فعندنا نساء كثيرات يعرفن كيف يعالجن كثيرا من مضاعفات الحمل ، والخلاصة ان يبذل ما في الوسع للمحافظة على الحامل والمحمول ، وواجب المحافظة على حياتهما في غير حاجة الى برهنة وتدليل اذ هو من غرائزنا .

مسؤولية الطفل الاولى :

وحينما ينتقل الطفل الى عالمنا يصبح الابوان معا يتحملان المسؤولية الاولى في رعايته ، فمن حقوق الطفل ان يحسن الابوان تسميته ويختص الوالد دون والدته ــ الا ان تتطوع ــ بالنفقة عليه ، ولا حق للوالد ان يطالب والدته بالانفاق عليه ، ولو كان فقيرا وهي غنية ، فالنفقة على الاولاد واجبة على الاب فقط ، وذلك قول صاحب التحفة .

« ففي الذكور للبلوغ يتصل وفي الاناث للدخول ينفصل » .

وفي الوقت ذاته ، فان الام شريكة الاب في تكوين الطفل على الخلق الاسلامي بالتعليم والاسوة ، فهما يختصان بالمسؤولية الاولى قبل اوان المدرسة .

ففي الحديث الشريف : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » ، فالواجب عليهما تكوينه تكوينا اسلاميا ، وفوق طاقتهما غير مسؤولين .

فتجانس الزوجين او تقاربهما في التربية الاسلامية يخلق اجواء الاسوة الطيبة للطفولة ويساعدهما على تكوين الاخلاق الفاضلة .

في رياض الاطفال او بساتينها :

وقبل ان يتمكن الطفل من القوة على الالتحاق بالمدرسة في المرحلة التعليمية ، يتوجب على الاب فقط ، ان يلحقه برياض الاطفال او « بساتينها » اذا ما توفرت له الامكانيات من وجود هذه المؤسسات وما يلزم لذلك من نفقة ، على ان تكون هذه المؤسسات تحت اشراف وتسيير من يتوفرون على خبرة ولو بصفة عامة بنفسية الاطفال ، ويلقنونهم اخلاقا ومعارف اسلامية تتلاءم مع الاخلاق الاسلامية .

واعتقد ــ فيما يشبه اليقين ــ ان هذه المؤسسات لم تتكون عندنا بعد ، فهي ــ كما اعرف شخصيا ــ او اعتقد شخصيا ، تكاد تكون طبق الاصل لما هي عليه في غير المجتمعات الاسلامية .

فأول شيء ينبغي ان يستأنس به الاطفال منذ طفولتهم ان تكون في هذه المؤسسات اسطوانات قرآنية يتحلقون حولها للانصات الى القرءان الكريم من ساعة لاخرى ، وثاني الاشياء ، ان يرى الاطفال الساهرين على هذه المؤسسات يؤدون الصلاة على مراى منهم ، فان في هذه المشاهدة الاسلامية ما يضاف الى مشاهدها داخل المنزل لكي يتجانس المناخان : المنزل ، وهذه المؤسسات .

وعلى الساهرين ايضا ان يتقوا كل قول او فعل يتنافى والاخلاق الاسلامية جهد الامكان .

وهذا ما لا اتصوره في هذه المؤسسات شخصيا .

اذن ،، فما هو البديل ؟

البديل حقا يا اخي القارىء هو الكتاب القرآني، واذا اطلقت عليه « البديل » فانما ذلك تمشيا اولا مع ماجرت به التقاليد في العهد الحاضر من الاقبال على تلك المؤسسات التي أرجو من خالص القلب ان يكون للساهرين عليها تصميم اسلامي نظيف من كل الطفيليات ، وطافح بالايجابيات الخلقية الاسلامية ، والا فان الكتاب القرآني هو الاصل الذي يجب ان يحتضن الطفل في مرحلة سني ما قبل المدرسة ، وحسبه ان يملأ سمعه من القرءان الكريم ولو لم يكن في وسعه ان يتعلم حتى الكتابة ، فالقرءان الكريم له من المفاعيل على المسامع والقلوب والارواح ما لا يدخل تحت الحصر ، بانتقال الطفل الى تلك المؤسسات او الى الكتاب ، يتقاسم الساهرون عليها مسؤولية الطفل مع الابوين اجمالا .

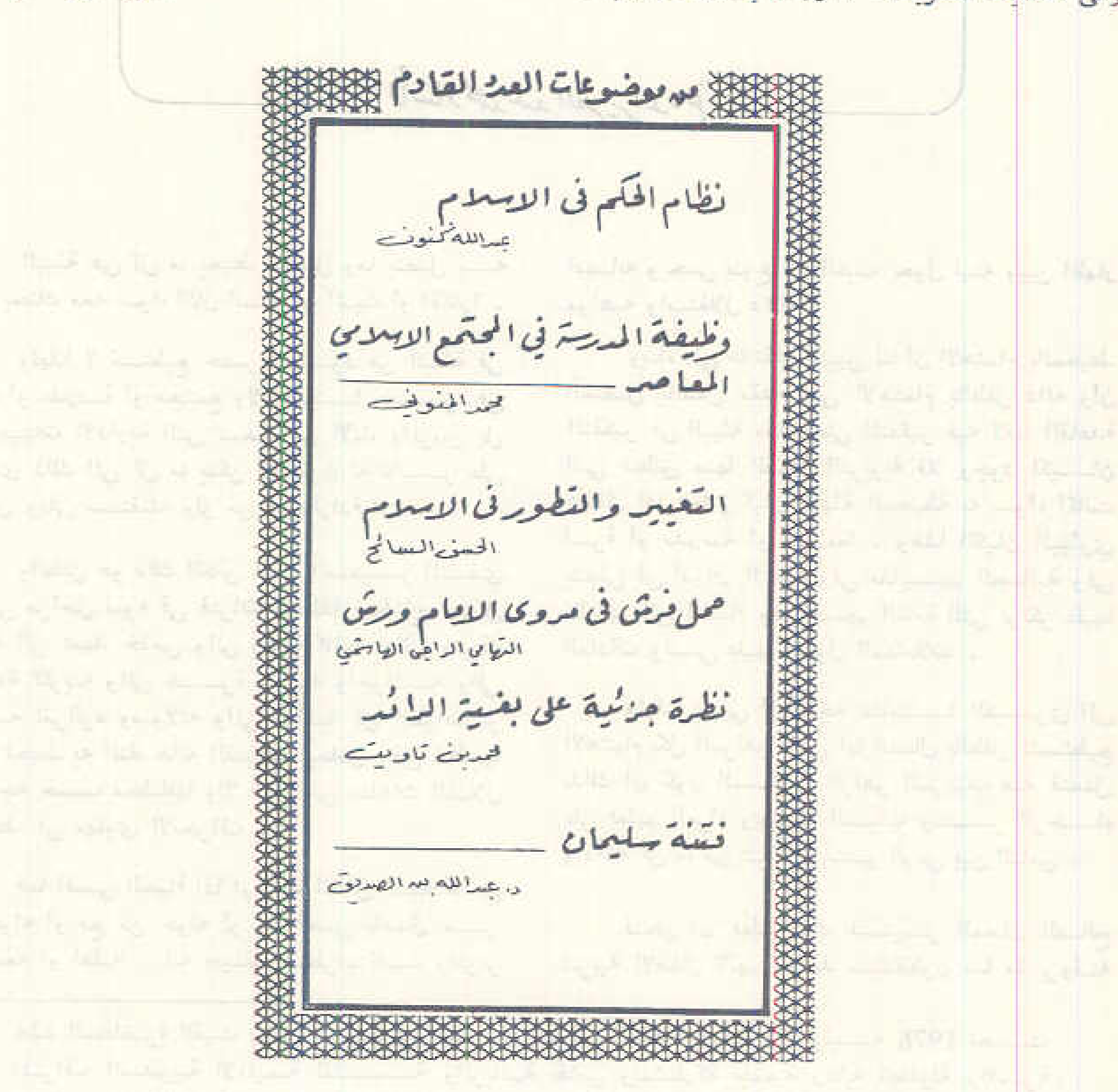
الصلاة والمشاهد الاسلامية :

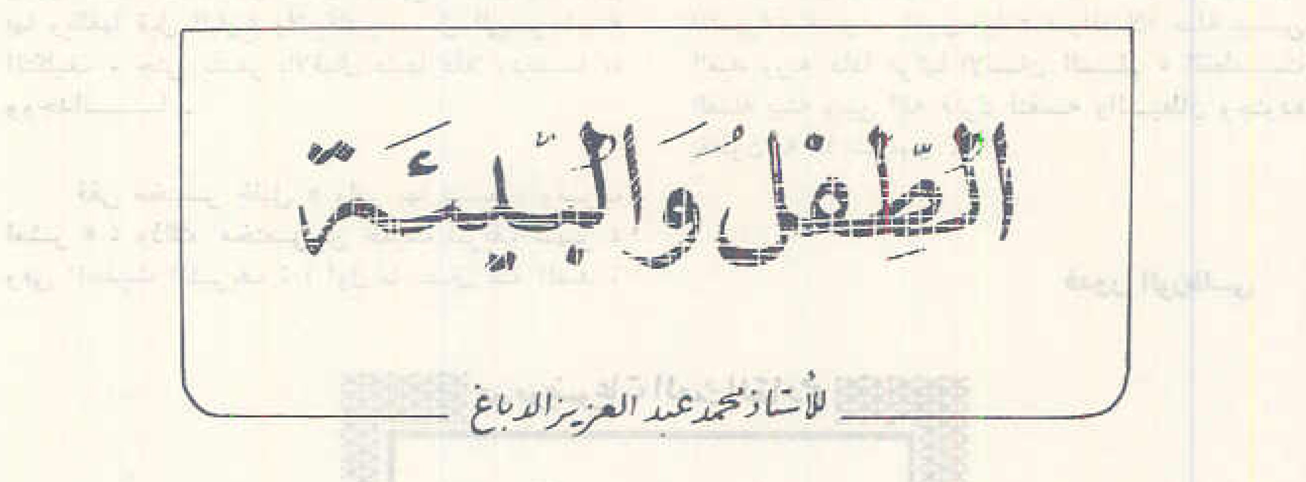
على الاب ان يصطحب معه الطفل الى المشاهد الاسلامية كلما امكنه ذلك وخصوصا مشاهد الصلوات،

حتى اذا وصل الطفل الى السابعة ندبه أبوه اليها فى لطافة ورفق ، وحينما يصل الى العاشرة ، عليه ان يجبره عليها ولو بالضرب غير المبرح ، حتى يستأنس بها ويألفها قبل البلوغ ولا يكاد يصل الى مرحلة التكليف ، حتى يشعر بالاقبال عليها عقلا ودينا ،، ووجدانا .

ففى مختصر خليل « وامر بها لسبع ، وضرب لعشر » ، وذلك مختصر من حديث شريف شهير ، وفى الحديث الشريف : (أول ما يسال عنه العبد : الصلاة) ، وفى صحيح مسلم : (ليس بين الرجل والشرك الا ترك الصلاة) ، وفى سورة مريم : « فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » ، والصلاة صلة بين العبد وربه فاذا تركها الانسان المسلم ، انقطعت الصلة بينه وبين الله فترك لنفسه والشيطان وجنوده يفعلون به ما يشاءون .

قدور الورطاسي





الطفل والبيئة

للأستاذ محمد عبد العزيز الدباغ

البيئة هي كل ما يحيط بالطفل وما يتصل به وما يحتك معه سواء أكان انسانا او اشياء او افكارا .

ولهذا لا نستطيع حصر المقصود من البيئة فى بيت او مدرسة او مجتمع ولا يمكننا حصره فى التوجيهات الادارية التي تنبعث من الاباء والمربين بل تتعدى ذلك الى كل ما يمكن ان يكون له تاثير على الطفل وعلى مستقبله ولو من غير ارادة توجيه .

والطفل هو ذلك الكائن الحي الصغير الذي يقضي مراحل نموه فى فترات مختلفة فيحتاج فى كل فترة الى تعهد خاص والى رعاية كافية والى معرفة بطبيعة تكوينه والى خبرة بنفسه واحواله والى دراسة لغرائزه وميولاته والى مراقبة كل الظواهر التي تحيط به اثناء هاته الفترات ليعامل وفق نتائجها وليوجه حسب معطياتها والا ضاع فى متاهات الضلال وسقط فى مهاوي الانحراف .

فما اقسى الحياة اذا لم يجد الطفل انسجاما مع ما حوله او مع من حوله او اذا احس باهمال من مجتمعه او اهليه . انه حينئذ تضطرب نفسه وتتوتر اعصابه ويحس بنوع من الكبت يحول بينه وبين اظهار مواهبه واستغلال ذكائه .

وبناء على ما تقدم يتبين لنا أن الاهتمام بالمحيط المتصل بالطفل مقدم على الاهتمام بالطفل ذاته وان التفكير فى البيئة مقدم على التفكير فيه لانها القاعدة التي تنطلق منها الطاقة التربوية فلا وجود لكيان الطفل اذا انعدم كيان البيئة المحيطة به سواء أكانت اسرة او مدرسة او مجتمعا . وهذا الكيان البيئوي يتجلى فى اذواق الناس وفى مقاييسهم الجمالية وفى نظرتهم الى الحياة وفى قيمهم العامة التي ترتكز عليها العادات وتنبني عليها أصول المعاملات .

ولهذا ينبغي أن توجه عنايتنا الكبرى الى الاهتمام بكل المرافق التي لها اتصال بالطفل لنستطيع بذلك ان نكون المستقبل الزاهر المرغوب فيه فنعمل على تعليم المراة وتهذيب الشباب ونشر الرخاء واذاعة كل ما من شانه أن ينشر الوعي بين الناس .

فنحن ان فعلنا ذلك فسنيسر المجال الصالح لتربية الاطفال لانهم حينئذ سيلتقطون منا ما يرونه

(1) هذه المحاضرة القيت بفاس بمقر نادي العمل الاجتماعي المحلة بتاريخ 28 يونيه 1978 تحت اشراف المندوبية الاقليمية للشبيبة والرياضة بفاس وبمشاركة جمعية رعاية الطفولة والاسرة فى المهرجان الذي خصص لحماية الطفولة تحت شعار الطفل والبيئة وقد اقيم هذا المهرجان فى نطاق الاحتفالات بعيد الشباب المغربي الذي يخلد ذكرى ميلاد جلالة الملك الحسن الثاني نصر الله.

صالحا وسيمتصون شخصياتنا وسيتقمصون سلوكنا وسنصل فى سنوات قليلة الى ما نرجوه .

اما اذا لم نستطع ذلك فليس لنا امل فى خلق نشء يتحمل مسؤوليته ولو امرناه بها لان التربية سلوك قبل أن تكون أقوالا وتطبيق قبل ان تكون نظريات .

فلنتصور مجتمعنا أعمته المادة واصبح التقدير النهائي للناس فيه مرتبطا بما يملكون من مال سواء اكتسبوه عن طريق مشروع أو عن طريق غير مشروع.

ان هذا المجتمع حينما تشيع فيه هذه الظاهرة تتجلى فى مختلف معاملاته وتظهر فى احاديث الناس وفى ربط علاقاتهم بالآخرين . والطفل المسكين يرى كل هذه العلاقات ويحس بها ويكتشفها داخل بيئته وهو حينما يكبر قليلا يلتقطها فى الشارع وقد يلتقطها فى مدرسة اذا وجد بعض معلميه متبرمين منها أو قلقين من وضعها أو متحدثين عنها ولو فى صورة نقدية متواصلة ولكنه لا يجد مفرا من الانسياق اليها لانها صورة تملكه بسيطرتها واغراءاتها وحينئذ لا تنفع فيه موعظة ولا ينساق الى غيرها من المثل الاخلاقية والقيم الصالحة لانه لا يراها مباشرة امامه ولا يلاحظ تطبيقها عمليا . فكم من درس فى الامانة لا يجد قبولا لدى الطفل ولا تأثيرا فيه فان بحثنا عن السبب فسنجد أن الامر لا يتعلق بعدم استعداد الطفل من الوجهة الطبيعية وانما يتعلق بعدم استعداده من الناحية النفسية لان الحصار الذي ضرب عليه فى المعاملات والرؤية التي انطبعت فى نفسه من نظرة الناس الى المجتمع اثرت فيه اكثر واضاعت منه ذلك الاستعداد الطبيعي الذي يمكنه ان يلعب دورا كبيرا فى توجيهه توجيها سليما .

ومعنى هذا أن الطفل قبل أن نفكر فى تربيته يجب أن نضعه فى بيئة صالحة للتربية والا عاش فى تناقضات ولرفض كل ما من شأنه ان يقال ولا يفعل .

ان الفعل العملي هو المنطلق الذي يجب أن يكون بداية لتربية الاطفال وتوجيههم ، اما الاقوال والنظريات ودراسة انواع السلوك ومعرفة اخلاق الطفل ودرجات نموه فليس فيها ما يفيد اذا بقيت فى حيز النظريات ولم يعمل المربون على استغلالها استغلالا عمليا يكونون فيه هم القدوة الحسنة لمن ارادوا به نفعا أو خيرا .

اذا ظهر لنا ما سبق فاننا يمكن ان نقول : « ان العناية بالطفل دون العناية ببيئته لا فائدة فيها » .

ولهذا يجب أن تكون هناك مخططات من قبل الدولة ترتكز عليها التربية وتستعمل فيها كل الوسائل التي من شأنها ان تجعل البيئة فى المستوى لانها بذلك ستخلق الطفل المرغوب فيه .

وجدير بالمعرفة ان غذاء النفوس بمكارم الاخلاق يجب ان يكون دائما لان طبيعته كطبيعة الغذاء الجسمي فليس الاكل فى يوم معين يغنيك عن الاكل فى غده لان كيان الجسم موقوف على تجدد السعرات وتعددها وكذلك الحال بالنسبة الى التربية العامة والى التوجيه الصالح .

وهذا امر مشترك بين تربية الاطفال وتربية البيئة التي تتولى تربيتهم وان كنا نرى أن استعجالها بالنسبة الى البيئة اصبح ضروريا ويستحق التقديم اذ لا يتصور التفكير فى تربية الطفل قبل التفكير فى تربية الذين سيتولون شؤونه كما لا يتصور نجاح اي مشروع من غير التفكير فى اعداد الاطر التي ستتولاه.

ان تكوين الاطر ضروري لنجاح المشروعات وان تكوين البيئة ضروري لانجاح عملية تربية الطفل فى اي مرحلة من مراحل الطفولة وهذا وهو السر فى ان كثيرا من الدول الهادفة الى الرقي والعاملة على التنمية اصبحت تعني العناية الكافية بالتربية الشعبية وبالتوعية العامة .

وعلى اساس هذه التوعية اصبحت تنهج فى اعداد التخطيطات الملائمة لخلق جيل صالح يقدر على تربية الاطفال وعلى اعدادهم للحياة .

فكم من طفل ضاع بسبب بيئته الفاسدة فاذا صلحت بيئته صلح توجيهه وظهرت مواهبه وافاد بكل ما له من مؤهلات ومعطيات .

ولعل هذه الفكرة هي التي اهابت بعدد من العلماء والمصلحين الى ان تكون اهتماماتهم متصلة بالآباء والمربين وبكل افراد المجتمع قبل أن تكون اهتماماتهم موجهة الى الاطفال لانهم يعلمون ان الاطفال يمثلون البراءة الطاهرة وان مدار انحرافهم يرتبط غالبا بمن يحيطون بهم .

بل ان الامر لا يتعلق بالانحراف فقـط فهـو يتعلق ايضا بشؤون الحياة على اختـلاف مجالاتهـا سـواء فيما يتصل بالاطار الاجتماعي او العلمـي او الفني او غير ذلك ولهذا كان من الضروري ان توضع انشطته موازية للاعمال الخاصة لدى كـل فرد فى المجتمع ليتسنى بهذه الانشطة اخراج المواطن مـن رتابته العادية وادماجه فى هيئات اجتماعية خاصـة تجعله قادرا على معرفة الحياة وممارسة كل ما مـن شانه ان يساعد على النمو او يساهم فى الازدهار .

وبهذه الانشطة الموازية يقع تعاون مطلق بين المخططين التربويين وبين كل الهيئات التي تسعى فى تطبيق المخططات ويحدث تكامل بين المسؤولين فى الدولة وبين مختلف أفراد المجتمـع ، فلا تمـر الا سنوات معدودات على البلاد ثم تجدها قد حصلـت على طفرات تربوية تكون سببا فى تقدمها وازدهارها .

ان اى عمل لا يبنى على العلم والتعاون يكـون سلبى النتائج فاقدا لروح التطور ومؤهلات النجـاح ولناخذ على سبيل المثال فى هذا المجال ظاهـرة المحافظة على صحة الطفل وما لها من تاثير على نموه وعلى رقي بلاده .

ان صحة الطفل لها اثر كبير فى نموه ونـمو مجتمعه ويتوقف كثيرا من نشاطه العام على مقـدار تحمله لمشاق الحياة وغالبا ما يتوقف هذا التحمل على مدى ما يهيأ لهذا الطفل من الوقاية الصحية التي تتجلى فى مـساعدته بانواع التلقيحات وفى الاعتنـاء بتغذيته وفى العمل من اجل تهيىء الظروف الصحية له فى المسكن والشارع .

ومن هنا تصبح العناية الصحية فرضا لازمـا موزعا على كل ما له علاقة بالطفل على قـدر مستواه وعلى قدر اختصاصه .

ان الطفل اذا اهملت مراقبته الصحية ولـم تيسر له الوسائل الكافية ليعيش صحيح الجسـم معافى البدن قوي النشاط فانه ليس هو المسؤول على ذلك ، انما المسؤول هو من لـه قـدرة على مساعدته ورعايته ثم لا يقوم بعمله على أحسن وجه .

وتوزع المسؤولية هنا بين الدولـة والاسرة والمجتمـع .

فالدولة عليها ايجاد المستشفيات والمستوصفات وتيسير التلقيح المجاني ومحاربة الامراض المعدية واستغلال اجهزتها للتوعية الشعبية فى هذا الباب .

والاسرة عليها ان تلتزم بنقل هؤلاء الاطفال الى المستوصفات اذا اقتضى الحال ذلك كما عليهـا ان تعنى بنظافتهم وتغذيتهم وعلاجهم وابعادهم عن كل ما من شانه ان يجعلهم ضعاف الاجسام .

واما المجتمع فمسؤوليته عامة اذ يجب عليـه ان يحافظ على البيئة الطبيعية وان يعمل على محاربة كل ما يتسبب فى الامراض او يساعد عليها .

ان رمي الازبال بالشوارع مثلا جريمة اخلاقية كبرى لانها اولا تتنافى مع التربية الجمالية ثم انهـا تصير بؤرة للجراثيم الفتاكة فتكون منطلقا للامراض ووسيلة لنشرها بين الناس ويتضرر اول من يتضرر بها اولئك الاطفال الابرياء نظرا لضعف حصانتهم ولعدم قدرتهم على الوقاية الذاتية وفى ذلك خطر كبير .

وهناك مثل آخر يتعلق بالوقاية الصحيـة فى المجتمع ويتعلق ببعض الناس الذين يعلمـون ان باطفالهم امراضا معدية ثم لا يعملون على علاجهم او على محاولة فصلهم عن اطفال آخرين فتنتشر بسببهـم الامراض ويؤذون الغير وهم قادرون على عدم الاذاية. وتكثر هذه الظاهرة داخل المدارس لان بعض الاسر تخشى ان تعلن عن مرض أطفالها فيكون ذلك سببا فى توقيفهم عن الدراسة مع ان توقيفهم مع تبرير صحي لا يزيل لهم حق مواصلة التعلم ، خير من استمرار المرض ومن اذاية الناس .

مما تقدم يتضح لنا ان التوعية العامة لها دور كبير على الوقاية الصحية وعلى المحافظة على الطفل فى البـلاد .

ومما يجب التنبيه اليه ان التزام الكبار لبعض طرق الوقاية بدفع الاطفال الى تقليدهم والى محاكاتهم فالآباء الذين اعتادوا تنظيف اجسامهم او مارسوا بعض انواع الرياضة البدنية للمحافظة على صحتهم لا يجد ابناؤهم صعوبة فى التحلي بهذه الصفات .

ولا يتعلق الامر بوسائل الصحة فقط بل انـه يتعلق بكل انواع السلوك ولهذا لا تستطيـع تربيـة الاطفال على شكل معين اذا نحن لم نمارسه بانفسنا .

تقدير الجمال وتهذيب الذوق لا نستطيع بثهما في الطفل بالحث عليهما وانما يكتسبهما عن طريق الملاحظة والتقليد فنحن لا نقدر على خلق الطفل الذي يحس بالجمال اذا لم نجعله يلتقط هذا الجمال من سلوكنا واعمالنا ومواقفنا .

ومن هنا نقول مرة اخرى .

ان خلق البيئة الصالحة هو الوسيلة الوحيدة لخلق الطفل الصالح سواء كانت هذه البيئة مركزا للتعليم الرسمي كالمدرسة او مركزا للتعليم التلقائي كالبيت والمجتمع .

ووظائف كل مركز من مراكز البيئة يجب الا تكون مفصولة عن وظائف المراكز الاخرى لان التعاون بينهما ضروري . ويجب على كل الهيئات ان تعتبر نفسها متكاملة والا فقدت قيمتها في التربية والتوجيه .

فالمدرسة مثلا ليست الا مركزا يحاول ايجاد التوازن بين حياة الطفل وبين أسرته ومجتمعه فمهمتها صعبة جدا لان المعلم ينبغي أن يكون على اطلاع واسع وعلى خبرة بشؤون المجتمع وان يكون صادق النية حريصا على التوجيه وان يعتبر عمله رسالة قائمة بذاتها لاصلاح الفاسد وتعليم الجاهل وتربية المحتاج .

ان المدرسة يجب أن تكون مقرا لاعداد الطفل للحياة ولخلق تجاوب بينه وبين مشاكلها وستكون مقرا فاشلا اذا لم يحس فيها الطفل بأنه يواكب الحياة ويجاري احداثها ولهذا نجد كثيرا من المهتمين برعاية الطفولة يتحدثون عن المدرسة كثيرا وعن برامجها وعن وظيفتها في تربية الطفل وجعله في المستوى الذي يفيد الامة في حاضرها ومستقبلها .

ان المدرسة الصالحة هي التي تجعل من الطفل عضوا مندمجا في مجتمعه وهي التي تستطيع كشف ميولاته لاستغلالها فيما ينفعه وينفع أمته ولهذا كان من الضروري الا تقتصر على الدراسات النظرية وانما تجعل من اختصاصها ايضا بعض الاهتمامات بالصناعة او الفلاحة حتى اذا تعثر الطفل عن مسايرة دراسته النظرية بقي قادرا على مسايرة الدراسات الصناعية او الفلاحية او التقنية .

وحينئذ لا يصبح الطفل مشكلة اجتماعية بعد ان كنا نحاول بتربيته ابعاد المشاكل عن مجتمعه .

ولعل هذه النظرية لا تحتاج الا لتوعية كافية من المواطنين والا الى تخطيط ايجابي في سياسة التعليم ليستغني بها عن كثير من المشاكل التي نقع فيها عندما يعجز بعض التلاميذ عن مسايرة دروسهم فيطردون دون أن تكون لهم أي حصانة تحميهم من الضياع والتشرد واثارة الاضطرابات والفوضى داخل المجتمع .

ان العناية باعداد الطفل للحياة لا تنحصر في أن نعلمه القراءة والكتابة وانما تتجاوزها الى ان نجعله فردا عاملا يعرف كيف يساهم في التنمية بقدراته العقلية وقدراته الجسدية ولا يتيسر ذلك الا اذا كانت هناك خطة تعليمية فيها موازاة بين التعليم النظري والتعليم المهني الذي ينبغي ان تراعى فيه اللامركزية ليكون منسجما مع الاقاليم المحلية كما ينبغي أن يراعى فيه الجنس ليقدم حسب الامكانيات الجسمية والحاجيات الاجتماعية .

ومن المعلوم ان أي تعليم لا تراعى فيه شخصية الطفل وعلاقته بالمجتمع يعد تعليما عقيما غير مفيد واظن انه لا يخفى ذلك على كل من له أدنى اهتمام بالتربية والتعليم .

يقول بعض المربين الامريكيين في هذا الباب : « ساعد التلاميد على أن يلمسوا علاقة المدرسة بالحياة وذلك عن طريق ربط المواد الدراسية والخبرات التعليمية بحياة الطفل الخاصة فالاطفال يعيشون عادة في عالمهم الخاص عندما يكونون صغارا ... ولكنهم كلما كبروا اتسعت دائرة حياتهم لتشمل نواحي حياة الكبار والاهتمام بالاشياء المحيطة بهم ومن الممكن أن نعينهم على ربط المعلومات المدرسية بهذه الحياة » (2) .

---

(2) هذا القول موجود في العدد السادس من سلسلة دراسات سيكولوجية الطبعة الثانية 1957 صفحة 56 وقد طبع المرة الاولى سنة 1951 واسم هذا الكتاب في هذه السلسلة اكتشاف ميول الاطفال تاليف فردريك كودر Frederic Kuder وبلانش بولسون Blanche Paulson ترجمة الدكتور محمد خليفة بركات مراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي .

فالمدرسة اذن لا يمكن ان تستقل ابدا عن الحياة والا اصبحت عرقلة في المسيرة عوض ان تكون وسيلة من وسائل التنمية والتعليم .

وكم يسرني ان اتذكر وانا في حديثي هذا حوارا كنت طلبت من تلامذتي بثانوية مولاي ادريس بفاس سنة 1960 م ان يتخيلوه بين أم مدرسة وان يتحدثوا فيه عن فضل كل منهما في تربية الطفل وتهذيبه .

كتب احدهم وكان اسلوبه رائعا وخياله خلاقا ما ياتي :

قالت الام للمدرسة ليس لك فضل على ولدي فانا الذي اربيه بتعهدي ورعايتي واهيىء له اسباب العمل فلولا انني اوقظه في الوقت المحدد صباحا ما انتبه ولولا انني اراجع معه دروسه ما فهم .

فقالت المدرسة هذا كلام هراء لا يدل على صدق ولا يثبت في برهان انك م ارسلته الي الا لتربيته فانا التي ابعد عنه كثيرا من العادات السيئة التي يمكنه ان يستمدها منك وممن حولك . الم تعلمي انك ترسلينه الي جاهلا فاعلمه وحائرا مضطربا فاعمل على نشر الاستقرار في نفسه وابعاد انواع القلق عنه. ان البيت بلا مدرسة امتداد للجهل ومقر لاكتساب العادات السيئة .

قالت الام : انك تتجاهلين عمدا قيمتي وتنكرين عملي . الست الحريصة على الا يرسب ولدي في الامتحانات فأساعده والا يهمل نصائح معلميه فاحضه عليها ؟اليس الطفل ابن بيئته ؟ فتصوري ايتها المدرسة ان طفلا نشأ في اسرة مهملة هل يستفيد منك شيئا ؟ انك اذا علمته فينسى ما تعلمينه بمجرد رجوعه الى البيت . فبفضل الامهات المتعلمات يخرج الطفل من ظلمات الجهل الى نور العلم ، فهن اللائي يمهدن له سبيل النجاح داخل مجتمعه .

وهنا قالت المدرسة ساخرة : وهل كل الامهات متعلمات ! الست اعوض للطفل ما يفقده في بيته وامنحه احيانا ما يحتاج اليه من حنان وازوده بما بلغ اليه العالم من رقي وايسر له الاطلاع على تجارب الناس .

ثم قالت اظن ان حوارنا سيكون سلبيا اذا استمر على هذا الشكل الاناني فخير لي ولك أن نحكم الطفل فيما جرى بيننا من حديث .

فما كان جواب الطفل الا ان قال لهما : « اذا بينتما لي الجزء الذي يقطع من شقي المقص بينت لكما من يربيني منكما » .

وجواب هذا الطفل في الحقيقة سام جدا لانه يظهر فضل كل من المدرسة والام على الطفل فلا تقتصر التربية من جانب دون جانب لان كلا منهما له دور عملي في اعداد الطفل الصالح وهما معا لا يمثلان الا جانبا من التربية والاعداد .

فالحياة كلها مدرسة والتوجيه لم يعد اليوم مقتصرا على ما يتلقاه الفرد من والده وامه واخوته او من مدرسه او مدرسته وانما اصبحت كل المظاهر الحضارية لها دور فعال في توجيه الطفل وتوعيته واخص بالذكر برامج الاذاعة والتلفزيون ومجلات الاطفال والهيئات الاجتماعية المتجلية في الجمعيات الانسانية .

ان كل ما تقدم له دور عملي في التوجيه بشرط الالتزام وعدم النفاق في الاقوال والافعال وان كان من الملاحظ ان دور الجمعيات اقوى لانها تحتك بالاطفال في مختلف درجات نموهم وتستطيع ان تربط بين تربيتهم وبين احدث النظريات في التوجيه وان تخلق انسجاما بين الدراسات الفلسفية والنفسية وبين الاطفال كمادة حية قابلة للتفاهم مدركة للواجب عالمة بما لها وعليها .

ولكن هاته الجمعيات لا تفيد الا اذا كانت هناك حصانة كافية في تكوين اطرها علما واخلاقا فاذا وقع خلل في ركن من هذين الركنين اصبحت خطرا على الطفل وتربيته ولهذا ارى أن الواجب الاجتماعي يحتم على كل من له قدرة على مساعدة هؤلاء الجمعيات أن يفعل ، بماله او عمله أو نصائحه أو مشاركته بأي نوع من الانواع التي يعود نفعها على الطفل والاسرة والمجتمع .

ودور هاته الجمعيات له تأثير كبير على خلق شخصية الطفل وعلى ربطه بالكيان الاجتماعي وعلى مساعدته بكل وسائلها العلمية والفنية والمادية .

هذا ومن الواجب على المربين الا يربطوا دائما بين الاتجاه التعليمي والاخلاقي فقط دون ان يكون عندهم اهتمام خاص بالطفل ككائن حي يملك مكتسبات ذاتية يمكنها ان تساعد على توجيهه نحو طريق مرسومة ونحو خطة معلومة .

وهذه القدرة على التكيف يملكها الطفل وتنسجم مع اهداف التربية المومنة بدور البيئة فى التهذيب والتوجيه وهي العامل الفعال فى اظهار شخصية الطفل فى المجتمع فليست الشخصية تورث كما تورث بعض الجينات الخاصة بالتكوين الجسمي . وليس الطابع الاخلاقي ايضا مما يورث الا فى بعض الاحوال التي قد تكون لها اتصالات بأحوال الجسم والسلوك ومع ذلك فان هاته الظواهر الاخلاقية قابلة للتعديل عن طريق البيئة .

فلولا البيئة لاستمر مفعولها ولتضخمت مفعولاتها ولاصبح الانحراف الخلقي نوعا من انواع الموروثات الخطيرة التي قد تكون متصلة ببعض الامراض الجسيمة كالخلل فى بعض الغدد المؤدي الى امراض نفسية والى مشاكسات متعمدة والى اكتساب أنواع من الطباع لا يتغلب عليها احيانا الا بمساعدة البيئة الصالحة .

وبناء على ما تقدم يمكننا أن نقول مرة اخرى : « ان تهذيب الاطار البيئوي هو الوسيلة المظلى الى تهذيب الاطفال تهذيبا بينا » .

وانا ارى ان العناية بالبيئة يجب ان يراعى فيهـا ما يأتـي :

اولا — الاهتمام العلمي المتصل بالاختصاصات فى علم النفس وعلم الاجتماع لتكون عناصر التوجيه معتمدة على قوانين اجتماعية صالحة للتوجيه والمقارنة .

ثانيا — الاهتمام بالاحصاءات المتصلة بالاحداث الاجتماعية ليستطيع المربون تشخيصها ووضع ما يتلاءم معها فى ميدان الاصلاح .

ثالثا — محاولة ربط البيئة فى بلادنا بالتربية الدينية نظرا لما لها من جذور فى طبائعنا وأخلاقنا وعاداتنا .

رابعا — عدم الاكتفاء بتصوير الحالات الاجتماعية المعيشة بل يجب ربطها بحالات اجتماعية اخرى لتكون بذلك مقارنات بيننا وبين غيرنا وعلى أساس هذه المقارنات يكون الاختيار فى البحث عن الحلول .

ان الملاحظات السابقة ضرورية لخلق روح الاهتمام بالبيئة عند كل الذين لهم مسؤولية تربوية داخل المجتمع . واعني بهم كل الذين يمكنهم أن يتصلوا بالطفل فى واجهة من واجهات الحياة سواء أكانوا مربين رسميين او كانوا مربين تلقائيين .

وهذه الاهتمامات هي التي دفعت الى خلق بعض الاتحادات التعاونية بين المدرسة والبيت فى عدد من الدول الراقية ولقد ساهمت هاته الاتحادات فى تحديد الروابط بين البيئتين وعملت على توزيع المسؤولية ليكون كل طرف على خبرة بالطرف الآخر واستطاعت هاته الاتحادات أن تقوم بالاعمال التالية :

اولا — البحث عن أسباب فشل بعض التلاميذ فى دراساتهم وهل يعود ذلك لاسباب عضوية او أسباب نفسية مع العمل على تلافي تلك الاسباب .

ثالثا — التفكير فى الوسائل الصالحة لاقرار اتجاه تربوي مفيد تحتاج اليه الدولة فى بناء جهازها العام .

ثالثا — ابداء بعض المقترحات حول البرامج العامة مع الدعوة الى جعلها منسجمة مع المعطيات المادية والامكانيات الاقليمية .

رابعا — دراسة بعض الحالات الخاصة المتعلقة ببعض التلاميذ والمتصلة بسلوكهم واخلاقهم ومحاولة ربطها بحياتهم داخل الاسرة .

خامسا — البحث عن الوسائل والامكانيات التي يملكها الاتحاد لانقاذ بعض الاطفال من الانحرافات الخارجية التي يكتسبونها من المجتمع احيانا .

وقد ادت هاته الدراسات الى اعانة الهيئات التربوية فى اطارها الرسمي أو فى اطارها الحر كما ادت الى تبادل الخبرات ووضع الدراسات والابحاث القيمة المتعلقة بالطفل فى شتى مجالات حياته واعانت على الملاحظة الدقيقة لسلوكه ومنحت الخبرة الكافية للآباء والمربين فجعلتهم يعتمدون فى التربية على قواعد مدروسة وعلى خبرة ملاحظة وعلى أساس من العلم متين .

ونحن فى بلاد المغرب نحتاج الى هاته العناية ونضع مسؤوليتها على الواعين من الآباء والاساتذة

وعلى الجمعيات التربوية والثقافية والاجتماعية وعلى المكلفين بالتعليم وبالشؤون الاجتماعية في بلادنا نظرا لمعرفتهم بقيمتها ولثقتهم في نتائجها .

وكم كان بودي ان تعمل هاته الاتحادات على دراسة اسباب الانحرافات قبل وقوعها وأن تكون حلقة الاتصال بين المدرسة والبيت من جهة وبينهما وبين كل الهيئات الاجتماعية من جهة اخرى . وبذلك تكون الاتصالات التربوية وسيلة للوقاية لا وسيلة للانقاذ ويدخل هذا العمل في بنودها القانونية وفي اعمالها المحددة . ولعلها بذلك تخفف عبء الانحراف عن المجتمع وتخفف عبء العمل على المراكز الاصلاحية المعدة لاعادة التكوين التربوي وعلى المكلفين بالطفولة المحروسة .

وانا اتذكر حينما كنت طفلا صغيرا ان مثل هاته الاتحادات كان صورة عملية في بلادي وان لم يكن يأخذ مثل هاته الاسماء .

فاطفال الحي كانوا مراقبين من قبل كل السكان وكانت السلطة المعنوية مخولة لمختلف الآباء لينوب بعضهم عن بعض في تاديب الطفل او في ابداء النصيحة له او في الاتصال بمعلمه ليخبره ببعض التصرفات التي يقوم بها داخل حيه وكنا نحس بأن المكلفين بتربيتنا لا ينحصرون في البيت او في المدرسة بل يشاركهم في ذلك من يجاورونا من السكان . الشيء الذي جعل الرقابة الاجتماعية مهيمنة على توجيه الناس وتلك نعمة كبرى كانت تسود مجتمعنا وقد عشتها ردحا من الزمن وما زلت احمل في نفسي كثيرا من الاجلال والتعظيم لاولئك الذين ساهموا في تربيتي وتوجيهي من سكان الحي وما زالت تربطني ببعض اطفال الحي الاقدمين علاقات اشبه ما تكون بعلاقة الاخ لاخيه لانها تنبعث من شعورنا المشترك الذي كان يربطنا بآبائنا وبتوجيهاتهم الصالحة بل انني لحد الآن ارى جماعة منهم وفيهم الادباء والعلماء والموظفون بالوظائف السامية اذا ما جمعتهم الصدفة مع والدي وهو يبلغ الثانية والثمانين من عمره يطأطئون رؤوسهم احتراما له لانهم يرون فيه ماضيهم ويتذكرون فيه طفولتهم ويبرزون له الود الذي كانوا له يكنون .

ان نظرة تاملية في هذا الماضي لتدل على ان بلادنا كانت على خبرة بأن البيئة لها دور فعال في تربية الطفل تربية صالحة وانها اذا استقامت تقمص استقامتها واذا انحرفت فانها تترك جذور الانحراف في نفسه وسلوكه .

وان هذا الاعتبار كان له وزن في التقييم الاجتماعي بحيث كان أهل الحي اذا شعروا بأي انحراف أخلاقي في منزل من المنازل اشتكوا الى المسؤولين الذين يتدخلون عاجلا في ابعاد اسباب الانحراف .

وما احوجنا نحن الآن الى تجديد هذا الترابط والى بعث هذا التقارب بين الناس من أجل توجيه الطفل الى معالم الفضيلة والى مكارم الاخلاق .

ولا يتصور تحقيق ذلك الا اذا استطعنا ان نثور على ما فينا من انحرافات ذاتية وأن ننسف ما فينا من قصور اخلاقي ليتيسر لنا حينئذ ان نفيد .

ومن هنا نضطر الى اعادة الفكرة الاساسية التي اشرنا اليها في اول عرضنا ، وهي التي تقرر بأن اصلاح البيئة يجب أن يكون سبيلا الى اصلاح الطفل وأن كل محاولة للاصلاح اذا نسينا فيها انفسنا فستكون عملية سلبية لا فائدة فيها .

وعلى أساس هذا الاصلاح ينبغي ربط العلاقة التعاونية بين البيت والمدرسة والمجتمع من اجل انشاء مجال تربوي صالح يضمن للطفل سلوكا مستقيما واستقرارا دائما ويمهد له حياة مطمئنة خالية من أسباب الشقاء مليئة بالحب والسعادة والرخاء .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

آراء ابن عرضون (ت 992 هـ - 1584 م) في تربية الطفل

للأستاذ مصطفى المهماه

لقد قررت الجمعية العامة للامم المتحدة ، أن تجعل من هذه السنة (1979) سنة دولية للطفل ، ودعت جميع الدول الاعضاء المشاركين فيهـا الى الاحتفال بها . وفعلا سارعت جميع وسائل الاعلام ، الى الحديث عن اهمية تنشئة الطفل ، ورعايتـه ، والحفاظ عليه من كل ما يعكر تنشئته وخاصـة في عصر كثرت فيه المشاكل والمخاطر ،،، والهدف من كل هذا هو تكوين الفرد بل المجتمع الذي يعتمد عليه في المستقبـل .

ولقد طرحت الكثير من الآراء والافكـار بـل وتوصيات جديدة ، اضيفت الى السابقة .

وبالمناسبة قررت المشاركة بموضوع يخص تربية الطفل المغربي من خلال تراثنا المغربي التربوي،والذي اعده من اهم المدخرات التي تحتاج الى تنقيب،وتشذيب قصد تقديمه الى القارىء ان لم اقـل الى رجـال التربيـة .

وقد يتساءل الكثير من القراء ما الفائدة مـن بعث هذا التراث التربوي وقد مر عليه قرون ؟ وانه لا يساير حياتنا المعاصرة ؟ ولا يتوافق مع الجيـل الحاضر الذي يعـيش في عصـر جـد متطـور ومعقد ؟ ... الخ .

ان الاسئلة السابقة وغيرها ستكون الاجابـة عليها بالحقائق التربوية التي عثرت عليها في مخطوط بالخزانة الملكية « مقنع المحتاج في آداب الزواج » لمؤلفه احمد بن الحسن بن عرضون الجزلي .

ولا يفوتني ان أشير ان الكثير من الافكار الواردة في المخطوط السابق تساير النظريات الحديثة في التربية رغم قدمها، بمعنى انها ترجع الى القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، كما اني لن اقوم بتحليل وتفسير آرائه التربوية ، بل سأقدمها للقارىء كما هي موجودة في المخطوط ، الا انني وضعـت عناوين جانبية لكل نوع من المعلومات .

يشتمل مخطوط « مقنع المحتـاج في آداب الزواج » على مقدمة ، وقسمان ، ويشتمل كل قسم على اربعة أبواب ، وخاتمة خاصة بالطفل ، قسمهـا المؤلف الى فصلين .

وقبل ان نقدم افكار ابن عرضون التربويـة ، وكذلك الاشارة الى بعض الآراء التربويـة لعلمـاء عاصروه أو عاشوا قبله التي استشهد بها متوخيا منها التدعيم ، فلا بأس ان نعطي نبذة موجوزة عن حياته وعصـــره .

حيـاتـــه :

هو احمد بن الحسن بن عرضـون الزجلـي المساوي ، عالم مشارك ، وفقيه موثق ومؤلف منطلق

العبارة واسع الافق ، اشتغل بالقضاء ، والتدريس سنوات في شفشاون ، وكثر الآخذون عنه ، توفـي سنة 992 هـ الموافق 1584 .

عصـــــره :

اتسم عصره بكثير من الاحداث التاريخية منها انهيار المجتمع الاسلامي بالاندلس وطرد الاسبان للعرب في سنة 1609 م . وظهور الاستعمار البرتغالي بل وتكالب الاستعمار العالمي للسيطرة على المغرب .

كثرت الفتن والاضطرابات الداخلية ، والتطاحن على الحكم ، وفقدان الثقة والاطمئنان داخل المجتمع ،،، فهذه العوامل كما هو معروف اثرت تاثيرا بليغا وسريعا في البنيان الاجتماعي المغربي بظهور عدة ظواهر اجتماعية ، كان لها اثر كبير على افراد المجتمع . وخاصة الطفل ، في هذه الظروف دعى هذا العالم الآباء الى العناية بالطفل .

الفصل الاول : « تدريب الآباء للصبيان أو من يقوم مقام الآباء »

ويستهل هذا الفصل بقول الامام ابي بكر بن العربي رحمه الله في « مراقي الزلف » .

ان الصبي امانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصور ، وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال اليه ، فان علم الخير وعود نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه كل معلم ومؤدب له ، وان عود الشر واهمل اهمال البهائم ، شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة القيم به ، والموالي عليه ، وقد قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قو انفسكم وأهليكم نارا » .

ومهما كان الإب ان يصونه من نار الدنيا ، فان يصونه من نار الآخرة ، وصيانته بأن يؤدبه ، ويمهر به ، ويعلمه محاسن الاخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة ، واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر وهلك هلاك الابد ، بل ينبغي أن يراقبه من اول نشأة ، فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امراة صالحة متدينة ، تأكل الحلال ، فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه ، فاذا وقع عليه نشأ الصبي ، وانتجت طينة من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث .

التغـــذيـــة :

ومما ينبغي مراعاته الاباء للصبيان او اولياؤهم الاعتناء بصلاح اقواتهم ، بحيث لا ينالون شيئا فيه اداؤهم وينالون ما فيه صلاحهم ودواؤهم .

آداب المائــــــدة :

اول ما يغلب عليه من الصفات شدة الطعام ، فينبغي ان يؤدب فيه مثل الا يأخذ الطعام الا بيمينه ، ويقول : « باسم الله » ويأكل مما يليه ، ولا يبادر الى الطعام قبل غيره ، ولا يحدق الى الطعام والى من يأكل ، ولا يسرع في الاكل ، ويمضغ الطعام جيدا ، ولا يوالي بين اللقم ، ولا يلطخ ثوبه ، ولا يديه ، ويعود الخيار القفار في بعض الاوقات ، بحيث لا يدي الادام، حتما ، ويقبح عنه كثرة الاكل ، بأن يشبه من يكثر الاكل بالبهائم وان يذم بين يديه الصبي بكثرة الاكل ، ويمدح عنده الصبي المتادب القليل الاكل ، ويحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالات بـه ، والقناعة بالطعام الخشين .

لـبس الثيـاب :

يحبب للصبيان الثياب البيض دون الملـون ، والابرسيم ، ويقدر عنده ، ان ذلك شأن النساء والمخنثين ، وان الرجال يستنكفون منه ، ويكرر عليهم ذلك . ومهمى رأى على صبي ثوب من ابرسيم او ملون فينبغي أن يستنكره ويذم ذلك ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والترفـه ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه برغبه .

ويقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ، ويحذرهم منهما اكثر من التحذير من الحيات والعقارب ، فان حب الذهب والفضة والطمع فيهما اكثر من آفات الهموم على الصبيان ، بل على الاكابر ايضـا .

المشـي والحركـة :

ينبغي ان يمنع على الصبي النوم نهارا ، فانه يورث الكسل ، ولا يمنع النوم ليلا ، ولا تكن الفرش

الواطئة ، حتى تتصلب أعضاءه ولا ينحف بدنه ، فلا يصبر على التنعم ، بل يعود الخشونة فى الفـرش والملبس والمطعـم .

ويعود فى بعض النهار المشـي والحركـة والرياضة ، حتى لا يغلب عليه الكسل ، ويعود أن لا يكشف اطرافه ولا يسرع ، ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صـدره .

تعليـم القـراءة والكتابـة :

ان يشتغل فى المكتب بتعليـم القـرءان ، وبأحاديث الاخيار ، وحكايات الابرار ، ليغرس حب الصالحين فى قلبه ويحفظ عن الاشعار التي فيهـا ذكر العشق واهله ، ويحفظ عن مخالطة الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع ، فان ذلك يغرس فى قلوب الصبيان بذور الفساد .

وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثـر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكـر له أن ذلك داب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ داب المماليك والنسوان .

وينبغي ان يؤذن له بعض الفراغ من المكتب ــ الكتاب القرآني ــ ان يلعب لعبا جميـلا يستفرغ اليه تعب الادب ، بحيث لا يتعب فى اللعب ، فان منع الصبي من اللعب وارهاقه بالتعلم دائما يميت القلب ويبطل ذكاؤه وينغص عليه حتى يطلب الحيلـة فى الخلاص منـه راسا .

وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر منه سنا من قريب او اجنبي ، وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم .

آداب عامـــة :

مهما بدأ فى الصبي من مخائل التمييز ينبغي ان يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور الحياء ، فاذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض فليس ذلـك الا مـن اشراق نور العقل عليه ، حتى راى بعض الافعـال قبيحا ، ومخالفا للبعض فصار يستحي من شيء دون شيء ، وهذه هدية من الله تعالى اليه ، تـدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهـو مبشر بكمـال العقل عند البلوغ ، فالصبي المستحي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه .

وينبغي اذا ظهر من الصبي خلق جميل ، وفعل محمود ، أن يكرم عليه ويجازى ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك فى بعض الاحـوال مرة واحـدة ، فينبغـي أن يتغافـل عنـه ولا ستـره ، ولا يكاشف ، ولا يظهر انه يتصور ان يتجاسر أحد على مثله لا سيما اذا سترت الصبي ، واجتهد فى اخفاءه، فان اظهار ذلك ربما يفيد خسارة ، حتى لا يبالـي بالمكاشفة بعد ذلك ، فان عاد ثانيا فينبغي أن يعاقب سرا ، ويعظم امره فيه ، ويقال له اياك ان يطلع عليه فى مثل هذا ، فيفتضح بين الناس ولا يكثر القـول عليه بالعتاب فى كل حين ، فانه يهون عليه سمـاع الملامة ، وركوب القبائح ، ويسقط وقع الكلام مـن قلبه ، وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه ، لا يوبخه الا احيانا ، وينبغي للام أن تخوفه بالاب وتجزره عن القبائـح .

وينبغي أن يعود ان لا يبصق فى مجلسه ، ولا يمتخط ، ويتثاوب بحضرة غيره ، ولا يستدبر عليه ، ولا يضع رجلا على رجل ، ولا يضرب كفا تحت دقنه، ولا يعمد راسه بساعده ، فان ذلك دليـل الكسل ، ويعلم كيفية الجلوس ويمنع من كثرة الكلام ، ويبيـن له أن ذلك يدل على الوقاحة وانه عادة ابناء اللئام ، ويمنع اليمين راسا صدقا او كذبا حتى لا يتعوده فى الصغر ويمنع ان يبدأ بترك الكلام ، ويمنع الا يتكلم الا جوابا ويقدر السؤال ، وان يحسن الاسماع مهما تكلم غيره ، وممن هو اكبر سنا منه ، وأن يقوم لمن فوقه ، ويوسع له المكان ، ويجلس بين يديه ، ويمنع من لغو الكلام وفحشه ، ومن اللعن والسب ، ومـن مخالطة من يجري على شيء من ذلك ، فان ذلك يسـري لا محالة من قرناء السوء ، واصل تاديب الصبيـان الحفظ من قرناء السـوء .

ومهما يبلغ سن التمييز ، فينبغي أن لا يسـاغ له فى ترك الطهارة ، والصلاة ، يؤمر بالصـوم فى بعض الايام من شهر رمضان . ويعلم كلما يحتاج اليه من حدود المشرع ، ويخوف من السريقـة واكـل الحرام ، ومن الكذب والخيانة والفحش ، وكلمـا يغلب على الصبيان ، فاذا وقع نشوءه على ذلـك ، فالصبي مع قرب البلوغ امكن له ان يعـرف اسرار هـذه الامـور .

فبذكر الاطعمة ادوية وانما المقصود منها ان يقوى الانسان على عبادة الله تعالى ، وان الدنيا كلها لا اصل لها ، اذ لا بقاء لها ، وان الموت يقطع نعيمها ، وانها دار هم لا دار مقر ، وان الموت منتظر كل ساعة، وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا والآخرة ، حتى تعظم عند الله درجته ، وتتسع جنان نعمته ، فاذا كان النشوء صالحا ، كان هذا الكلام عند البلوغ مؤثــرا وناجحا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر ، واذا وقع النشوء بغير ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحشاء ، والوقاحة ، وشدة الطعــام واللبــاس والتزين والتفاخر نشأ قلبه على عدم قبول الحق .

الفصل الثاني : يتعلق بتعليم الولدان :

في هذا الفصل يناقش الصفات التي يجب ان تتوفر في المعلم والطرق التربوية التي ينبغي اتباعها، فيقول : « ينبغي ان يكون المعلم من اهــل الديــن والعفاف وغير ذلك من محاسن الاوصاف » ويدعم هذا الراي بكثير من الآراء نسوق منها :

قال يوسف بن عمر : يجب على المعلم اصلاح حاله ظاهرا وباطنا باتباع السنة ليقتدي به الصبي .

وقال ابن الحاج : وينبغي على المعلــم ان لا يضحك مع الصبيان ولا يباسطهم ليلا يفضي ذلك الى الوقوع في عرضه وعرضهم ، والى زوال حرمتهــم عندهم ، اذ ان من شان المؤذب ان تكون حرمته قائمة على الصبيان بذلك مضت عادة الناس الذي يقتدى بهم فليهتدي بهديهم .

وينبغي ان يكون وقت الالواح معلوما ووقــت تصويرها معلوما ووقت عراضتها معلوما ، وكذلــك قراءة الاحزاب ، حتى ينضبط الحــال ولا يختــل النظام ، ومن تخلف عن ذلك الوقت منهم لغير ضرورة شرعية قابلة بما يليق به ، فرب صبي يكفيه عبوسة وجهه عليه ، وآخر لا يرتدع الا بالكلام الغليــظ ، والتهديد وآخر لا ينزجر الا بالضرب والاهانة ، كــل قدر حاله ، وقد جاء ان الصلاة لا يضرب عليهــا الا لعشر فما سواها ، فينبغي له ان ياخذ معه بالرفــق مهما امكنه اذ انه لا يجب ضربه في هذا الســن المتقدم فان كان الصبي في سن من يضرب على ترك الصلاة واضطر الى ضربه ضربا غير مبرح ، فلا يزيــد على ثلاثة اسواط شيئا بذلك مضت عادة السلف ، فان اضطر الى زيادة على ذلك قله ما بين الثلاثــة الى العشرة سوطة ولا بد ان تكون الآلة التي يضرب بهــا دون الآلة الشرعية التي تقام بها الحدود .

وينبغي على المعلم او يتعين عليه ان لا يترك احد من الصبيان ياتي الى المكتب بغذائه او بدراهــم او فلوس يشتري شيئا في المكتب فمن هــذا تتلــف احوالهم ، وينكسر قلب الصغير الفقير ، فيرجع ولد الفقير متكسر القلب غير راض بنفقة والديه ، كمــا يرى من نفقة له الاتسام في الدنيا ، ويترتب على ذلك مفاسد جملة قل ان تنحصر .

وينبغي له ان لا يدع احد من الباعة يقــف على المكتــب للبيــع .

وينبغي ان يكون موضع قضاء الحاجة معلوما ، اما ان يكون وقفا او ملكا اباحه صاحبه ، ويؤمن على الصبي فيه ثم يعودهم اذا خرج أحد من الصبيــان لقضاء حاجته ، فلا يترك غيره يخرج حتى يرجع الاول لما يخشى عليه من اللعب وغيره ، بسبب الاجتماع ، ولا يتركهم يقضون الحاجة مع الجدران والطرق لما في ذلك من الاذاية للجالس والمار .

ولا باس بانصراف الصبيان يومين في الجمعة ، يعني يوم الخميس والجمعة ، وكذلك ، انصرافهــم قبل العيد بيومين او ثلاثة وكذلك بعده .

طريقــة التعليــــم :

فان ما جرت به العادة والعرف ان الصبي اذا دخل المكتب يكتب له (بسم الله الرحمن الرحيــم) « وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمــــا » .

ويأتي المؤلف في هذا الصدد بآراء كثيرة منها:

1) راي العلامة سحنون فيقول : « فينبغــي ان يعلمهم اعراب القرءان والشكل والهجاء والخــط الحسن ، وحسن القراءة بالترتيل ، واحكام الوضوء ، والصلاة ، وفرائضها ، وسننها ، وصلاة الجنائز ... » .

2) راي محمد بن عبد الله الهبطــي : (أن يتحتم على المعلمين تقرير قواعد الايمان والاسلام ،

والشهادتين وتقرير معنى ذلك تقريرا كليا حتى ترسخ تلك المعاني في قلوب الولدان) .

3) راي ابن الحاج (ينبغي أن يعلمهم الخط والاستخراج كما يعلمهم حروف القرءان ، فانهم يتسلطون بذلك على الحفظ والفهم وهو اكبر الاسباب المعينة على مطالعة الكتب وفهم مسائلها ، ويشمل الذكور والاناث ، سيما في هذا الزمن الذي عم فيه الجهل حتى جهل فيه الله ورسوله . وبذلك يسهل عليه باذن الله جميع ذلك فلعله يطالع عقائد السنة ، ويفهم ما يجب عليه من الفروض الضرورية ، ويختص بالانثى مطالعة ما يختص بها من احكام الحيض وغير ذلك ، والغالب انها تقدير ولا تسأل عن ذلك فاذا طالعت بعض ذلك يكون سببا لارشادها بعون الله .

يتبين من هذا العرض الموجز أن آراء العالم احمد ابن عرضون في التربية تمتاز بشمولية التربية والتوجيه من اجل طفولة سعيدة ومجتمع صالح ، كما يتضح انه لا يصر على رايه بل يدعمه بآراء غيره من العلماء حتى يتمكن القارىء والمربي من الاحاطة التامة بقواعد التربية ان لم نقل التكوين الشامل .

مصطفى المهماه

في العدد القادم

قسم خاص بالمؤتمر العاشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية بفاس

أكرموا أولادكم

للأستاذ الحاج أحمد معنينو

آن الاوان مع بداية هذا العام العالمي للطفولة ان نخطط لجيل اطفالنا الحالي الذي سيصبح الجيل المسؤول على تنفيذ اية خطة في السنوات المقبلة .

اننا نشكو ازمة خلقية وقيم سلبية تسود حياتنا وتطغى على قيمنا الاصيلة .

يجب ان نحافظ على شخصيتنا القومية حيث بها انتصرنا على الغزاة .

نخشى ان ينشا الجيل الجديد وعينه على القيم السلبية دون الايجابية .

ان الخالق سبحانه يخلق البشر جميعا في رتبة اطفال ذكورا او اناث ، فاذا فكر الآباء والامهات في تربية هذه الطوائف التي تعد بحق الركيزة للحياة المقبلة ، والزاد للامة وخاصة المسلمة ، وجب ان يعرف الاطفال من اول يوم يشعرون فيه بالوعي والفهم والادراك . ان الله الكريم قدر في سابق علمه ان جماعة المسلمين المؤمنين بالله المصدقين برسله وكتبه واليوم الآخر .

اذا نحن عملنا على تنشئتهم وتربيتهم على الفضيلة ، وان عادة المسلمين الطهارة والنظافة من كل شيء ، فلا يشتغلون ولا يعملون الا الاعمال الطيبة، يجتهدون في اعمالهم ، ويصدقون في اقوالهم ، السنتهم نظيفة ، ونفوسهم طيبة ، وجميع اعمالهم وافعالهم جميلة ، قلوبهم مليئة بحب الله ، والحرص على رضاه ، يتقربون اليه باعمال البر والاحسان ، في اتقان وحب وخشوع .

اطفال ينشأون على هذه الخصال الحميدة في دائرة الاسلام وتعاليمه الطاهرة ، وعدهم الله ووعده حق وصدق بالنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة ، ينجيهم من عذاب النار ، وينعم عليهم بنعيم الجنة ، بالنسبة الى الدار الآخرة .

اما في الحياة الدنيا ، فيعيشون سعداء ، يكدون ويجتهدون ، في احوال المعيشة ونظام الحياة ، والصدق في الاقوال ، والنزاهة في التصرفات ، والبعد عن الغش والكذب والزور واتقان الاعمال ، علمية او عملية معاملة كل الناس بالحسنى والرعاية ، الحصول على العيش من الكد والتعب ، القناعة باليسير تسهل الكثير ، البعد عن الهلع والتشوف لما عند الناس . هذه نظرة وجيزة لو اتبعتها امتنا المسلمة في تربية اطفالنا التربية الخلقية لنشأت الاجيال متوفرة على الكرامة الانسانية ، والحياة السعيدة وضرب الامثال للناشئة وان دين الاسلام كله تربية وتهذيب واستعداد للحياة السعيدة والسعادة الابدية .

فاذا تساءلنا عن الاسباب نجد وراء كل جريمة اسرة منحلة ، اهملت فلذات الاكباد ، وتركت الحبل

على الغارب ، لان هذه الاسرة فقدت المقومـــات فى الحياة ، فلا استقامة ولا حنان ، ايامها كلها مشاجرات وخلافات ، الاب سكير ، او مجرم مهمل ، لا يهتم الا بالملذات والشهوات ، ولو كانت خسيسة ، الام منحلة شرسة الاخلاق ، لاهية مستهترة ، لها بعد كبير عن دور الامومة ، فلا حدب ، ولا عطف ، ولا رعايـــة ، فكيف لهذا الطفل ان ينشأ ويترعرع على الفضيلة ، وبينه وبينها ابعاد واشواك ، وسنه الصغير لا يخوله حق التفكير فى المصير ، بل براءة الطفولة تدفعـــه للهاوية ظنا منه انه على الصواب ، والحال انـــه فى بحبوحة الرذيلة .

الطفل البريء يصبح فى بحبوحة الرذيلة :

كم يوجد من الاطفال يسكبـــون الدمـــوع ، ويتحرقون مما يعانـــون من الحرمـــان ، والقسوة والتشرد ، الامر الذي يحولهم الى التمرد على كـــل شـــيء .

ان فقدان الرعاية والحنان ، والتوجيه السليم ، والتربية الصحيحة ، يؤدي الى ما لا تحمد عقبـــاه ، الحقيقة ان الطفولة فى مهدها دائما تقتـــرن بالبراءة والطهر ، ولكنها تتحول الى طفولة بائسة مشردة ، تندب حظها ، وتقضي جل اوقاتها بين ازقة التشرد ، وطرقات الضياع ، تلتمس الرزق والحياة السعيدة ، فلا تظفر بها ، لا من يغيث ، ولا من يستجيب فتلجا مضطرة الى الانحراف ، وارتكاب الجريمة .

تحول الطفل من الطهر الى الخساسة :

كم هم الاطفال الذيـــن يتحـولون الى التشرد والانهيار ، والابتعاد عن المثل العليا ، نتيجة التقليد الاعمى للبيئة الفاسدة ، او رفقاء السوء ، او الاسر المنحلـــة المنحرفـــة .

يفتح عيناه على الكذب والـــزور والالتـــواء والســرقة والفحش ، تحيط به الرذيلة من كل الجوانب ، فى البيت ، فى الشارع ، فى المعمل ، او حتـــى فى المدرسـة ، فلا مفر لهذا الطفل البئيس من حيـــاة التعاسة ، والمستقبل المظلم .

تارة يلجا الى استعراض عضلاته او الحدة فى تصرفاته ، فيعتدي على بني قومـــه لانـــه يفتقـــد الحساسية ، ويبتعد عن الفضيلة .

ان كل العوامل الرذيلة تجعل من نفس الطفـــل نفسية محطمة ومكبلة ، بقيود العقد والبعـــد عـــن التحرر ، وسلوك طريق الحق ، والخير والتقوى .

فاذا تراجعنا الى معرفة المسؤولية التي اوجبها الله علينا نحو اطفالنا ، وفلذات اكبادنا ، وتذكرنـــا قول الله جلت قدرته : « يا ايها الذين آمنوا قـــو انفسكم واهليكم نارا » . وقول الرسول الكريم صلى الله عليم وسلم فى صحيح الاحاديث : (كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته) ، تحققنا ان المـــراة فى البيت راعية ومسؤولة ، والرجل راعي فى البيـــت وخارجه ومسؤول لا عن الطعام والشرب والكساء ، ولكن عن التربية الحسنة ، والتعليم والتهذيـــب ، وحسن الخلق ، وبهذا يبرز الطفل لميدان الحياة ، ولدا صالحا وذرية مثاليـــة . وبالاحـــرى امـــة قوية ونظيفة وشريفة .

من هذا العرض المختصر نتحقق ان واجبنـــا نحو الطفولة امر عظيم . ان تناولناه بالعناية والرعاية كانت النتائج حميدة ومفيدة ، وبالعكس ان تقاسعنا وتركنا الحبل على الغارب ، برزت النتائج المؤلمة ، وحقت كلمة العذاب على الامة المفرطة فى التربيـــة وحســـن الخلق .

ونختم المقـــال بمـــا ورد عنه عليـــه السلام كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او يمجسانه او . . وقوله : اكرموا اولادكم واحسنوا آدابهـــم فان اولادكم هدية الله اليكم . ولله عاقبة الامور .

مسؤولية الطفولة

للأستاذ محمد العربي الهلالي

ان الطفل من أول المخلوقات الجديرة بالعناية الفائقة ، والقيام بواجباته المقدسة الشرعية أحسن قيام ، من أهم وأعلى وأنبل الغايات التي يتأكد الاهتمام بها وجعلها شغلا شاغلا دائما وأبدا ، وليس ليوم أو شهر أو عام فقط ، لان بذل كل الجهود في القيام بواجبات الطفل ليس انه من أهم الضرورات الحيوية فحسب ، بل أوجبته الفطرة والغريزة ، وجاءت به الشرائع ونزلت به الكتب السماوية ، وينادي به الضمير الانساني دائما ، وقد كان ولا يزال من اجل الاهداف وأشرف المقاصد والاعمال التي فرضها الله على الانسان ، كيف لا وقد كان الطفل ولا يزال وسيبقى هو النواة المخصبة ، والثمرة الطيبة ، والاصل العميق الجذور ، والفرع الباسق الناضر ، وقد اجتمع فيه السلف والخلف ، اذ هو سلف لمن بعده، وخلف لمن قبله ، جعله الله اداة لتعمير الارض، واستمرار الحيوية فيها الى الوقت المقدر لها . فالطفل بذر الماضي وجناء المستقبل ، وأمانة الآباء اورثوها الابناء ارثا موروثا تتداوله الايام فالاعوام ، والقرون والاجيال الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

فالواجب على الامم البشرية ان تتوحد وتتكتل وتتعاون تعاونا مخلصا على تربية الطفل أينما كان وكيفما كانت جنسيته أو لونه أو ديانة أهله ، اذ لا فرق أمام الاصلاح بين انسان وانسان ، فكلنا لآدم وآدم من تراب جنسنا واحد ، وخلقنا من مادة واحدة فكل طفل يستحق العطف والحنان من كل أب ، لان الاطفال أبناء الكل ، وفي اصلاحهم جميعا ، اصلاح للبشرية جمعاء ، واصلاح للارض ، بل اصلاح للكون كله وبالتالي اسعاد للخلق ، والسعادة العامة هي الضالة التي ينشدها كل مخلوق . فهل للامم والشعوب ، والمسؤولين فيها خاصة أن تنهض نهضة واحدة للعمل على اغاثة الطفولة ، وانقاذها مما تعانيه من الخصاصة ، والبؤس ، والجهل ، والمرض ، والضلال والفوضى ، والحرمان واليأس ، والوحشية ... فكم من يتيم ضائع ما منعه ان يكون نبتة صالحة في المجتمع الا عدم المواساة ، وفقد المعين والعناية، وان خسارة طفل خسارة للانسانية التي هو أحد أفرادها وغصن من أغصانها ، وان عدم العناية بالفرد، والقائه بيد الضياع والاهمال يؤدي الى اهمال أفراد فأفراد ثم الى جمع وجموع ، وهذا ما وقع بالفعل . فكم من أطفال مشردين ، ويتامى ضائعين ، ومجاويع متسكعين ضالين ، لا يجدون من يهديهم ، ولا من يرثى لحالهم فيمد لهم يد الانقاذ ، فهناك كثير من الاطفال في كل قطر وكل بلد من البلدان المتخلفة المنتشرة في المعمور بؤساء ... والمسؤولية في هذا الشأن أعظم من ان تقع على فرد وأفراد ، لانها مسؤولية الدول والامم ، ومسؤولية جديرة باهتمام الكل وعمل الكل ، ودراسة أوضاع كل أمة وكل دولة لمعرفة وضع الطفولة وأحوالها وما عليه من خير أو

شر ، وما تحتاج اليه ، وكم تحتاج اليه من اصلاح ، وانواع الاصلاح المختلفة ، وكيفية تنفيذها الى غير ذلك مما يحتاج اليه الامر من الجهود والجهاد .

حقا ان الطفولة العالمية ما زالت تستغيث وتستنجد الضمير البشري الحي منذ الاعوام والسنين الطوال ، فهل كان لندائها من مجيب ؟ .

والطفولة تنقسم في جملتها الى ثلاثة أقسام :

القسم الاول : الاغنياء والمترفين الذين لا يشكون شيئا من الوجهة الاقتصادية . فهؤلاء ان عوزهم شيء فلا يعوزهم الا التوجيه الى ما يجب عليهم ، وكيف يقومون به .

القسم الثاني : قسم الايتام الاغنياء منهم والفقراء ، فالاغنياء يحتاجون الى من يحفظهم في نفوسهم واموالهم ان لا يقربها صاحب غرض الا بما ينميها ويصلحها لتزكو وتزيد . فكثيرا ما اعتدى عليهم المعتدون ، واستغلوا ضعفهم طمعا في اغتصاب اموالهم ، وربما قتلوهم ، فلا بد لهم من ضمان الامن والتعليم ، والتربية الصالحة حتى يبلغوا اشدهم ، ويتولون امرهم بانفسهم .

اما القسم الثالث ، وهم الفقراء . مطلقا سواء كانوا يتاما ، او ذوي آباء عاجزين ، وما اكثر هؤلاء خصوصا في الدول المتخلفة . فلا بد اذن من وجود من يضمن للاطفال اليتامى امنهم وراحتهم ، وتعليمهم وتربيتهم التربية الصالحة التي تكفل لهم سعادة الدنيا والآخرة ، وتمنعهم من ان يكونوا حماما بين الصقور . أما غير اليتامى فيلزم ان يكون لهم سند يستندون اليه كي يعيشوا اولا ثم يكفلوا تربية وتعليما ليتمكنوا من مسايرة ركب الحياة الكريمة ويكونوا مادة صالحة في بناء مجتمعاتهم ، وبالتالي يتمكنون من بناء المجتمع البشري العام .

وان اهمال الاطفال او بعضهم في اى أمة من الامم ستكون له نتائج وبيلة لا تنحصر في أمة مخصوصة او بلد معين ، بل قد يستطير شرها الى بلدان وامم اخرى في العالم . فالاطفال الذين نهمل تعليمهم وتربيتهم ، ونتركهم لحياة الصدف والمقادير ، يعيشون غثاء تتقاذفه أمواج اليم ، فماذا يرجى لهم ، الهالك منهم خسارة فادحة ، والناجي منهم يكون كلا وثقلا على المجتمع ، وقد يستفحل شره فيحترف الجريمة فيشتغل بالنهب والسلب والسرقة والارهاب وقطع الطرق والقرصنة ... الى غير ذلك من الشرور والجرائم والفواحش فيشقى هو ويشقى غيره ويكدر صفو الحياة ، فيقف حجرة عثرة في طريق الاصلاح والامن . فاي انسان عاقل يقبل هذا ويرضى عنه او يرتاح ضميره اليه . بل كيف يقر للاغنياء والمترفين قرار ، أم كيف يتم لهم الامن ويطيب لهم العيش ، وهم يرون من بينهم مشردين وبؤساء وجهلاء لا يكادون يفقهون شيئا ، وربما افسدوا بجهلهم الصالح ، وزادوا الفساد فسادا .

فيجب ان نعلم ان البشرية كلها اسرة واحدة ، تربط بينها روابط شتى ، وتجمعها دار واحدة وهي الارض ، ومبدأها واحد ومصيرها واحد . فما يمنعها ان توحد اهدافها وترعى مصالحها وما يعود عليها بالنفع بصفة جماعية مثل الاهتمام بالطفل الفقير واليتيم ، وغيرهما من عموم الاطفال في سائر العالم ، ان هذا لمن اجل المبرات والاعمال الصالحات ، ولهذا كان من الاعمال التي حثت عليها الكتب السماوية من قبل ودعت اليها الانبياء والمرسون ، وجعلها الله في قمة الاعمال الصالحة وأعظمها ، حتى انه اقسم بالوالد وما ولد ، بل قد جاء القرءان حافلا بالرافة والمساواة للطفل عموما وللايتام والفقراء منهم خصوصا ، ومنع قتل الاطفال خوف الفقر ، وبين ان الله متكفل برزقهم ، وتحمل مسئولياتهم كاملة ، ومنع واد البنات ، وهدد وتوعد من يقدم على ذلك باسلوب ولهجة ترتعد منها الفرائس ، وتهتز لها القلوب فجعلها صورة بارزة معربة بحالها وما وقع عليها من الظلم ، وضمن ذلك ان الله تعالى سينتقم لها باشد العذاب « واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت » . ثم كم اشاد القرءان بالطفل اليتيم وتكريمه والعطف عليه مع المحافظة على ماله وكامل حقوقه ، والاحسان اليه ، وهدد من يتعدى على اليتيم باغتصاب شيء من ماله ظلما بالنار ، وجعل ذلك من افظع كبائر الذنوب واشنعها . ومن خضم الامثلة القرآنية في شان اليتيم وحقوقه قوله تعالى : 4 — 9 — 10 « وليخش الذين او تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا . ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » .

وكما اهتم القرءان الكريم باليتيم ورفع شانه ، واعظم الاجر واعلى درجة المحسنين اليه والمخلصين فى معاملته . كذلك فعل فى امر الفقير ومنحه كل العطف والرحمة والمساواة وجعل له حقا واجبا فى اموال الموسرين « والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ، واثنى القرءان ثناء عاطرا على اولئك الذين يواصلون النفقة على اليتامى والمساكين ، ويشاطرونهم الاموال دون تعل او من . وبالجملة فان القرءان اعطى هذا الجانب الانساني من الاهمية ما هو جدير به ، ولم يترك فيه شاذة ولا فاذة الا نبه عليها وبينها كافيا لا مزيد عليه ، وبقي على الناس ان يقوموا بواجبهم من الدراسة والتنظيم ، والبذل والعطاء بسخاء وانشراح ، نحو مجتمعاتهم البشرية . فاذا قصر الناس فمن المسؤول ؟ وكيف يرجون السعادة والاطمئنان وجموع من بينهم ، من محتاجين وايتام واطفال ونساء ورجال تحترق نفوسهم فى جحيم من الخصاصة وضيق المتربة وآلام الحرمان .

ثم ان الاهتمام بشؤون الاطفال والقيام بوجباتهم من تغذية وتربية وتهذيب بدون حد ، امر مرغوب فيه قريب الى العقول والافهام لا يكاد يغيب عن الادراك السليم ، والطبع المستقيم ، اذ جل الناس يعيشون مع الاولاد والبنين من ذريتهم او من قرابتهم وفى المجتمعات التي تضمهم بحكم الضرورة والبيئة . ومن الذين لا يحب ان يرى الاطفال فى مجتمعه فى حالة تمثل البهجة والسرور وذلك لان الاطفال يمثلون ركنا مهما من زينة الحياة ورونقها وهو سر عظيم من اسرار نظام الله سبحانه فى تعمير الارض وتطوير الحياة ، ان جبل الانسان على حب البنين وحب تنشئتهم على الكمال الى اقصى حد الاستطاعة، بل فوق حد الاستطاعة متى امكن وكيف لا ، والله تعالى يقول : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ... » الآية . ومن ذا الذي لا يحب ان تكون ذريته وذرية من حوله قرة عين وباعث خير واطمئنان بال ـ 71 ـ 25 ـ : « ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين اماما » ـ وقال : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » . وما داموا كذلك وجبت المحافظة عليهم ، وبذل كل ممكن فى تنظيمهم وحسن تربيتهم وجعلهم صالحين مصلحين اصلاحا يشمل الارض وما فيها من نبات ومسالك ومياه وحيوان فضلا عن الانسان . وقد قال القرءان : « قوا انفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة».

ولن نستطيع وقايتهم الا بتعليمهم وتدريبهم على الخير وفعله وابعادهم عن الشر وفعله ليكونوا زينة الحياة الدنيا وبناة الخلود فى الحياة الاخرى ليسعدوا هم فى انفسهم ، وتسعد بهم البشرية فى الارض .

وزيادة على مواعظ القرءان القيمة فى التاليد البليغ على تربية الاطفال والعمل على اصلاحهم ، فقد جاء فى السنة النبوية ما لا يتسع المقام للكلام عليه، ومنه ان اهم ما ينفع المرا منفعة تمتد له بعد موته : (ولد صالح يدعو له) . واعلى مثل فى هذا الشأن ما كان عليه الرسول عليه السلام من ملاطفة الصبيان والاعتناء الزائد بشؤونهم كلها ، فلو اقتفينا ما اثر عن النبي عليه السلام فى هذا الباب وعملنا به لكنا اسوة صالحة لغيرنا ، لان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن معلما للكمال البشري عالما وكفى ، بل كان مثالا اعلى فى كل ما تتوقف عليه حياة بني آدم وتزكو به وتزدهر على كل حال ، فكما كان على مثل يحتذا فى رجولته ونبوته حين نزول الوحي عليه ، كذلك كان مثلا اعلى واسوة حسنة فى نشأته وطفولته ، وقد ورث من التعاليم يعلو بالطفولة ويسعدها على طول الحياة وبعد الممات . « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » .

ونضيف الى هذا وذاك ان حب الطفولة واسعادها امر عاطفي وغريزة فطرية . وانما يجب علينا ان نوسع دائرة هذه العاطفة لتشمل جميع الجنس الانساني بدون تحيز ولا عنصرية تجعل العمل لخير الطفولة قاصرا على جنس خاص او شخص او بلد او دين او لون او غير ذلك ، لان العطف والحنان من فضل الله ورحمته التي يجب ان تكون عامة بين عباد الله فى ارضه ، لا تخص احدا دون آخر . ولان مجموع الاطفال ، ابناء لمجموع النساء والرجال ...

انما اولادنا بيننا
اكبادنا تمشي على الارض

لو هبت الريح على بعضهم
لامتنعت عيني من الغمض

والله ارجو ان يوفق الكل الى ما فيه خير الكل .

محمد العربي الهلالي

من أشعار الأطفال:

رسولة النصر

للأستاذ عبد الحق المريني

— امينة عزيزة ... بنيتي « امينتي »
لله يا بنيتي ... جئت في عهد محنتي

* * *

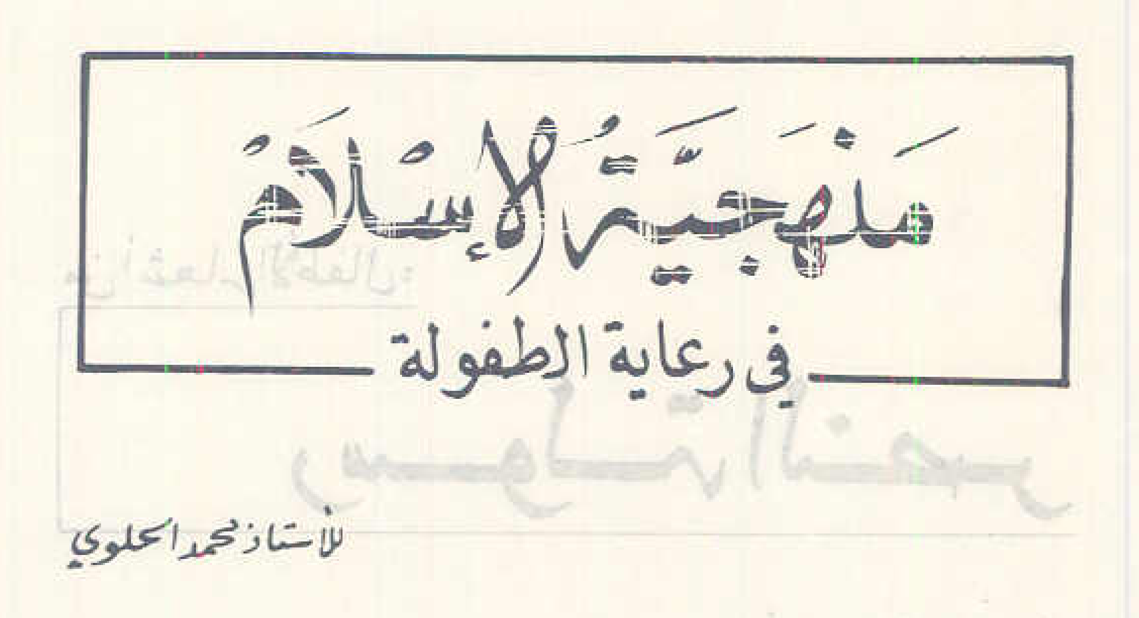
— اماه ما شأن ابي ... قد ارتدى بالعزلة ؟
انـي اراه مطرقا ... هل لهموم حلت ؟
— ان ابـاك ملك ... رمز العلى والعزة
ان أبـاك مبعد ... لقولة : حريتي !
— امينة أميرة ... يا لعظيم المنة ؟ !

* * *

— « امينتي » امنيتي ... هيا أيا عزيزتي
انت رفيق غربتي ... انت أنيس وحدتي
فيا رسول النصر لي ... أنت بشير عودتي
ادعي معي ورددي ... حريتي ! وامتي !

---

(1) نظمت هذه القطعة الشعرية الصغيرة بمناسبة حلول الذكرى الاولى لميلاد صاحبة السمو الملكي الاميرة للا آمينة بتاريخ 14 ابريل 1955 .



منهجية الإسلام في رعاية الطفولة

للاستاذ محمد الحلوي

ما اجمل ان يتحدث الانسان عن الطفولة ويستعرض رؤاها ومباهجها ، ويتمثل طهارتها وبراءتها وما اروع ان يحتفل بعام الطفولة في عالم تتطلع فيه هذه الطفولة الى ما يسعدها ويخفف عنها وطأة الحياة وقساوتها ، ومهما يكن فهي فرصة متاحة لنا لاستعراض منهجية الاسلام المثالية في رعايته للطفولة وحمايتها . تلك المنهجية القائمة على أساس من التكافل الاجتماعي ، والتي تعتبر الطفل الخلية الاولى التي لا تتحقق سلامة المجتمع الا بسلامتها . .

ومن مبادرات الاسلام الرائعة انه خطط للطفولة ومهد لها واعد لاستقبالها كل الظروف الملائمة والمناخ الصالح وهي ما تزال في مكنون الغيب لم تشق بعد طريقها في الحياة فألح على المسلم واهاب به الى التزام سنته في التزاوج لحفظ النوع الانساني ، وتوجيه الغريزة الى ما فيه سلامة للفرد وبناء المجتمع وتكثير لسواد الامة — وبلغ به الحرص على تحقيق هذا المبدأ الى حد من المرونة والتساهل لا يوجد في تشريع ، فلا شيء يمكن ان يعطل بناء اسرة في المجتمع الاسلامي ، ويمنع قيامها ولو كان الفقر ، اذ يكفي في الاسلام لعقد زواج ان يصدق الرجل زوجته اي شيء ، وان يتزوجها ولو بما معه من القرآن ، المهم ان يتحمل في المجتمع رسالته كانسان يبنيه بكل ما يملك من جهد وعطاء ، والمهم ان يسهم في تقويته وامداده بما يمنحه القوة والاستمرار

ويمضي الاسلام خطوة اخرى في مجال الاعداد لطفولة سليمة وسعيدة فيقرر ان المال والجمال مما لا يصح عتماده في اختيار شريكة الحياة لانهما عرضة للزوال وان القيم الروحية في المراة هي التي يجب ان تستهدفها لاختيار الزوجة الصالحة التي ستنجب الاطفال الصالحين ولامر ما فضل الرجل العربي ان يكون الجمال في المراة في حد من الاعتدال لا يفسدها ولا يطمع فيها ، ردد ذلك شاعرهم فقال :

ولن ترى العين مرعى مخصبا ابدا
الا رأيت به آثار منتجع

ويظهر هدف الاسلام من التزاوج واضحا في تفضيله المراة الشوهاء الولود على الحسناء العقيم فهو يبارك كل زواج مثمر ويرحب بكل وليد يدعم بنية المجتمع الاسلامي ويضيف اليه دما جديدا وفكرا جديدا ، ويكره العقم حتى ولو كان محفوفا بهالات من الحسن والجمال .

ومن اجل طفولة تقر بها العيون وتسعد بها الاسرة والمجتمع نبه المعلم الاكبر صلى الله عليه وسلم الى ضرورة انتقاء التربة الصالحة التي تنبت البذرة الصالحة والاصول الكريمة التي تطلع الثمار الكريمة فقال في كلمته المأثورة :

« تخيروا لنطفكم فان النساء يلدن أشباه اخوانهن واخواتهن ». فحرصا من الاسلام على انجاب الطفل القوي البنية والسليم التكوين ورغبة منه فى توفير اسباب الحب والسعادة فى البيوت والاسر دعا الرجل الى ان يتخير لنطفته من تصلح لاستقبالها وان لا ينساق فى ذلك مع عاطفته ورغباته وان يستمع فى اختياره الى صوت العقل وليس الى صوت القلب » .

وكرر هذا النداء فى حديث آخر مؤكدا ضرورة تحكيم العقل فى الاختيار فقال : « اياكم وخضراء الدقن ، قالوا يا رسول الله وما خضراء الدقن ؟ قال المراة الحسناء فى منبت السوء .

ومن مثالية الاسلام فى تخطيطه لطفولة مثالية ما نبه اليه رسول الاسلام من وجوب الابتعاد عن التزوج بالقريبات فمن يجمعهن بالزوج دم او نسب ، بحثا عن مزايا وصفات وافدة ، وتلقيحا لدم الاسرة بدماء قد تستطيع بتفاعلها ان تنشيء صورا شابة وقوية لان بقاء صفات الاسرة الواحدة منحصرة داخل اطارها الوراثي يكسبها الضوى والضمور ولا تتولد عنها الا صور كاسفة باهتة ، وقد جاء العلم الحديث فاكد صحة نظرية الاسلام الواردة على لسانه صلى الله عليه وسلم فى قوله : « اغتربوا لا تضووا » .

وهكذا يرعى الاسلام الطفولة وهي ما تزال نطفة لم تتخلق فيهيىء لها التربة الصالحة والارضية السليمة ثم يواكبها فى جميع اطوار حياتها ومراحل تكونها ويقف دائما من ورائها داعيا الى رعايتها وتوفير كل اسباب السعادة لها .

فابتداء من صرخة الطفولة الاولى تظهر عناية الاسلام فى صورة فريدة من نوعها ، اذ يقترح على الابوين ان يختارا لمولودهما أحسن الاسماء وأرقها ويعتبر ذلك اول حق من حقوق البنوة التي لا ينبغي التفريط فيها .. ومن المأثور فى ذلك عن نبي الاسلام قوله : تسموا بأسماء الانبياء ، وأحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وسهام واقبحها حرب ومرة .

وقوله بادروا اولادكم بالكنى قبل ان تغلب عليهم الالقاب .

ومن تعاليمه صلى الله عليه وسلم قوله : حق الولد على والده ان يحسن اسمه وان يزوجه اذا ادرك وان يعلمه الكتاب ، وهكذا يكون اختيار الاسم الجميل للطفل الوليد أحسن هدية يقدمها له أبواه فى سجل حالته المدنية .

وحرصا من الاسلام فى توفير الرعاية الصحية الكافية للطفولة الناشئة فى اكنافه حث الوالدات على ان يتولين بأنفسهن ارضاع اطفالهن لما فى لبن الام من عناصر التغذية الكافية ولاشباعهم بفيض من الحب والحنان لا يعوض بغذاء آخر ، وهو نفس ما وصل اليه العلم واكدته التجارب . انطلاقا من قوله تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة » . والخبر الوارد فى الآية معناه الامر لان الارضاع حق من حقوق المولود على والدته المطيقة وحرمانها له من هذا الحق اساءة للطفل واهدار لاول حق من حقوقه — وقد ادرك الاسلام جسامة المسؤولية التي يتحملها الابوان لتنشئة ابنهما التنشئة المثالية التي ينشدها للطفولة المسلمة ، والمجهود العظيم الذي يبذلانه من عرقهما وكدهما لضمان العيش الكريم لفلذات اكبادهما ، من اجل كل ذلك اعتبر السعي والانفاق على الطفل نوعا من انواع الجهاد ، ووعد عليه بالاجر والثواب الكبير ليضاعف الابوان من رعايتهما ، وليتحملا اتعاب هذه الرعاية بقلب عامر بالايمان واثق بوعود الله الذي لا يخلف الميعاد . فتربية الطفل فى المنظور الاسلامي عبادة يتعبد بها وقربة من القرب التي يتقرب بها وشفاعة للمومن قد يتشفع بها — وفى هذا الاتجاه تردد قول الرسول صلى الله عليه وسلم : اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او ولد صالح يدعو له ، او علم يبثه فى صدور الرجال . وقوله عليه السلام ايما امراة مات لها ثلاثة من الولد كن لها حجابا من النار ... وايما امراة قعدت على بيت أولادها فهي معي فى الجنة ! ... بيت لا صبيان فيه لا بركة فيه .. وفى المقابل يعتبر اهمال تربية الطفل وتعريضه للضياع والتشرد جريمة فى حقه وحق المجتمع وعصيانا لاوامر الله . فعن ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اكبر الاثم عند الله ان يضيع الرجل من يقوت ، وليس اسوا ولا أبلغ فى الاضاعة من ان يحرم الوالدان ولدهما من نور العلم وان ينشئاه فى احضان الامية والجهالة.

من خلال هذه التعاليم النبوية ندرك مدى مـــا يعيره الاسلام من عناية للطفولة وكيف يرفعهـــا الى مستوى العبادة ويعطي عليها من الثواب ما يعطيـــه العابد في محرابه ، ويرتفع هذا الجزاء كلما كان الطفل محروما في الحياة من عطف الابويـــن وحنانهمـــا ، فرعاية اليتيم وكفالته خير ما يتقرب به الى الله في المجتمع الاسلامي . ولا ثواب عليها من الله الا الجنة ــ انا وكافل اليتيم في الجنة ــ خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن اليه ، وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء اليـــــه .

وتتجلى المثالية في اسمى مظاهرها في الحياة الشخصية للرسول الذي كان المثل الاعلى في سمو عاطفته وقلبه الكبير كأب وجد ، فقد جزع أشد الجزع على ابنه ابراهيم وارسل لدموع عينيه العنان . وقال كلمته المأثورة : العين تدمع والقلب يخشع ، ولا نقول الا ما يرضي الرب ، وكان للحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة مكان واى مكان في قلب الرسول عوض به عن حبه لابنه الفقيد ، قال له رجل وقد رآه يقبلهما نحن قوم لا نقبل اطفالنا ، فقال له الرسول : وماذا اقول لك ان كان الله قد نزع الرحمة من قلبك ! وكان يرى ساجدا وهما يركبان ظهره الشريف فـــلا ينحيهما ولا ينتهرهما .

وتتلاحق صور هذه المثالية التي حققها الاسلام في مجال الطفولة ورعايتها ، فيحمي مال الطفل كمـــا يحمي صحته وحياته ويحرم استغلال ضعفه لابتزاز ماله والتصرف فيه بوجه غير مشروع ، وتوعد آكلي اموال اليتامى ظلما بعذاب السعير . وامر بدفـــع اموالهم ورفع الحجر عنهم متى بلغـــوا سن الرشد واصبحوا قادرين على التصرف . . « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم » الآية . . « ولا توتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قيما » . . وليس من المثالية في شيء ان يضطلع الآباء بكل هذه الاعباء وان يتجشموا كل هذه الصعاب لاداء رسالتهم في صبر واحتمال من غير ان يطالب الاسلام ابناءهم برد الجميل ومكافأة من اعطاهم من حياته وجهده الكثير . فقد أكد الاسلام حق الابوة المقدس بطرق واساليب ليس مثلها شيء في البلاغة والوضوح ، واعتبر العقوق من الكبائـــر الموبقات التي لا نجاة فيها من عذاب الله ، وجعـــل الجنة تحت اقدام الامهات ، واسقط الجهاد على من له ابوان في الحياة فقال لابنيهما الراغب في الجهاد : فيهما نجاهد . بهذا الحب المتبادل بين الآباء والابناء تتحقق المثالية التي ينشدها الاسلام للطفولة وتبرز الرعاية التي خطط لها وهي ما تزال لم تر النور على ظهر الحياة .

ويدرك الاسلام تمام الادراك عجز الكثير مـــن الناس عن تحمل رسالتهم نحو الطفولة لاسباب قـــد تكون خارجة عن ارادتهم ولظروف اجتماعية تحول دون تحقيق ما يريدون لهذه الطفولة من سعادة ، فيومئ ايماءة خفيفة الى وجوب الاحتكام الى العقل وحسن التصرف بضبط النسل والتحكم في النفس انسياقا مع طبيعة الظروف ومستوى العيش حتى لا يعجـــز عن حمل اعباء الابوة المرهقة فتســوء اوضاعه وتنهار حياته ، ففي الصحيح المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم : خيركم في المائتين كل خفيف الحاذ (الظهر) الذي لا اهل له ولا ولد ، وكان المتنبي نظر الى هذا الحديث حين قال :

وما الدهر اهل ان تؤمل عنده
حياة،وان يشتاق فيه الى نسل !

ويوضح هذا التوجيه النبوي سلامـــة النظرة الاسلامية للطفولة وصحة مقاييسها التي لا تعتمد على الكم والفئالية ولكنها تعتمد في الاساس على سلامـــة بنيتها ومدى فعاليتها وايجابيتها ويأتـــي المجتمـــع ليكون آخر حلقة في منهجية الاسلام لرعاية الطفولـــة فيضطلع بنفس الدور الذي يضطلع به كافل الطفـــل عند انعدام هذا الاخير فيمنحه التربيـــة والغـــذاء والعلاج ويحميه من التشرد والضياع ويرعاه حتـــى يصبح خلية من خلايا المجتمع البناءة .

وبعد ، فان منهجية الاسلام كما يبدو من خلال هذا الاستعراض تعتبر نموذجا حيا رائعا ليس وليـــد بيئة او مجتمع ولا تجربة مؤسســة او منظمة ولكنــه تعليم من الله وتنزيل من لدن حكيم عليم . الـــذي كرم الانسان واختاره لخلافته في الارض . فكيـــف لا يحيط برعايته وتدبيره هذا الكائن الصغير الـــذي كتب عليه ان يتحمل الامانة التي ابت ان تتحملهـــا الارض والسماوات ؟ وكيف يأخذ بيده وهو احوج ما يكون الى يد تسنده وعين ترعاه ؟ وكيف يهملـــه او يتخلى عنه وهو رب العالمين ؟ .

تطوان : محمد الحلوي

أطفالنا اليوم وغداً

للأستاذ وجيه فهمي صلاح

الحديث عن الطفل أمر صعب وشاق . لان موضوع الاطفال متشعب ومتداخل بعضه فى بعض . فدوافع الاطفال وسلوكهم وما يخالج اذهانهم من تصورات وتخيلات ومحاولة تفسير تصرفاتهم بموضوعية أمر قريب من المستحيل حتى بالنسبة الى علماء النفس المتخصصين فى دراسة عقلية الاطفال . فالامر اذا صعب جدا بالنسبة الى انسان متاسي كل خبرته فى هذا الميدان محصورة بكونه اب لاربعة اطفال يعايشهم يوميا بحنان ورافة واحيانا بشيء من القسوة التي يغلفها العطف .

لان التعامل مع الطفل ليس بالامر الميسور فهو فى حاجة الى صبر ايوب ومال قارون . فالمثل القديم يقول : المراة والطفل الصغير يحسبان أن الرجل على كل شيء قدير . فالطفل طبعا لا يحس بفاقة الاب المالية . وقد لا يحس بالتعب والاجهاد الذي يعانيه الاب خارج المنزل وهو يكافح من اجل اسرته وما يصادفه فى حياته اليومية من مضايقات ومنغصات تجعله فى حاجة الى جو فسيح من الهدوء والراحة يلتمسه فى اركان بيته . واغلب الاحيان لا يجد الاب هذا الجو فى داره المليئة بالاطفال وشكواهم ومتطلباتهم والحاحهم واستفساراتهم التي يعجز احيانا عن تقديم الجواب المقنع لها . فالطفل بطبيعته كثير الاسئلة ومحب للاستطلاع يفرض عليك ان تقدم له أجوبة واضحة على تساؤلاته . فاذا لم تقنعه صاغ لك السؤال نفسه بشكل جديد لانه يصر على ان يفهم وحريص على استخلاص الجواب الصائب منك علما منه انك اب قادر على كي شيء واسع العلم والمعرفة فجدير بك ان تدله على ضالته . ويتسلل معك فى حوار منطقي الى ان يصل الى معرفة ما يجهل . وما يجهله الطفل قد يجهله الاب ايضا . وهنا تكون المصيبة . فلماذا لا نهتم بتربية الآباء قبل ان نهتم بتربية الابناء .

صحيح ان اطفالنا اكبادنا تمشي على الارض . وحري بنا أن نعمل على اسعادهم وتوفير كل ما يمكن توفيره لهم من وسائل الراحة والمعرفة . وجدير بنا أن نبذل قصارى جهودنا لتنشئتهم النشئة الملائمة لنخلق منهم جيلا قادرا على تحمل المسؤولية الوطنية والاجتماعية والحضارية خاصة فى هذا الزمن الذي نعيشه حيث مسؤولية الفرد فى بناء المجتمع مسؤولية كبرى تفرض على اطفال اليوم ان يتسلحوا بكل ما يمكن من المعرفة والقوة والخلق والسلوك والضمير .

حقيقة ان اطفالنا اليوم احسن حالا من اطفال الامس ، حيث هيات لهم الحياة أجواء افسح من الاجواء الماضية . فهم يتعلمون فى بساتين الاطفال والمدارس العصرية . يجلسون مسترخين وينقلون الى مدارسهم بسيارات النقل . ويتلقون العلم فى

كتب مدروسة ومعدة خصيصا لعقليتهم . الشيء الذي لم يتح للكثير منا . فانا مثلا وانا في العاشرة من عمري كنت اسير على قدمي الى المدرسة مسافة سبعة كيلومترات واحيانا لم اكن اجد الكتاب اللازم . اما اليوم فالحال غير ذلك الحال . وسائل الراحة متوفرة ووسائل المعرفة متوفرة . ومع ذلك نجد ان الزمن الغابر انتج من الاطفال عباقرة وافذاذ قد يعجز الزمن الحاضر عن انتاج امثالهم .

كثيرا ما تتفتق عبقرية الاطفال عن سن مبكرة . فطرفة بن العبد احد أصحاب المعلقات اظهر نبوغا وهو حدث . واللورد تومس ماكولي الشاعر البريطاني كتب شعرا وهو في الخامسة من عمره . وجون كيتس توفي في الثانية والعشرين من عمره طبيبا وشاعرا تاركا وراءه ديوان شعر قيم .

فمن واجبنا اذا ان نعتني بالاطفال وان نعمل على نتيجة مواهبهم التي ستخدم الوطن وسترفع من قيمته الحضارية .

وليس الحديث عن الطفل بالامر السهل ، وهو كذلك اذا حاولنا ان نضع اطارا شاملا عاما ومخططا نموذجيا يتخذ قاعدة للاخذ بيد الطفل ليكون قادرا على مواجهة القرن الحادي والعشرين الذي لا يبعد عنا الا بعشرين سنة لا تلبث أن تمر كمر السحاب .

لا يستطيع احد ان يتنبأ مهما بلغ من علم ومعرفة ، ومهما كانت الدراسات والاحصاءات التي يعتمد عليها من الدقة والصدق ـ الوضع العالمي الذي سيكون عليه القرن الحادي والعشرين ـ فقد تتقدم دول كانت متاخرة وقد تتأخر دول كانت متقدمة فالعبقريات ليست محصورة في شعب معين ، لان العبقرية قد تلد في البناء الشامخ الرحب الجميل . وقد تلد ايضا في الكوخ المتواضع البسيط . ومن الممكن جدا ان تنقلب الاوضاع راسا على عقب ، فنرى امما نفضت عن راسها غبار التخلف لتحلق في اجواء الرقي والتقدم والازدهار ، اذا احسنت التخطيط واستغلت كل خيراتها وطاقاتها وامكاناتها لتقفز قفزة واسعة عريضة وتصل الى ما هدفت له مخططاتها .

وفي طليعة التخطيطات في نظري بالنسبة لعالمنا العربي والاسلامي هو ما يتعلق بالانسان العربي المسلم بالطفل العربي المسلم ، الذي يعاني الآن الكثير من الحرمان ، فطفل اليوم هو رجل المستقبل .. هو الركيزة والعماد الذي تقوم عليه الحضارة ويقوم عليه التمدن والتقدم في كل مضمار . ان الطفولة الصحيحة هي اقصر الطرق الى مستقبل سعيد . وأن الطفولة التي تجد التوعية اللازمة المدروسة ، وتجد البرامج التعليمية الكفيلة بتقديم المعرفة المفيدة التي لا تبعدنا عن اصالة الاسلام وجوهر الاسلام ودساتير الاخلاق الاسلامية التي نتلمسها في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة ، مع بذل كل مجهود يمكن بذله لجعل الطفل العربي المسلم قادرا في ذكائه ومداركه على مسايرة اطفال العالم المتقدم ؛ كل هذا كفيل بتوفير جيل عربي مسلم قادر على تحمل مسؤولياته رغم جسامتها في عصر التكنولوجيا والعلم .

ان اطفال العالم في نظري مهددون بما يشاهدون من افلام ومسلسلات تأخذهم من الطريق الامثل الذي نحرص على جعلهم فيه الى طريق معوج ، قد يجرهم الى الويلات والاخطار . فان ما شاهده الطفل على الشاشة الصغيرة او الكبيرة يشده اليها بوثاق قوي ليس في وسع الآباء مهما استعملوا من قوة فكهم من هذا الوثاق ، لان الطفل لا يعلم الحدود الدقيقة بين الخيال والواقع ، ولا يعرفون مقدار الخيال فيما يشاهدون ومقدار الواقع .

ناهيك عن برامج العنف ومسلسلات العنف وافلام الرعب ، وبرامج المصارعة والملاكمة ، والافلام المحشوة بالعدوان والضرب والرصاص واسالة الدماء والسرقة والنهب والاختطاف التي تضر بنمو الطفل وهو في مرحلة يحتاج فيها الى حنان وتدليل . وليس هذا فحسب بل ان ما يشاهده الطفل على شاشة التليفزيون من هذا القبيل قد يكون عاملا على دفعه الى حالات مؤلمة من انفصام الشخصية .

ان التليفزيون الذي تدخل برامجه الى المنازل بدون استئذان ينبغي ان يكون مدركا لمسؤوليته الوطنية والانسانية فلا يدفع بالاطفال الى المهالك والاخطار .

اين البرامج والمسلسلات التي تغرس في نفسية الطفل قيم الحق والخير ، والتي تشحذ همته لان يكون انسانا فاضلا نبيلا شجاعا جوارا مقدرا لتراثه واصالته وقيمه الحضارية ؛ ليخرج رجلا معتزا بترابه منسجما مع مجتمعه عاملا على خدمة وطنه ومواطنيه عارفا بحقوقه وواجباته .

نريد قصصا هادفة للاطفال ، وبرامج حافزة للاطفال ، ومسرح يقدم للاطفال اروع الامثال في اطار من التسلية والترفيه . نريد موسيقى للاطفال تهذب النفس وتسموا بالروح وتصقل الموهبة . نريد انتاجا يساعد الطفل على أن يكون ايجابيا وفعالا ومنسجما مع مجتمعه . لا نريد له ان ينكمش امام الشاشة عدة ساعات وهو يشاهد خيالا تافها يضر بصحته النفسية والعقلية وبالتالي يرده عدما لا ترجى منه فائدة لبلاده ولا لنفسه . ينبغي أن نطلعه على المعلومات الفياضة النابعة من الواقع والتي تؤدي بدورها الى تنمية معارف الطفل وتوسيع مداركه وجعله قادرا على ادراك وجوده وموقعه من العالم فوق راض صلبة اساسها المعرفة .

وجيه فهمي صلاح

> **● وان التعامل مع الطفل ليس بالامر الميسور فهو في حاجة الى صبر ايوب ومال قارون ●**

إعلان الإسلام لحقوق الطفولة منذ 14 قرنا

للاستاذ عثمان بن خضراء

من الحقوق التي منحها الاسلام وكان تشريعه فيها أسبق تشريع فى العالم : حقــوق الطفولــة .

فقد رعى الطفولة قبل الميلاد ، اذ اوصى باختيار الزوجات ... يقــول الرسول الكريــم : « اياكم وخضراء الدمن ـ تخيروا لنطفكم فان العرق دســاس » .

كذلك اوجب على الوالدين اختيار اسم الطفل حتى لا ينشأ فى ذلة وخجل من اسم يجلب له العار : » ان من حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة وأن يحسن اسمه وأن يزوجه اذا بلغ » .

ولقد حمى الاسلام الطفل من والديه ، فنهى عن تكليف الاطفال الكسب لحماية طفولتهم فى نواحيها الجسمية والعقلية والخلقية ... وابــرز الناحيــة الخلقية حين قال : « لا تكلفوا الصبيان الكســب ، فانكم مهما كلفتموهم الكسب سرقوا » ، اذ انهم فى هذه السن لا تستقيم مقاييسهم الاخلاقيــة ، فاذا اندفعوا وراء حب الكسب فربما انحرفوا الى السرقة او الاختلاس او غيرهما من الرذائل ، كذلك حمى الطفل من والديه اذا طالباه بما ليس حقا :

يقول الرسول الكريم : « السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصيته ، فان أمر بمعصيته فلا سمع ولا طاعــة » .

وبعد اربعة عشر قرنا من اعلان الاسلام لحقوق الطفولة ... أصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة فى دور انعقادها العادي الرابع عشر بتاريخ 20 نونبر عام 1959 القرار رقم 1386 بشأن اعلان حقوق الطفل، وقد تضمن عشرة بنود نصت المادة الاولى منه على ان يتمتع كل طفل دون استثناء بجميــع الحقــوق المقررة فى هذا الاعلان دون اي تمييز أو تفرقــة بسبب العنصر او اللون او الجنس او اللغة او الدين او المعتقد السياسي أو غيره ، أو الاصل القومي أو الاجتماعي او الملكية او النســب او غيــره مــن الاسباب القائمة لديه أو لدى اسرته .

ونصت مادة اخرى على ان يتمتع الطفل بالتعليم مجانيا والزاميا على الاقل فى مراحله الاولــى ... وحمايته من جميع صور الاهمال والقسوة والاستغلال وحظر استرقاقه والاتجار به بأية صورة من جميــع الاساليب التي تعمل على التمييز العنصري والديني.

ومضت من الاعوام ما يقرب من العشرين عندما قرر مؤتمر عالمي بالمكسيك بأن يكون عام 1979 عاما دوليا للطفل بمناسبة مرور عشرين عاما على اصدار الاعلان العالمي لحقوق الطفل ... فاستجابت جميع دول العالم لهذا النداء .

وتبذل الدولة المغربية مجهودات جبارة لرعاية الطفولة واسعادها بواسطة المجلس الاعلى لرعايــة الطفولــــة .

فالاحتفال بعام الطفولة يكتسي قبل كل شيء صبغة اجتماعية وتربوية وسياسية واثارة الاهتمام حول وضعية رجال المستقبل ـ كما ان دول العالم لا تنظر بنفس المنظار الى هذا الاحتفال ـ فالدول الغنية والاسر الميسورة حيث الاطفال منعمين لا يمكن مقارنته بوضعية الاطفال فى الدول المتخلفة .

ومن هنا يحق لنا ان نتساءل : « هل للدول داخل (المعسكرين) نفس الحقوق والمشاكل والاحتياجات ... وهل رؤيا المستقبل واحدة » ؟

الحقيقة أن غالبية اطفال العالم الثالث لا يتمتعون بغذاء صحي كامل ... او بتربية مستقيمة او بوقاية تامة ضد المرض والبرد . لا سيما وأن ميدان العمل داخل البلاد المتخلفة غير كاف بالنسبة لهجرة البوادي المتصاعدة . والاب الذي لايجد عملا ليس باستطاعته ان يضمن لطفله السكن والتغذية والدراسة ؟ ابدا لانه لم يصبح بعد عنصر اقتصادي منتج اجتماعيا ـ وحتى اذا اخذنا بعين الاعتبار حالة اب اسرة يتقاضى اجرة فان استمراريته فى هذا العمل غير مضمونة نظرا لعدم الاستقرار الذي تتميز به الدول المتخلفة ـ فنجد المشتغلين الذين يتوفرون على يد عاملة عاطلة ومتزايدة يلجأون الى المناوبة فى التشغيل للاحتفاظ بأجور منخفضة .

اما فى البوادي فان التضخم السكني يجعل الطفل يعيش فى مستوى جد منخفض لان محصول استغلال الارض لا يتعدى ضمان عيش العائلة القروية الشيء الذي لا يسمح للطفل بالدخول الى المدرسة لان ذلك يتطلب مصاريف ايضافية ـ وهكذا نجد الطفل القروي يلتحق بالحقل فى سن الثامنة او التاسعة ليعين أسرته فى الحقل او ليرعى الغنم رفقة اخيه او اخته .

فالعلاج الاساسي يتطلب ضمان العمل للاب واستمراريته حتى نحقق للطفل التمتع بحقوقه المشروعة ونرفع من مستوى بيئته ـ فلننظر مثلا الى ميدان التعليم ... فاننا نجد كثيرا من الدول المتخلفة قامت بتضحيات جبارة لتنوير افكار اطفالها وجلب الكثير من البادية ومن مدن القصدير من اجل هذا الغرض ـ ورغم مجانية التعليم فان الاحتفاظ بالطفل داخل المدرسة يتطلب مصاريف لا يتحملها اب عاطل او دخله منخفض !

فالطفل الناقص التعليم والتغذية والكساء يكون النواة لمجتمع مضطرب متخلف وغير مستقر .. بخلاف الطفل المتورد الوجنتين حيث الغذاء الصحي والتعليم المتطور والكساء المتنوع والهدايا المتتابعة وسهر العائلة يتكون منه مجتمع واع متقدم ومتفتح على العالم والحضارة .

ولقد اكد رئيس الجمعية العامة للامم المتحدة انه اذا لم تتضافر الجهود لصيانة حقوق الاطفال وتطبيقها فان العالم سيشهد ميلاد مجتمعات اخطر وامر من سابقاتها ، يخيم عليها الجهل والمرض والجريمة .

فحل مشكلة اطفال العالم الثالث تتوقف الى حد بعيد على نوع العلاقات الاقتصادية المنصفة التي تسلكها دول الغرب والعالم الجديد لانقاذ غالبية الشعوب المتخلفة من الفاقة والحرمان .

وبالجملة ... فكل طفل نلقاه امامنا امكانية غير محدودة وعالم قائم بذاته ! واننا لا ندري اية قوى يمكن ان تتفجر من هذا العالم الصغير ... واية طاقات حشدها الخالق فى هذا الكيان الناعم الذي تجتمع فيه البساطة مع العظمة ـ لعل فى ذاك الراس الصغير او هذا ، يكمن اعظم عقل ولد او سيولد على الارض ، وما ندري ... فقد يتولى هذا الصغير الذي نحقره او لا نبالي به حل احدى مشكلات بلاده الكبيرة ، وقد ينجح فى معالجة معضلات هامة مما ينوء به العالم ..

والجدير بالاهتمام فيما يتعلق بالاطفال أن هؤلاء ليسوا مجبولين من طينة واحدة فهم وان بدا انهم متماثلون او متقاربون حين يعملون ضمن المجموعات غير انهم فى الواقع يختلفون عن بعضهم ايما اختلاف ... فى كل شيء ، فى قدراتهم العقلية الكامنة ، وفى ميولهم وأولاعهم واتجاهاتهم الانفعالية واستعداداتهم الاجتماعية ، كما يختلفون فى طريقهم فهم العالم ، ونوعية استجاباتهم للمؤثرات ومواقفهم تجاه الاحداث او المنبهات .

وقد توصل علماء التربية الى ان ثمة ميزات عامة يتسم بها اطفال كل مرحلة من العمر الا اننا نرى أن اي طفل يختلف في الحقيقة عن كل طفل آخر في العالم وذلك لتباين المكونات التي نسجت وجوده الخاص وتنوع العناصر التي تألف منها كيانه المفرد .

وعلى كل حال فاطفال الامة اثمن ما تمتلكه من ثروات وافضل ما تعتمد عليه في مناهضة الصعوبات ... هم عدتها الخبيئة للايام القادمة وأملها المشرق في بناء المجتمع الافضل .

اننا كلما شاهدنا طفلا من الاطفال تذكر القدرة الصغيرة وما اودع فيها الله جل وعلا من طاقة لا متناهية ... فسبحانك رب ما اعظم ما تصنع وما ادق ما تخلق !

عثمان بن خضراء

● لا تكلفوا الصبيان الكسب ، فانكم مهما كلفتموهم الكسب سرقوا ●

حديث شريف

قصة للصغار والكبار

منصور والقرصان

جميع السنوات يجب ان تكون سنوات الطفل

للأستاذ احمد عبد السلام البقالي

جلس منصور تحت شجرة يرعى اغنامه السبعة، ويفتل الشريط . كان ينظر الى الاغنام مــرة ، والى البحــر اخــرى.

وسمع صوت محرك فنظر الى البحــر . فاذا بمركب يقترب من الشاطىء ، فوضع ما كان بيــده ، وجرى نحو المركب لينظر اليه .

لم يكن رأى من قبل مركبا من قريب ، وتوقف المحرك ورأى منصور مخطافا كبيرا مربوطا بسلسلة ينزل في الماء من جانب المركب .

ونزل من المركب رجال اشداء الى زورق كان مربوطا خلفه بحبل ، واخرجوا المجاذيف وجذفــوا نحو الشاطىء ، ومنصور واقف ينظر اليهم مبهــورا ومســرورا .

وقفز رئيسهم من الزورق ، وكان رجلا ضخما ، ذا لحية سوداء كثيفة ، ورأس حليق يلبس قميصــا مفتوحا من الصدر ، وسروالا من القلع الازرق .

وخاف منصور حين نظر اليه الرجل . كــان الشر باديا على وجهه .

وساله الرجل بصوت آمر :

ـــ ما ذا تفعل هنا يا غلام ؟

فأجاب منصــور :

ـــ ارعى اغنامي ، يا سيدي .

ونظر الرجل الى الاغنام ، وابتسم ابتسامة لم تعجب منصور ، وعاد يسأل :

ـــ ما اسم تلك القريــة ؟

ـــ (الدميــنــة) .

فنظر الرجل الى منصور ، واشار الى اصحابه :

ـــ انا ، واصحابي تجار غنم . فهل عندكــم اغنام في قريتكم هذه (المدينة) ..

فقاطعه منصور مصححا :

ـــ (الدمينــة) ، يا سيدي .

فحك الرجل راسه ، وكــرر :

ـــ نعم .. (الدمينة) .. هل عندكم اغنام للبيــــع ؟

ـــ لا أدري يا سيدي .. اغلب اهل القرية في سوق المدينة ..

فظهر الفرح على وجه الرجل .. ولكنــه حاول اخفاءه بقوله :

ـــ يا للأسف ! واغنامك هذه ؟ أتبيعها ؟

— لا يا سيدي ، سنبيعها فى العيد .

فابتسم الرجل مرة اخرى وقال :

— امسك بحبل الزورق حتى لا يجرفه البحر ، وانتظرنا هنا .

واشار الى اصحابه فتبعوه نحو القرية .

ووقف منصور يتأمل المركب الكبير فراى فى مؤخرته مروحة حديدية كبيرة . وتساءل ماذا تفعل المروحة ، هناك داخل الماء .

وفجاة سمع صوت البارود ، وصراخ النساء ، فالتفت نحو القرية ، فاذا البحارة يقودون امامهم عددا كبيرا من اغنام القرية نحو الشاطىء .

فادرك منصور انهم ليسوا تجار اغنام ، بل قراصنة ولصوص !

واسرع نحو اغنامه ليبعدها عن طريقهم واكنه وصل متاخرا . كانوا قد جرفوها امامهم مع بقية القطيع الكبير ..

واعترض منصور الاغنام محاولا الامساك بقرون بعض كباشه ، ولكن احد القراصنة قبض عليه من رقبته ، وطرحه أرضا ، وصوب مسدسه نحوه مهددا :

— اذا حاولت ذلك مرة اخرى افرغت هذا فى راسك !

وجلس منصر ينظر الى القراصنة وهم يضعون الاغنام فى الزورق ، ويحملونها الى المركب ، حتى شحنوها كلها ، واطلقوا المحرك ، وانطلقوا يشقون عباب البحر .

وقف نساء القرية على الشاطىء يبكين ، ويندبن ، ويدعين على القراصنة بالغرق والموت .

* * *

وعاد من كان في السوق من رجال القرية ونسائها . وحين عرفوا بخبر السرقة ذهب بعضهم لاخبار مركز الدرك ، والتف الباقون حول منصور ليحكي لهم عن نزول القراصنة .

وجاء رجال الدرك فسمعوا القصة مرة اخرى ، وكتبوا المحضر . وسال قائدهم منصورا :

— هل يمكنك التعرف على القراصنة اذا رايتهم؟
فأجاب منصور :

— بكل تاكيد !

وبات منصور تلك الليلة يبكي من القهر والغضب . فقد كانت الاغنام هي مصدر حياتهما الوحيد ، هو وامه .

وجلست والدته الى جانبه تهون عليه ، رغم حزنها هي الاخرى ، وتقول له :

— لا تبك ، يا ولدي .. الحمد لله على أن تركوك لي حيا .. اما الاغنام فسوف يعوضها لنا الله. وقد يقبض عليهم الدرك قريبا .

* * *

وفى الغد ، ودع امه ، ونزل الى المدينة ليبحث عن عمل .

وتسكع بين الشوارع ، والازقة ، والدكاكين ، ثلاثة ايام لا يتجرا ان يسال احدا عن عمل . وكان ينام فى المراكب القديمة المهجورة على الشاطىء ، أو فى بيت المحامل بالمقبرة ..

وحين نفد ما كانت امه وضعته فى قفته من خبز ، وتين مجفف ، وزيتون ، اضطر الى العودة الى قريته (الدمينة) ، بقلب حزين .

وصادف وقت رجوعه ، لحسن حظه ، خروج طائفة من البنات والغلمان من احدى المزارع ، فاختلط بهم . ووجد من بينهم من يعرفهم ويعرفونه.

وحين عرفوا انه كان يبحث عن عمل اقترحوا عليه الانضمام اليهم . فصاحب المزرعة فى حاجة الى يد عاملة اضافية .

وفعلا ، اصبح عاملا بعزرعة الشمندر الشاسعة الاطراف . واصبح يتقاضى ستة دراهم أجرة يومية على عمله .

وعند نهاية الموسم ، كان قد توفر لمنصور من عمله ، ولامه من عملها هي الاخرى ، ما استطاعا به شراء خرفان صغيرة .

وجاء احد اقربائه من الخارج ، فاعطاه مبلغا من المال لشراء نعاج اخرى يشتركان فيها مناصفة .

واصبح منصور مسؤولا على قطيع اكبر من قطيعه الاول . فكان ينزل به كل فجر الى الغدير الغزير الكلا قرب الشاطىء ، ويعود بعد كل مساء الى الــــدار .

وكفت امه عن العمل مع النــــاس . وتفرغت لمخض الحليب ، وصنع الجبن ، والزبدة وبيعها فى الاســـواق .

وتحسنت حالهما كما تحسنت حال جميع اهل القرية ، بعد ان عوضوا ما اخذه منهم القراصنــــة . ونسوا جميعا ذلك اليوم المشئوم .

ولكن منصورا لم ينس الايام الثلاثة التي قضاها متسكعا فى المدينة ، ينام فى المراكب المهجورة على الرمل ، وبين المحامل فى المقبرة . وما كان يعانيه من رعب بالليل . فقرر ان يحتاط اكثر هذه المرة . وخصوصا ايام السوق ، حين تخلو القرية .

وفى صباح احد ايام السوق فعلا بينما منصور يفتل الشريط ، ويرعى اغنامه قرب غديره المعشب، اذ لمح شيئا يتحرك على الماء . وحين رفــع بصره راى مركبا كبيرا يقترب بشراعه المنتفخ بسرعـــة مزعجة نحو الشاطىء ، وقد اسكت محركه . .

فوثب الى قدميه ، واخذ يهش على غنمه بعصاه، حتى ادخلها غابة من القصب والعليق بعيدة عن طريق القراصنة الى القرية .

فى وسط تلك الغابة كان قد صنع زريبـــة ، وجعل لها بابا من القصب .

وحين استقرت الاغنام بها ، وقف هو يراقب حركات القراصنة وهم ينزلون القلوع ويهبطون مـــن المركب الكبيـــر الى الزورق . ثم يجذفـــون الى الشاطىء ، ويخرجون القارب الى الرمل . .

وراى كبيرهم الاصلع صاحب اللحية الكثيفة ، يتقدمهم ، ويستعجلهم للصعود الى القريـــة . ودق قلب منصور حين وقف القرصان الكبير ينظـــر الى آثار مرور اغنامه على الارض . . وانحنى ، فالتقط بعض الروث ، ونظر فى اتجاه غابة القصب . ثـــم وقف ، ومى الروث ، واشار الى اصحابه ليتبعوه فى اتجاه القريـــة . .

وتنفس الصعداء ، حين لم يقصده القرصان . ورفع راسه قليلا ، ليراقبهم وهم يصعدون المنحدر نحو القرية المسكينة كذئاب بشرية جائعة .

ونظر الى المركب الكبير بامعان فلم ير فيـــه احداً . وخلع ملابسه وتحزم بشريط ، وعلق به سلكا كان يحتفظ به فى الزريبة . ونزل الى الغدير الذي كان يصب فى البحر ، فعام به حتى وصل المـــوج وغطس . ودار ليخرج خلف القارب الذي خرج منه القراصنة ، وتركوه نصفه فى الماء ، ونصفـــه على الرمـــل .

واطل بداخله ، ومد يديه فاخـــرج المجـــذاف الاول ، ثم الثاني ، وجرهما خلفه وزحف بهمـــا على يديه وركبتيه وسط الغدير حتى لا يترك اثرا .

ثم حملهما الى بئر عميقة فرماهما بداخلهـــا ، فانغرسا فى الطين الناعم بقعرها .

وعاد الى البحر زاحفا حتى وصـــل المـــوج ، واخذ يسبح تحت الماء ، لا يخرج راسه الا ليتنفس ثم يعود الى الغطس .

ومن تحت الماء نظر الى بطن المركب الكبيـــر كحوت ضخم معلق فى الهواء . ودار حوله حتـــى وصل المروحة الحديدية ، واخذ السلك من حزامه فعلقه عليها . ثم ربط الشريط بالاطار الـــذي تدور بداخله المروحة ، واستنشق نفسا عميقـــا ، وغطس الى القعـــر .

وهناك بحث عن حجر صلب ، وربطـــه بطرف الشريط ، وصعد بسرعة الى سطح الماء وقد ضاقت انفاســـه .

واطلع الحجر بالشريط حتى امســـك بـــه . فوضعه على اطار الرقاص (المروحة) وادخله بين شفرتيه ، وشده الى الاطار والمروحة بالسلك شدا وثيقا ، بحيث يستحيل على المروحة ان تدور دون ان يتكسر ريشها . . .

وبينما هو يستريح ، استعدادا لرحلة العـودة الى الشاطىء ، ممسكا بسلم الخشب المدلى على جانب المركب ، اذ احس كأن احدا يراقبه .. وحين رفع عينيه ، رأى وجها غارقا فى لحية سوداء ، وعينين يتطاير منهما الشرر :

— ماذا تفعـل هنـاك ؟ !

صـاح الرجـل كالرعـد !

— لا شيء يا سيدي .. كنت اعوم فقط ..

— ابتعد من هنا ، والا اطعمـت لحمـك للحيتـان !

— حاضر يا سيدي حـالا !

وابعد منصور ، وقد زاد سروره بما فعل .

وعلى الشاطىء سمع طلقات البارود ، واصوات النساء والاطفال ، ورغاء الشياه ، وثغاء الماعـز ، والقراصنة يسوقونها امامهم ، وهم يتضاحكون .

وابتعد عن طريقهم ، واختفى بين القصب حتى خرج فى مرج قريب ترعى به فرس اعتاد منصـور ركوبها ..

وحين رأته رفعت اذنيها وجاءت نحوه . فصعد على ظهرها بقفزة واحدة ، وصاح فيها : « ري ! ري !»

وصهلت الفرس ، وانطلقت تركـض كسهـم يخترق الهواء .

ولمحه أحد القراصنة فصوب مسدسه نحوه . واخذ يطلق عليه الرصاص . والتصق منصور بظهـر الفرس حتى اصبح طرفا منها ..

ومن سفح التل المؤدى الى الطريق العـام ، حيث يوجد مركز الدرك ، رأى منصور رئيس القراصنة يتوجه نحو زريبته بين القصب ، فيفتحها ، ويخـرج الشياه ، فزاد ذلك حقدا عليهم ، ورغبة فى الانتقام .

وعلى الشاطىء ، شحن اللصوص خمسة اكباش فى القارب . وحين بحثـوا عن المجذافيـن لـم يجدوهمـا .

واخذ رئيسهم الشرس يصيح فيهم ، ويركلهم، صارخـا :

— ابحثوا عن المجاذيف ! أين وضعتموها ، ايها الكـلاب ! ؟

وانتشروا يبحثون بين الاعشـاب ، ووسـط القصب ، وكبيرهم يحاول جمع الاغنام التي بـدات تتفـرق ..

واجتمع عليه كلاب القرية ينبحون ، وهو يطلق عليهم النار ليبعدهم عنه ، فلا يـزدادون الا غضبـا وشراسـة ..

واخيرا صاح بهم ليرجعوا . وحين اجتمعـوا حوله ، قال لهم :

— سننقل الاغنـام الى المركـب بـدون مجاديـف .

فسألوا جميعا باستغراب :

— ولكن كيـف ؟

— سنجره بالحبل بين المركب والبر .

وفعلا عام احد القراصنة بطرف الحبـل الى المركب ، ومن هناك اخذ يجر القارب المشحـون بالاغنام ، هو وزميله الميكانيكي ، فيفرغانـه ، ثـم يجذبه الآخرون من الشاطىء بحبل آخر فيملأونـه بالحيوانات .. وهكذا حتى شحنوا آخر خروف .

ووقف نساء القرية ، وصبيانها ، وعجائزهـا يتفرجون فى حزن على القراصنة ، من بعيد ، وهـم يركبون القارب ، ويتضاحكون ، ويلوحـون اليهـم صائحيـن :

— الى السنة القادمة ! علفوا اغنامكم جيدا ! وتضاحكوا ، والقارب يبتعد عن الشاطىء ..

* * *

وفى المركب صاح رئيسهم بالميكانيكي :

— ادر المحـرك !

فأجاب الميكانيكي :

— حاضـر !

ودخل غرفة القيادة . وما ان ادار المفتاح فى المحرك حتى سمع صوتا غريبا كصوت انفجار سكت المحرك على اثره .

وعاد يدير المفتاح لاشعاله ، مرة أخرى ، بدون جـــــدوى .

وسمع الرئيس ذلك فجـــاة :

ـــ ما ذا حـــــدث ؟

ـــ لا ادري .. المحرك لا يريد ان يدور .

فاستشاط القرصان الفظ غضبا ، وضـــرب الميكانيكي بلكمة قوية على وجهه ، صارخا فيه :

ـــ ماذا تقـــــول ؟ !

وامسك بتلابيبه ، واخذ يهزه بعنف قائلا :

ـــ اصلح ذلك المحرك حـــالا ، والا مـــلأت راسك رصاصا !

ووضع فوهة مسدسه فى فـــم الميكانيكـــي الخائـــف !

وهنا سمع طلقة مدفع قوية من بعيد ، وجـــاء أحد اللصوص مسرعا الى رئيسه :

ـــ سيـــدي انظـــر ..

وخرج القرصان الكبير من غرفة القيادة ، ونظر فاذا خافرة شواطىء ضخمة تشق البحر نحوهم .

وحين اقتربت منهم اخرج قائد الحرس بوقـــا ووجه الكلام الى القراصنة :

ـــ مدافعنا موجهة نحوكم ! ارموا باسلحتكم فى البحر ، وارفعوا أيديكم ! ورمـــى القراصنـــة باسلحتهم ، ورفعوا أيديهم . ولكـــن رئيسهم ركـــز المسدس فى حزامه ، وقفز الى الماء واخذ يسبح بسرعة نحو الشاطىء .

وما كاد يلمس الرمل حتى لمح احذيـــة الدرك الكبيرة ، وهم ينتظرونه على الشاطىء .

واخرج القراصنة الاغنام مـــن المركـــب الى الشاطىء ، بنفس الطريقة التي شحنوها بها .

ووضع الدرك السلاسل فى أيديهم ، وقادوهم الى المركز ، يتبعهم النساء يزغردن تشفيا وفرحا .

ورجمهم الاطفال بالحجارة ، وغـــرزوا فيهـــم الاشواك والقصب ، فى غفلة من رجال الدرك ...

واجتمع اهل القرية امام مركز الدرك ، فخرج القائد واخبرهم بأن مركب القراصنـــة سيبـــاع ، وستدفع لهم من ثمنه تعويضات على ما سرق منهم فى العام الماضي . وسيعطى ما تبقى جائزة لمنصور الذي لولا ذكاؤه ، وخياله ، وشجاعته ، لما قبض الدرك على هؤلاء القراصنة الذين دوخوا الشواطىء .

واقام اهل القرية حفلة لمنصور . وتنازل لـــه كل واحد عن كبش وا معزى هدية وتقديرا لشجاعته.

ووصل الخبر الى عامل الاقليم ، فبعـــث فى طلبه ، وهناه على عمله الجرىء ، وساله ماذا يريد أن يكون ، فاجابه منصور :

ـــ اريد ان اكون دركيا ، او حارس شواطىء لاخدم بـــلادي ..

وهكذا دخل منصور مدرسة خفر السواحـــل ،

واصبح قائد خافرة سريعة تحمي شواطىء الوطن .

احمد عبد السلام البقالي

الكبير قدوة للصغير

للأستاذ محمد حمادي العزيز

تقول الكلمة المشهورة : « الرجل طفل صغير ».

وبموازاة هذه الكلمة المشهورة يمكن ان تقال كلمة جديدة ، ذات ابعاد تعبيرية ومفهومية عميقة فى التربية الحديثة ، هي : « الطفل رجل صغير » .

حسب هذه الكلمة الجديدة يجب ان يعامل الرجل الصغير ، منذ نعومة أظفاره ، معاملة عادلة ، واعية مسؤولة ، تفيده تربويا ، واخلاقيا ، وتساعده على تأكيد ذاته ، وتقوية شخصيته ليغدو بحق الرجل الكبير الذي يريد هو ، ويراد منه أن يكونه ..

ان هذه الكلمة الجديدة تفرض على الرجل الكبير فروضا اخلاقية ، وروحية ، ونفسية ، وعقلية وجسمية ، وحياتية تقضي عليه ان يعامل الرجل الصغير معاملة الند للند ، والمثيل للمثيل ، والمسؤول للمسؤول ، والواعي للواعي .

هذا هو ما يريده الرجل الصغير ، من الرجل الكبير .

وهذه هي مسؤولية الرجل الكبير عن تربية الرجل الصغير .

فالرجل الكبير مثال كبير ، وقدوة كبيرة ونموذجية للرجل الصغير .

وكيفما كان الرجل الكبير يكن الرجل الصغير .

الرجل الكبير هو السلف ، وهو الاصل ، والرجل الصغير هو الخلف ، وهو الفرع .

فاذا كان السلف صالحا كان الخلف صالحا ايضا .

وتقضي ارادة هذا الصلاح ان تكون التربية تربية صالحة ينمو عليها الرجل الصغير فى كل آن من أوان حياته فى الصغر حتى يصير خير خلف صالح لخير سلف صالح .

ان التربية الصالحة تعد الخلف الصالح اعدادا صالحا !

* * *

يولد الشبل فى العرين ، ويتربى فى الاجام ، وينمو متعودا على مصارعة الصعاب حتى يصبح اسدا هصورا ، يشق سبيله فى حياته وسط الغاب ، وفى ظل قانونه ، بقوة ، وثقة ، واعتداد ، واعتزاز !

أليس مثال الاسد والشبل خير مثال للقدوة المثلى التي يجب ان يكونها الرجل الكبير للرجل الصغير ؟ !

اعتقد ان الرجل الكبير ، المسؤول ، والواعي ، الذي يحب الرجل الصغير حبا حقيقيا حبا مسؤولا ، وواعيا يجيب :

— بلـــــى !

اذا كان الجواب هكذا فان مسؤولية القدوة والمثلى تعتبر امانة عظمى .

والرجل الكبير ، المسؤول ، والواعي يعرف حقيقة الامانة العظمى ، ومن واجبه ان يلقنها للرجل الصغير ، منذ نعومة اظفاره ، برقة ، وذكاء ، ولطف ، ومهارة تربوية مرنة وكيسة .

ومن واجب الرجل الصغير ، المسؤول ، والواعي الذي يتعلم حقيقة هذه الامانة العظمى وان يطالب الرجل الكبير بالوفاء بالتزاماتها ، وعهودها لئلا يقصر فى شؤون هذا الوفاء .

ويعني هذا ان الرجل الصغير انما هو صورة فرعية للرجل الكبير ، وحكما صادقا يشهد عليه بالحق فى الحياة ، واحيانا امام التاريخ وخاصة عندما يتعلق الامر بقضايا عصرية تهم الوطن .

« الرجل سر ابيه » كما يقول المثل العربي ، وهو كذلك سر التربية التي ينمو عليها .

لهذا لا ينبغي ان يعتبر الرجل الصغير صورة للرجل الكبير وحده فقط ، وانما يجب ان يعتبر كذلك صورة للتربية التي ينمو عليها فى مجتمعه .

وهو بهذا يكون حكما على التربية التي ينمو عليها فى مجتمعه كما يكون حكما على الرجل الكبير .

وتربية الرجل الصغير فى المجتمع ، وان تنوعت واجباتها ، وتعددت التزاماتها ، وكثرت امتداداتها ، وتداخلت ابعادها تبعا لتعدد الظروف الاجتماعية ، وتنوع الاوضاع الحياتية تعني دائما مسؤولية الرجل الكبير .

ولهذا يجب ان يهتم الرجل الكبير ، المسؤول والواعي ، والانسان ، بتربية الرجل الصغير كل رجل صغير ، فى اى مكان فى المجتمع مهما كانت الظروف الاجتماعية والاوضاع الحياتية عاملا على تليين وطأتها ، وتخفيف اثقالها ، لانه من حق كل رجل صغير ان ينمو نموا مماثلا لنمو كل رجل صغير آخر مثله فى مجتمعه .

* * *

الرجل الصغير امتداد للرجل الكبير فى الوجود والحياة ، واستمرار لاعماله فيهما ، فهو كخلف صالح يحقق ما يمكن تحقيقه من امال سلفه الصالح .

وتؤكد هذه الفقرة اهمية التربية التي ينمو عليها الرجل الصغير ، وخطورتها ، وعمق مسؤوليتها، وعظمتها .

ينبغي ان يتربى الرجل الصغير وينمو باسما ، مرحا ، متفائلا ، طموحا ، لا يمنعه اي مانع نفسي من الالتحام العميق مع الرجل الكبير الذي يسهر على شؤون تربيته .

ان القمع النفسي شأنه شأن القمع الجسمي لا ينبغي ان يكون لهما مكانا فى التربية الحديثة التي ينمو عليها الرجل الصغير .

فباللين والرفق يمكن تقويم اخطاء الرجل الصغير ، وفيهما احيانا شدة وصرامة ليستا فى القمعين النفسي والجسمي .

وللقدوة المثالية تأثير قوى على نمو الرجل الصغير ، يتجلى فى نشاطاته ، وميوله ، وغاياته ، ونضاله .

وكثيرا ما يكون انتماء الرجل الصغير الى القدوة المثالية عندما يجدها اكثر التحاما من اي انتماء آخر له مع اية روابط اخرى .

ويعني هذا ان البحث عن القدوة المثالية وخاصة عندما تكون قدوة مثالية غائية ، انما هو البحث عن الرسالة الغائية فى الوجود والحياة .

ان الرجال الكبار الذين قدموا على مر العصور للاوطان ، والمجتمعات ، والانسانية ، والفكر والثقافة ، والحضارة خدمات جليلة يعتبرون قدوات ذوي رسالات غائية في وجودهم وحياتهم ، ولهذا يمكن اتخاذهم اساتذة ، وهداة ، ومرشدين .

والرسالة الغائية التي ينبغي ان يتعلمها الرجل الصغير هي خدمة الوطن ، والمجتمع والانسانية ، والفكر ، والثقافة ، والحضارة .

فما راى الرجل الكبير في مسؤوليته عن تربية الرجل الصغير ؟ .

— وما راى الرجل الصغير في الرسالة الغائية التي يختارها لوجوده وحياته ، وفي القدوة المثالية التي يقتدى بها ؟ .

م. ح. العزيز

● الرجل سر ابيه ، وهو كذلك سر التربية التي ينمو عليها . لهذا لا ينبغي ان يعتبر الرجل الصغير صورة للرجل الكبير وحده فقط ، وانما يجب ان يعتبر كذلك صورة للتربية التي ينمو عليها في مجتمعه ●

إقرأ في أعدادنا القادمة

مساهمة المغرب في حركة الجهاد البحري بعد طرد الموريسكوس من الاندلس.

مصطفى صادق الرافعي: نظرات في مواقفه تحت راية الاسلام.

قراءة في كتاب الإلغيات

الصحافة المغربية في الموسوعة العربية الميسرة

الزاوية القادرية ودورها الديني والاجتماعي والسياسي

حول كتاب "رسائل مخزنية"

العقاد ومبدأ المسؤولية

الاستحسان ومكانته بين مصادر التشريع الإسلامي

دور الاسلام في الحضارة الانسانية

تاريخ الموحدين ومذهبهم من خلال رسائل موحدية.

مطبعة فضالة — المحمدية (المغرب)

النصُّ الكامل لإعلان حُقوق الطِفل

الذى تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى 20 نوفمبر 1959

الديباجة

بما أن الشعوب والأمم المتحدة قد أكدت من جديد في الميثاق إيمانها بالحقوق الأساسية للإنسان وكرامة الفرد وقدره ودفع الرقي الاجتماعي قدماً ورفع مستوى الحياة في جو أفسح من الحرية.

بما أن الأمم المتحدة، في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، قد أكدت أن لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في ذلك الإعلان دون أي تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر أو الأصل أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر.

بما أن الطفل، بسبب قصوره من ناحية النضج البدني والعقلي، في حاجة إلى أسباب خاصة للوقاية والرعاية تشمل الحماية الشرعية اللازمة قبل ولادته وبعدها.

حيث إن أسباب هذه الوقاية قد وردت في **إعلان جنيف الخاص بحقوق الطفل** الصادر في عام ١٩٢٤م والذي أقره **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان**، وفي النظم الأساسية للوكالات المتخصصة والهيئات الدولية التي تعنى برعاية الأطفال.

وبما أن لزاماً على الجنس البشري أن يمنح الطفل خير ما عنده.

لذا فإن الجمعية العمومية تصدر هذا «الإعلان لحقوق الطفل» بهدف جعل الطفل يتمتع بطفولة هنيئة ويتمتع بالحقوق والحريات الواردة في الإعلان لخيره ولمصلحة المجتمع، وتهيب بالآباء والأمهات وبالرجال والنساء والأفراد وبالهيئات التي تعنى طواعية برعاية الطفولة وبالسلطات المحلية والحكومات، أن تعترف بهذه الحقوق وتعمل على مزاولتها بإجراءات تشريعية وغيرها على أن يتم ذلك وفقاً للمبادىء التالية:

المبدأ الأول

يجب أن يتمتع الطفل بكافة الحقوق الواردة في هذا الإعلان. يحق لكل الأطفال التمتع بهذه الحقوق، دون أي استثناء أو تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر له أو لأسرته.

المبدأ الثاني

يجب أن يكون للطفل حق التمتع بوقاية خاصة وأن تتاح له الفرص والوسائل، وفقاً لأحكام القانون وغير ذلك، لكي ينشأ من النواحي البدنية والروحية الاجتماعية على غرار طبيعي وفي ظروف تتسم بالحرية والكرامة وفي سبيل تنفيذ أحكام القانون في هذا الشأن يجب أن يكون الاعتبار الأعظم لصالح الطفل.

المبدأ الثالث

ويجب أيضاً أن يكون للطفل منذ ولادته الحق في أن يعرف باسم وجنسية معينة.

المبدأ الرابع

يجب أن يتاح للطفل التمتع بمزايا **الأمن الاجتماعي** وأن يكون له الحق في أن ينشأ وينمو في صحة وعافية. وتحقيقاً لهذا الهدف يجب أن تمنح الرعاية والوقاية له ولأمه قبل ولادته وبعدها.

وينبغي أن يكون للطفل الحق في التغذية الكافية والمأوى والرياضة والعناية الطبية.

المبدأ الخامس

يطلب **توفير العلاج الخاص والتربية والرعاية** التي تقتضيها حالة الطفل المصاب بعجز بسبب إحدى العاهات.

المبدأ السادس

ولكي تكون للطفل شخصية كاملة متناسقة **يجب أن يحظى قدر الإمكان بالمحبة والتفهم كما يجب أن ينمو تحت رعاية والديه ومسؤوليتهما، وعلى كل حال في جو من الحنان يكفل له الأمن من الناحيتين المادية والأدبية**. ويجب ألا ينفصل الطفل عن والديه في مستهل حياته إلا في حالات استثنائية. وعلى المجتمع والسلطات العامة أن تكفل المعونة الكافية للأطفال المحرومين من رعاية الأسرة ولأولئك الذين ليست لديهم وسائل رغد العيش. ومما يجدر تحقيقه أن تتولى الدولة والهيئات المختصة الأخرى بذل المعونة المالية التي تكفل إعالة أبناء الأسر الكبيرة العدد.

المبدأ السابع

للطفل الحق في الحصول على **وسائل التعليم الاجباري المجاني. على الأقل في المرحلة الابتدائية**. كما يجب أن تتيح له هذه الوسائل ما يرفع مستوى ثقافته العامة ويمكنه من أن ينمي قدراته وحسن تقديره للأمور وشعوره بالمسؤولية الأدبية والاجتماعية لكي يصبح عضواً مفيداً في المجتمع.

ويجب أن يكون تحقيق خير مصالح الطفل المبدأ الذي يسير على هديه أولئك الذين يتولون تعليمه وإرشاده على أن تقع أكبر تبعة في هذا الشأن على عاتق والديه.

ومن الواجب أن تتاح للطفل فرصة للترفيه عن نفسه باللعب والرياضة اللذين يجب أن يستهدفا نفس الغاية التي يرمي التعليم والتربية إلى بلوغها. وعلى المجتمع والذين يتولون السلطات العامة، أن يعملوا على إتاحة الاستمتاع الكامل بهذا الحق للطفل.

المبدأ الثامن

ويجب أيضاً أن يكون للطفل المقام الأول في الحصول على الوقاية والاغاثة في حالة وقوع الكوارث.

المبدأ التاسع

يجب ضمان الوقاية للطفل من كافة ضروب الاهمال والقسوة والاستغلال. وينبغي أيضاً ألا يكون معرضاً للاتجار به بأية وسيلة من الوسائل.

ومن الواجب الا يبدأ استخدام الطفل قبل بلوغه سناً مناسبة كما يجب الا يسمح له بأي حال من الأحوال ان يتولى حرفة او عملاً قد يضر بصحته او يعرقل وسائل تعليمه أو يعترض طرق نموه من الناحية البدنية أو الخلقية او العقلية.

المبدأ العاشر

يجب أن تتاح للطفل وسائل الوقاية من الأعمال والتدابير التي قد تبث في نفسه أي نوع من التمييز من الناحيتين العنصرية أو الدينية وأن تتسم تنشئته بروح التفاهم والتسامح والصداقة بين كافة الشعوب وكذلك بمحبة السلام والأخوة الشاملة وأن يشعر شعوراً قوياً بأن من واجبه أن يكرس كل ما يملك من طاقة ومواهب لخدمة إخوانه في الإنسانية.

الثمن : 7.50 درهما